


«مستخرج الرد للإمام أحمد»

دراسة ونقد

كتاب «الرد على الجهمية»

بقلم أ. د حاكم المطيري





بسم الله الرحمن الرحیم

المقدمة

الحمد الله وحده، وصلِّ اللهم على من لا نبي بعده، وعلى آله و صحبه .

وبعد: فهذا كتاب عرض لي بلا قصد، أثناء إجابتي عن سؤال وردني عن كتب الاعتقاد ومنهجية البحث في مسائلها، وبعد أن شرعت في الإجابة عنه، وذكرت أئمة أهل السنة الذين صنفوا فيه، ومنهم الإمام أحمد، وإمامته في هذا العلم، احتجت إلى الاستشهاد ببعض أقواله، فرجعت إلى كتابه «الرد على الجهمية» وكان عهدي به قديمًا، ولم أكن قد اطمأننت إليه منذ قرأته مبكرًا في بداية الطلب، بسبب أسلوبه الذي لم أجد فيه لغة الإمام الأحمد ومنهجه في الاستدلال، فلم يعد منذ قرأته أول مرة من مراجعي التي أرتادها كلما عنّ لي بحث في مسألة عقائدية.

وقد وقع خلاف قديم في صحة نسبته للإمام أحمد، فأثبته له ابن تيمية وابن القيم، ونفاه عنه الذهبي!

وكم هو مشكل جدًّا وعسير أن يقع الخلاف في إثبات نسبة كتاب ونفيه بين هؤلاء الأعلام الثقات الأثبات!

ولم يتيسر لي النظر والبحث في هذه القضية آنذاك، حتى جاء هذا السؤال، واحتاج مني الجواب عنه الرجوع إلى كتب الإمام أحمد، فاضطررت إلى تحرير النزاع فيه، والنظر في الخلاف بين من يُثبته للإمام أحمد ومن ينفيه!

فكان الأمر الجلل؛ أن كتاب «الرد على الجهمية» للإمام أحمد المطبوع منذ مائة سنة، بعشرات الطبعات وتحقيق عدد كبير من المحققين، لا علاقة له بالإمام أحمد ولا بكتابه «الرد على الجهمية» إلا الاسم فقط! وأن كتاب «الرد على الجهمية» للإمام أحمد الذي اطلع عليه عشرات الأئمة واستفادوا منه مفقود اليوم غير موجود!

فرأيت ضرورة إعادة بعثه من جديد، ونشره بعد فقده، وفق المنهجية العلمية لبعث الكتب المفقودة، من خلال جمع نصوصها من بطون الكتب التي نقلت عنها، حسب ترتيب أهمية تلك المصادر، وترتيب مادتها، بعد معرفة موضوع الكتاب، وإكمال النصوص المقتبسة منه لبعضها، كما ستراه في تحقيق هذا الكتاب المهم من كتب السنة.

وقد كان لكثرة أصحاب الإمام أحمد، وجمعهم لأقواله، خاصة في قضية خلق القرآن، واشتهاره بإمامة السُّنّة في عصره، السبب الرئيس في حفظ مادة كتابه «الرد على الجهمية» أو «رسالة في القرآن وأنه غير مخلوق» وهو ما يسر بعثه من جديد، كما ستراه في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

وقد يسر الله لي تأليفه في أول يوم من رمضان هذه السنة ١٤٤٣هـ والفراغ منه في آخر يوم منه الموافق شهر أبريل سنة ٢٠٢٢م.

وقد جعلت البحث في هذه القضية المشكلة الشائكة على

ثلاثة فصول، تحت كل فصل مباحث تجمع أطرافها وتلُمّ شعثها، وتكشف النقاب عن وجهها، بيانًا للمنهج العلمي الذي يجب على من تصدى لتحقيق كتب التراث الالتزام به، ليكون عمله مستوفيًا لشروطه.

وأول ذلك معرفة لغة مؤلف الكتاب الذي يراد تحقيقه معرفة دقيقة، والإحاطة بأسلوبه في البيان إحاطة تامة عميقة، ومعرفة منهجه في الاستدلال، وتتبع المفردات التي يستعملها والمصطلحات التي يستخدمها، وذلك بقراءة كل كتبه إن وجدت، وكتب تلاميذه، وما رُوي عنه من أقواله، ومعرفة لغة أهل عصره وأساليبهم ومصطلحاتهم، مع تمتع المحقق بملكة لغوية تؤهله لإخراج الكتاب على النحو الذي كتبه مؤلفه، وتعينه على تمييز كلامه من كلام غيره، سواء كان اقتباسًا أورده المؤلف من كلام غيره، دون أن يوجد ما يدل على بداية الاقتباس أو نهايته، أو إضافة ألحقها الناسخ بحاشية الكتاب لغرض من الأغراض، كشرح كلمة أو ذكر شاهد.

ثم أُلْحِقت خطأ بصلب الكتاب لاحقًا، إلى غير ذلك من العقبات والصعاب التي تعترض المحققين لكتب التراث، ولا يمكن تخطيها إلا بالمعرفة العميقة التامة بلغة المؤلف وأسلوبه والمفردات التي يستعملها، إضافة إلى الشروط الأخرى المقررة في مناهج تحقيق الكتب التراثية التي يعد هذا الكتاب للإمام أحمد أنموذجًا لما نحن بصدده، من حيث تحقيق القول في نسبته لمؤلفه،

والتحقق من نصه الأصلي ولغته، وتمييزه عما ألحق به من شروح وزيادات كادت تطمس الأصل ليتوارى خلف الشرح!

فأقول وبالله التوفيق:

الفصل الأول

في تحقيق نسبة الكتاب وما وقع فيه من خلاف

المبحث الأول

في تحقيق اسم الكتاب، ونسبته إلى الإمام أحمد، وحقيقة نفي الذهبي له

لا كبير خلاف يذكر في أصل كتاب «الرد على الجهمية» وأنه للإمام أحمد، فهذا محل اتفاق، بل إجماع عند أصحابه وأهل مذهبه، وهم أعرف به من غيرهم، وهذه قاعدة مطردة في إثبات كتب المذاهب، فكل أهل مذهب أعلم بإمامهم وأقواله من غيرهم، واختصاصهم به كاف في ترجيح قولهم على قول من سواهم في هذا الباب، مع ما هو معلوم وما تقرر في أصول المذاهب من أن نسبة المذهب للإمام قد تكون أقوى حجية من مجرد نسبة الأقوال إليه، ولا يشترط في مذهبه أن يكون قولًا منصوصًا عنه، بل ما أخذه أصحابه من مجموع أقواله وما استفادوه من أصوله وقواعده هو أيضًا مذهبه.

وهذا الكتاب «الرد على الجهمية» من هذا الصنف من المصنفات، سواء كانت نسبته للإمام أحمد نسبة تأليف وتصنيف، أو نسبة مذهب وتأصيل - على فرض أنه ليس من تأليفه - وأنه مذهبه وطريقته في هذا الباب، وهو احتمال يجب النظر إليه بعين الاعتبار حتى يتبين فيه الأمر جليًّا.

ولم يقع بين الحنابلة ولا غيرهم خلاف في أن للإمام أحمد كتابًا في «الرد على الجهمية» وكل من ترجم للإمام أحمد وذكر مؤلفاته نسب له كتاب «الرد على الجهمية».

قال ابن النديم عند ذكر كتب الإمام أحمد: (وله من الكتب كتاب «العلل» ... كتاب «الرد على الجهمية»)[١]. وابن النديم فرغ من كتابه «الفهرست» سنة ٣٧٧ هـ فالعهد قريب بينه وبين عصر الإمام أحمد، وقد ادرك تلاميذه؛ فقد ولد سنة ٢٩٧ هـ وهو حجة في هذا الفن.

ويؤكد ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولهذا قال الإمام أحمد في أول ما كتبه في الرد على الزنادقة والجهمية، فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله، مما كتبه في حبسه، وقد ذكره الخلال في كتاب «السنة» والقاضي أبو يعلى وأبو الفضل التميمي وأبو الوفاء ابن عقيل وغير واحد من أصحاب أحمد، ولم ينفه أحد منهم عنه، والحمد لله)[٢].

وقال ابن القيم: (قال الخلال: كتبت هذا الكتاب من خط عبد الله، وكتبه عبد الله من خط أبيه، واحتج القاضي أبو يعلى في كتابه «إبطال التأويل»[٣] بما نقله منه عن أحمد، وذكر ابن عقيل في كتابه بعض ما فيه عن أحمد، ونقله عن أصحابه قديمًا وحديثًا، ونقل منه البيهقي وعزاه إلى أحمد، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية عن أحمد، ولم يسمع عن أحد من متقدمي أصحابه ولا متأخريهم طعن فيه)[٤].

(١) الفهرست (ص ٢٨١).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦٢).
(٣) إبطال التأويلات (ص ٢٣٣، ٣٩٦، ٤٤٤).
(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية (١/ ٣١٨).

وهذا التأكيد من شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم كان فيما يبدو ردًّا على الذهبي وغيره ممن تكلم في نسبة الكتاب للإمام أحمد أو نفاه عنه، حين احتد الجدل بين ابن تيمية وخصومه في مسائل الصفات، مما يؤكد أنها قضية مثارة عند غير الحنابلة آنذاك.

وهذا الذي ذكره ابن تيمية غاية في الأهمية للتحقيق في هذه القضية، حيث ذكر أهم المصادر التي ذكرت الكتاب واستفادت منه وأولها الخلال، وأهمية بداية كلام الخلال، وأنه كتب نسخته عن نسخة عبدالله، وعبدالله كتبها عن نسخة أبيه، مما يعني أن الكتاب أصبح محفوظًا في كتب الخلال الذي هو جامع أقوال أحمد، كما كان البيهقي الذي جمع أقوال الشافعي، ولن يدع الخلال كما يُتوقع شيئًا من أقوال أحمد في ذلك الكتاب إلا أودعه في كتبه وبثها فيها، بحسب ترتيب الخلال لمسائل كتبه، ككتابه «السنة» و«الجامع» فهو وإن شعّث أقوال أحمد وفرقها وبثها في كتبه، فقد جمعها وحفظها ورتبها، وضم النظير إلى نظيره من كلام الإمام أحمد في كل مسألة، مع تمييز كل ما رواه أصحابه عنه بأسانيده عنهم، وتمييز ألفاظ أصحاب أحمد عنه، سواء اتفقت أو اختلفت في الرواية.

وسنرى أن ما ذكره ابن أبي يعلى ومن بعده فيما رووه من هذا الكتاب «الرد على الجهمية» غير موجود فيما رواه الخلال عنه، وليس في كتب الخلال كلها ولا كتب أصحاب أحمد شيء مما ورد في النسخة المشهورة بعنوان «الرد على الجهمية» المنسوبة للإمام أحمد!

ولا موجود أيضًا فيما ما رواه عبدالله نفسه عن أبيه في كتابه الذي سماه عبدالله «السنة» وجمع فيه أقوال أبيه وغيره من شيوخه في مسائل الاعتقاد، وفيه أبواب في الرد على الجمهية، مما لا يتصور ألا يكون كتاب أبيه في «الرد على الجهمية» من مصادره الرئيسة!

وقد اشتهر كتاب عبدالله هذا أيضًا باسم «الرد على الجهمية» كما اشتهر بذلك كتاب أبيه من قبل، ومع هذا كله لا تكاد توجد فيه فقرة واحدة، بل ولا سطر واحد مما ورد في كتاب «الرد على الجهمية» المنسوب للإمام أحمد!

تحرير محل النزاع:

فلا خلاف إذًا بين أئمة المذهب في نسبة كتاب «الرد على الجهمية» إلى الإمام أحمد. وقد اشتهر كتاب الإمام أحمد بهذا الاسم، كما عرف باسم آخر لم يشتهر وهو «رسالة القرآن» وقد سماه بذلك إبراهيم الحربي، وقد سمعه من الإمام أحمد، وكذا سماه بهذا الاسم أبو مزاحم موسى ابن الوزير عبيدالله بن الفتح ابن خاقان، وزير المتوكل، وهو أيضًا ممن رواه واطلع عليه كما سيأتي بيانه.

والخلاف الذي وقع بين ابن تيمية والذهبي هو فيما ادُّعي أنه كتاب «الرد على الجهمية» وهو كما يبدو نسخة مخصوصة موسومة بهذا الاسم ومنسوبة للإمام أحمد، ولا يصح نسبتها له، لمن عرف أسلوبه ومنهجه.

لهذا قال الذهبي عن رسالة الإمام أحمد إلى الخليفة المتوكل: (فهذه الرسالة إسنادها كالشمس، فانظر إلى هذا النفس النوراني، لا كرسالة الإصطخري، ولا كـ«الرد على الجهمية» الموضوع على أبي عبدالله، فإن الرجل كان تقيًّا ورعًا، لا يتفوه بمثل ذلك، ولعله قاله)[1].

فوصفُ الذهبي لهذا الكتاب بأنه «الموضوع على الإمام أحمد» يرجح أنه يعني كتابًا مخصوصًا موصوفًا بهذا الوصف «الوضع» يُدعى أنه كتاب أحمد «الرد على الجهمية» وليس هو كذلك، لا أن الذهبي ينفي كتاب الإمام أحمد المشهور عنه «الرد على الجهمية»!

وكان الواجب على من تصدى لتحقيق هذا الكتاب ونشره أخذ رأي الذهبي هذا بعين الاعتبار في هذه القضية، والتوقف عنده مليًّا، واستصحابه أثناء التحقيق لكل فقرة وعبارة وكلمة، والتحري والتثبت من نسخ الكتاب، لتمييز ما نفاه الذهبي عن الإمام أحمد وعده موضوعًا عليه من نسخ الكتاب وزياداته، وما أجمع أصحابه على نسبته إليه!

وبعيد جدًّا أن ينفي الذهبي أن يكون للإمام أحمد كتاب بهذا الاسم، وفي الوقت نفسه يحتج هو به ويعزو إليه!

فقد قال: (وقال عبد الله: وجدت بخط أبي مما يحتج به على الجهمية من القرآن: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٨٦).

٨٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ [آل عمران: ٤٥] ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ﴾ [النساء: ١٧١] ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥] ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النمل: ٩] ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩] ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢] ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] قلت [أي الذهبي]: وذكر آيات كثيرة في الصفات، أنا تركت كتابتها هنا)[١].

وقال الذهبي أيضًا: (وروى عبد الله بن نافع قال: قال مالك ابن أنس: الله في السماء، وعلمه في كل مكان. هذا حديث ثابت عن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أخرجه عبدالله بن أحمد بن حنبل في كتاب «الرد على الجهمية» عن أبيه، عن سريج بن النعمان، عن عبد الله بن نافع، تلميذ مالك وخَصِيصه)[٢].

وهذا النص ليس في كتاب «الرد على الزنادقة والجهمية» المطبوع بهذا الاسم، وإنما في كتاب «السنة» لعبدالله بن أحمد[٣] وهو مشهور أيضًا باسم «الرد على الجهمية» فقد سماه بذلك السِّجْزي وغيره كما سيأتي.

---

(١) تاريخ الإسلام، تحقيق بشار (٥/ ١٠٢٤).
(٢) العرش (٢/ ٢٢٨ مسألة ١٥٥).
(٣) السنة لعبد الله بن أحمد (رقم ٥٣٢).

وقال الذهبي أيضًا: (وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «الرد على الجهمية» مما جمعه ورواه عبد الله ابنه عنه: «باب بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش».

قلت لهم: أنكرتم أن يكون الله على العرش، وقد قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

فقالوا: هو تحت الأرض السابعة، كما هو على العرش، وفي السموات وفي الأرض.

فقلنا: قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شيء، أجسامكم وأجوافكم والحشوش والأماكن القذرة ليس فيها من عظمته شيء، وقد أخبرنا عَزَّوَجَلَّ أنه في السماء فقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ [الملك: ١٦ - ١٧] ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٨] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠] فقد خبر سبحانه أنه في السماء.

أخرجه كله أبو بكر الخلال في «السنة»[١] وخرج أكثره مفرّقًا في غير موضع القاضي أبو يعلى الفراء في كتاب «إبطال التأويل»[٢] له)[٣].

وهذا النص الذي ذكره الذهبي هنا عن الإمام أحمد في مسألة

(١) السنة للخلال (٢/ ٤٤٠ - ٤٤٣).
(٢) إبطال التاويلات (ص ٢٣٣).
(٣) العرش (٢/ ٣١٩ - ٣٢١ مسألة ٢٢٤).

العلو - وعزاه إلى كتابه «الرد على الجهمية» من رواية عبدالله عن أبيه - موجود في كتابنا هذا «الرد على الزنادقة والجهمية» المخطوط والمطبوع الذي لا يوجد منه شيء في كتاب «السنة» لعبدالله ولا في «السنة» للخلال ولا في غيره من كتب أصحاب أحمد!

فالذهبي هنا يعزو كلام الإمام أحمد إلى مصدرين مختلفين:

الأول: كتاب «الرد على الجهمية» الذي ألفه عبد الله وجمعه، وروى عن أبيه فيه أصل «الرد على الجهمية» وهو أحد رواة هذا الكتاب عن أبيه، كما رواه غيره من أصحاب أبيه عنه، وإنما زاد عبدالله على كتاب أبيه زيادات كثيرة عن شيوخه في كل باب في كتابه «السنة» كما فعل ذلك في زوائده على مسند أبيه، وزوائده على كتاب أبيه «فضائل الصحابة» فالأصل للإمام أحمد والزوائد لعبدالله بن أحمد، كالشرح لكتب أبيه، والتأكيد على موافقة شيوخه الآخرين لما قاله ورواه أبوه الإمام أحمد.

والثاني: كتاب «الرد على الجهمية» للإمام أحمد الذي يروى عن طريق عبدالله.

والذهبي يثبت كِلا الكتابين وينقل عنهما!

ويبقى احتمال أن الذهبي كان يعزو إلى كتاب الإمام أحمد «الرد على الجهمية» أولًا من هذه النسخة التي نحن بصدد تحقيق القول فيها، ثم تبين له لاحقًا أنها ليست كتاب أحمد، بل نسخة موضوعة عليه. ويحتمل أنه لم ينقل عن النسخة الموضوعة شيئًا، ويكون ما

أثبته من الكتاب وما عزاه إليه هو من النسخة الصحيحة في نظر الذهبي !

ويشكل عليه قوله هنا أن الخلال أخرجه كله في كتابه «السنة» بينما الخلال - كما سيثبت معنا - لم يخرج من هذه النسخة التي نقل الذهبي عنها شيئًا ألبتة، وإنما الذي خرجه الخلال كله وفرقه في كتابه هو كتاب «السنة» لعبدالله، وكتاب «الرد على الجهمية» للإمام أحمد الذي ليس فيه ما نقله الذهبي عنه وعزاه إليه!

فيحتمل أن الذهبي هنا قال ما قال عن الخلال - وتخريجه لكتاب «الرد على الجهمية» مفرّقًا في كتابه - تقليدًا منه لشيخه ابن تيمية، لا عن وقوف منه مباشرة على كتاب الخلال، فعبارته هي عبارة ابن تيمية، فيكون قد تبين له لاحقًا أن تلك النسخة لا تصح عن الإمام أحمد فنفاها عنه، أو يكون نفاها عنه أولًا ثم تراجع وأثبتها له وعزا إليها ذلك النص! وعلى كل فهذه قضية شائكة مشكلة تحتاج إلى تأنٍّ وتؤدة في البحث والتحقيق.

وقد طبع كتاب عبدالله عن أبيه، بزوائده، بعنوان «السنة» لعبدالله بن أحمد، وعرف أيضًا باسم «الرد على الجهمية» فصار هناك كتابان ينسبان للإمام أحمد كلاهما بعنوان «الرد على الجهمية» وهو هذا الكتاب الذي نحن بصدد تحليل نصوصه والتحقق منه، وكتاب آخر اشتهر أيضًا باسم «الرد على الجهمية» وطبع باسم «السنة» لعبدالله بن أحمد، ومن كلا الكتابين نقل الذهبي وعزا

إليهما، ولم ينفهما عن الإمام أحمد!

وقد ذكر الإمام السِّجْزي في كتابه «الحرف والصوت» نصًّا عن الإمام أحمد عزاه إلى كتاب «الرد على الجهمية» قال:

(عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إذا تكلم الله سبحانه بالوحي، سمع صوته أهل السماء فيخرون سُجّدًا[١]. ذكره بهذا اللفظ عبد الله بن أحمد عن أبيه في كتاب «الرد على الجهمية» وما في رواته إلا إمام مقبول)[٢].

وهذا النص الذي أورده السِّجْزي ثابت في كتاب «السنة» المطبوع لعبدالله بن أحمد، وفيه: (وسُئل عما جحدته الجهمية من كلام رب العالمين ... وقال أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إذا تكلم الله عَزَّوَجَلَّ سُمع له صوت كجر السلسلة على الصفوان. قال أبي: وهذا الجهمية تنكره! وقال أبي: هؤلاء كفار، يريدون أن يموِّهوا على الناس، من زعم أن الله عَزَّوَجَلَّ لم يتكلم فهو كافر، إلا إنا نروي هذه الأحاديث كما جاءت)[٣]. ثم ذكر عبدالله باب «الرد على الجهمية» ثم قال: (وجدت في كتاب أبي بخط يده مما يحتج به على الجهمية من القرآن الكريم)[٤].

فسمى السِّجْزي كتاب «السُّنّة» لعبدالله بن أحمد «الرد على الجهمية».

(١) السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٢٨١ المسألة ٥٣٦).
(٢) الحرف والصوت (ص ٢٥٤).
(٣) السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٢٨٠ - ٢٨١ المسألة ٥٣٤).
(٤) السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٥١٢ المسألة ١٢٠٢).

وقال السِّجْزي أيضًا: (وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب «الرد على الجهمية»: سألت أبي فقلت: إن قومًا يزعمون أن الله لا يتكلم بصوت؟ فقال أبي: بلى، إن الله سبحانه يتكلم بصوت، وإنما ينكر هذا الجهمية، وإنما يدورون على التعطيل)[(١)].

فأصل كتاب «السنة» أو «الرد على الجهمية» للإمام أحمد، والزيادات عليه من ابنه عبدالله هي من رواياته عن شيوخه الآخرين، كما هي عادته في كتب أبيه وزياداته عليها، فتارة يُنسب الكتاب للإمام بحكم أن الأصل له، وتارة يعزى لابنه عبدالله لزياداته عليه بأسانيده، كالشرح والبيان والتأكيد على موافقة أئمة السنة الآخرين لما قرره الإمام أحمد في رده على الجهمية.

قال الذهبي: (وقال القاضي أبو يعلى الفراء في كتاب «إبطال التأويل» له: لا يجوز رد هذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات لله لا تُشبَّهُ بسائر صفات الموصوفين بها من الخلق[(٢)].

ويدل على إبطال التأويل أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغًا لكانوا إليه أسبق لما فيه من إزالة التشبيه، يعني على زعم من قال إن ظاهرها التشبيه.

(١) الحرف والصوت (ص ٢٥٨).
(٢) إبطال التأويلات (ص ٤٣ المسألة ٤).

وقال [يعني أبو يعلى] بعد أن ذكر حديث الجارية[(١)]: اعلم أن الكلام في هذا الخبر في فصلين: أحدهما في جواز السؤال عنه سبحانه بـ(أين هو؟) وجواز الإخبار عنه بأنه في السماء[(٢)]. وذكر أشياء إلى أن قال: وقد أطلق أحمد بذلك فيما أخرجه في «الرد على الجهمية» فقال: فقد أخبرنا بأنه في السماء، فقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وقال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] فقد أخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنه في السماء، وهو على عرشه[(٣)]. وذكر كلامًا طويلًا ليس هذا موضعه.

وأما القاضي هذا فهو أجل الحنابلة في وقته، وأعلم بمذهب أحمد وباختلاف العلماء، صنف كتبًا كثيرة في المذهب والخلاف والأصول رَحِمَهُ ٱللَّهُ. توفي قبل الستين وأربعمائة)[(٤)].

وهذا النص الذي ذكره أبو يعلى ونقله عنه الذهبي ثابت في كتاب «الرد على الزنادقة والجهمية» للإمام أحمد، المطبوع والمخطوط، الذي نحن بصدد تحقيق نسبته للإمام أحمد، وهو في

(١) يعني حديث معاوية بن الحكم قال: كانت لي جارية ترعى غنمًا قِبل أُحُد والجوّانية، فاطّلعتُ ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وإني رجل من بني آدم آسفُ كما يأسفون، لكني صككْتُها صكّة، فأتيت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فذكرت ذلك له، فعظّم ذلك عليّ، فقلت: يا رسول الله، ألا أُعتقها؟ قال: «ائتني بها» فأتيته بها، فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «فمن أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «أعتِقْها فإنها مؤمنة» أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب: تحريم الكلام في الصلاة (رقم ٥٣٧).

(٢) إبطال التأويلات (ص ٢٣٢ المسألة ٢٢٥).

(٣) إبطال التأويلات (ص ٢٣٣ المسألة ٢٢٧).

(٤) العرش (٢/ ٤٦٠ - ٤٦٢ المسألة ٢٧٦).

كتاب أبي يعلى المطبوع.

فالذهبي هنا يحتج بنقل أبي يعلى عن الإمام أحمد من كتابه «الرد على الجهمية» ويقول إنه أعلم الحنابلة في عصره بمذهب أحمد!

وهذا النص أورده ابن القيم أيضًا، فقال: (قال الإمام أحمد، فيما حكاه الخلال عنه في «الجامع» قال في رواية ابنه عبد الله: باب ما أنكرت الجهمية الضلال أن يكون الله على العرش.

قلنا: لم أنكرتم أن الله على العرش، وقد قال جل ثناؤه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الحديد: ٤] ثم قال: وقد أخبرنا أنه في السماء، فقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ [الملك: ١٧] وقال جل ثناؤه: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] وقال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وقال: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٩] وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠] وقال: ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقد أخبر الله أنه في السماء.

ووجدنا كل شيء أسفل مذمومًا، يقول جل ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. إلى أن قال: ومعنى قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ٣] يقول: هو إله من في السموات

وإلـه مـن في الأرض، وهـو الله عـلى العـرش، وقـد أحـاط علمـه بـما دون العـرش، لا يخلـو مـن علـم الله مـكان)[1].

وكـذا أورده ابـن تيميـة، فقـال: (وممـن ذكـر ذلـك الإمـام أحمـد فيـما خرجـه في «الـرد عـلى الزنادقـة والجهميـة» قـال: بيـان مـا أنكـرت الجهميـة الضـلال أن يكـون الله عـلى العـرش. قلنـا: لم أنكرتـم أن الله عـلى العـرش وقـد قـال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه: ٥]؟

فقالـوا: هـو تحـت الأرضـين السـبعة كـما هـو عـلى العـرش، فهـو عـلى العـرش، وفي السـماوات، وفي الأرض، وفي كل مـكان، لا يخلـو منـه مـكان، ولا يكـون في مـكان دون مـكان. وتلـوا آيـات مـن القـرآن: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ٣].

فقلنـا: قـد عـرف المسـلمون أماكـن كثـيرة ليـس فيهـا مـن عظـم الـرب شيء.

فقالوا: أي شيء؟

قلنـا: أحشـاؤكم وأجوافكـم، وأجـواف الخنازيـر والحشـوش والأماكـن القـذرة، ليـس فيهـا مـن عظـم الـرب شيء، وقـد أخبرنـا أنـه في السـماء فقـال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ [الملك: ١٦-١٧] وقـال تعـالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] وقـال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقـال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وقـال: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي

---

(١) الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٩٨ - ١٣٠٠).

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٩] وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠] وقال: ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقد أخبر الله أنه في السماء، ووجدنا كل شيء أسفل مذمومًا، بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]وقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩﴾ [فصلت: ٢٩].

وقلنا لهم: أليس تعلمون أن إبليس مكانه مكان، فلم يكن الله ليجتمع هو وإبليس في مكان واحد! ولكن معنى قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ٣] يقول: هو إله من في السماوات وإله من في الأرض، وهو الله على العرش، وقد أحاط الله بعلمه ما دون العرش، لا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان)[1].

فثبت أن الذهبي لا ينفي نسبة كتاب «الرد على الجهمية» للإمام أحمد، وإنما ينفي نسبة كتاب موضوع ادُّعِي في عصر الذهبي أنه هو «الرد على الجهمية» للإمام أحمد، بينما هو في الحقيقة موضوع عليه، دخيل في نسبته إليه! ومع ذلك نقل بعض النصوص منه التي ربما اطمأن الذهبي إلى ثبوتها عن الإمام أحمد.

وقد وهم الشيخ الأرنؤوط وهمًا فاحشًا حين خلط بين «الرد على الجهمية» للإمام أحمد الذي تكلم عليه الذهبي، وكتاب «الرد على الجهمية» لولده عبدالله الذي ألفه وجمعه شرحًا لكتاب أبيه،

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٦/ ١٣٧ - ١٤٠).

وذلك في تعليقه في حاشيته على «سير الأعلام» حيث يقول:

(ويرى المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذا الكتاب موضوع على الإمام أحمد، لا تصح نسبته إليه، كما سيجيء ذلك في ترجمته في الجزء الحادي عشر من هذا الكتاب، ومما يؤكد قوله أن في السند إليه مجهولًا، وهو الخضر بن المثنى، والرواية عن مجهول مقدوح فيها مطعون في سندها، على أن فيه آراء تخالف ما كان عليه السلف الصالح من معتقد، ويختلف عما جاء عن الامام في غيره مما صح عنه، ولا نجد لهذا الكتاب ذكرًا لدى أقرب الناس إلى الامام أحمد ممن عاصروه وجالسوه أو أتوا بعده مباشرة، وهم على مشْربه، وكتبوا في الموضوع ذاته، كالامام البخاري ت ٢٥٦ وعبد الله مسلم بن قتيبة ت ٢٧٦ وأبي سعيد الدارمي ت ٢٨٠ وأبو الحسن الأشعري قد ذكر عقيدة الامام أحمد في كتابه «مقالات الإسلاميين» لكنه لم يشر إلى هذا الكتاب مطلقًا، ولم يستفد منه شيئًا)[1].

وذلك تعليقًا منه على كلام الذهبي وقوله: (وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب «الرد على الجهمية» له قال: حدثني أبي، حدثنا سريج بن النعمان، عن عبد الله بن نافع قال: قال مالك: الله في السماء، وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء[2])[3].

وهذا النص هو في كتاب «السنة» لعبدالله بن أحمد، وهو

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٨٧ هامش ١).

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٢٨١ المسألة ٥٣٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠١ هامش ١).

معــروف أيضًــا باســم «الــرد عــلى الجهميــة» وهــذا النــص المذكــور موجــود فيــه، وليــس موجــودًا في كتــاب «الــرد عــلى الجهميــة» للإمــام أحمــد الــذي نفــاه الذهبــي!

والذهبي يؤكـد في كل مـرة ينقـل مـن كتـاب عبـدالله أنـه لـه ومـن تأليفـه وجمعـه، ولم ينفـه عنـه قـط، ولم يشـك في نسـبته إليـه، وليـس هـذا الكتـاب أصـلًا مـن روايـة الخضر بـن مثنـى!

وقــد قــال الذهبــي نفســه: (ولعبــد الله كتــاب «الــرد عــلى الجهميــة»)[1] ولم ينفــه عنــه!

وأصرح منه قولـه: (وقـال عبـد الله بـن أحمـد في كتـاب «الـرد عـلى الجهميـة» تأليفـه: سـألت أبي عـن قـوم يقولـون: لما كلـم الله موسـى لم يتكلـم بصـوت. فقـال أبي: بـلى تكلـم - جـل ثنـاؤه - بصـوت. هـذه الأحاديـث نرويهـا كـما جـاءت)[2].

فقـد نـص عـلى أنـه مـن تأليفـه، وهـذا النـص موجـود في كتـاب «السـنة» لعبـدالله[3]. ولا يـزال الأئمـة ينقلـون منـه ويروُونـه عـن عبـد الله بأسـانيدهم الصحيحـة.

قـال الإمـام اللالكائـي: (أخبرنـا محمـد بـن عبـد الله بـن الحجـاج قـال: أخبرنـا أحمـد بـن الحسـين قـال: ثنـا عبـد الله بـن أحمـد قـال: ثنـا أبي قـال: ثنـا سريـج بـن النعـمان قـال: حدثنـي عبـد الله بـن نافـع قـال:

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٢٣).

(٢) تاريخ الإسلام (١٨/ ٨٨).

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٢٨٠ المسألة ٥٣٣).

مُلك الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء)[١].

وقال أيضًا: (أخبرنا محمد بن عبد الله بن الحجاج قال: ثنا أحمد بن الحسن قال: ثنا عبد الله بن أحمد قال: ثنا أبي قال: ثنا سريج بن النعمان قال: ثنا عبد الله بن نافع قال: كان مالك يقول: كلم الله عَزَّوَجَلَّ موسى)[٢].

وقد نقل عنه اللالكائي عشرات النصوص، وكذا نقل عنه ابن بطة، والنجاد، وقوام السنة الأصبهاني، والدولابي، وغيرهم من الأئمة، كما سيأتي!

وقد نقل ابن عبد البر عن الدولابي قوله: (وأخبرنى عبد الله ابن أحمد بن حنبل[٣] قال: نا أبي قال: نا سريج بن النعمان قال: نا عبد الله بن نافع قال: كان مالك بن أنس يقول: الإيمان قول وعمل. ويقول: القرآن كلام الله. ويقول: من قال: القرآن مخلوق. يوجع ضربًا ويحبس حتى يتوب. وكان مالك يقول: الله في السماء، وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء)[٤].

ولم يذكر أحد منهم في إسناده الخضر بن المثنى، وإنما ذاك كتاب أبيه «الرد على الجهمية» الذي نحن بصدد تحقيق القول فيه في هذه الرسالة!

---

(١) شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٤٤٥ رقم ٦٧٣).
(٢) شرح أصول الاعتقاد (٢/ ٣٨٣ رقم ٥٧٩).
(٣) السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ١٠٦ المسألة ١١).
(٤) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (ص ٣٤ - ٣٥).

كذلك لم يصب الشيخ الأرنؤوط في حمل عبارة الذهبي على نفي كتاب «الرد على الجهمية» للإمام أحمد نفيًا مطلقًا، حيث قال: (يرى الذهبي أن كتاب «الرد على الجهمية» موضوع على الامام أحمد. وقد شكك أيضًا في نسبة هذا الكتاب إلى الامام أحمد بعض المعاصرين - يعني محمد زاهد الكوثري - في تعليقه على الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية لابن قتيبة - في حاشية ص ٤٠ - ومستنده أن في السند إليه مجهولًا، فقد رواه أبو بكر غلام الخلال، عن الخلال، عن الخضر بن المثنى، عن عبد الله بن أحمد، عن أبيه... والخضر بن المثنى هذا مجهول، والرواية عن مجهول مقدوح فيها مطعون في سندها.

وفيه ما يخالف ما كان عليه السلف من معتقد، ولا يتسق مع ما جاء عن الإمام في غيره مما صح عنه، وهذا هو الذي دعا الذهبي هنا إلى نفي نسبته إلى الامام أحمد، ومع ذلك فإن غير واحد من العلماء قد صححوا نسبة هذا الكتاب إليه ونقلوا عنه وأفادوا منه، منهم القاضي أبو يعلى وأبو الوفاء ابن عقيل والامام البيهقي وابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

وتوجد من الكتاب نسخة خطية في ظاهرية دمشق، ضمن مجموع رقم ١١٦ وهي تشتمل على نص «الرد على الجهمية» فقط، وهو نصف الكتاب، وعن هذا الأصل نشر الكتاب في الشام بتحقيق الأستاذ محمد فهر الشقفة.

ومما يؤكد أن هذا الكتاب ليس للإمام أحمد أننا لا نجد له ذكرًا

لدى أقرب الناس إلى الإمام أحمد بن حنبل، ممن عاصروه وجالسوه، أو أتوا بعده مباشرة وكتبوا في الموضوع ذاته، كالإمام البخاري ت ٢٥٦ هـ وعبد الله بن مسلم بن قتيبة ت ٢٧٦ هـ وأبي سعيد الدارمي، والإمام أبو الحسن الأشعري قد ذكر عقيدة الإمام أحمد في كتابه «مقالات الإسلاميين» لكنه لم يشر إلى هذا الكتاب مطلقًا ولم يستفد منه شيئًا)[(١)] انتهى كلام الشيخ الأرنؤوط.

وهذا استدلال فيه نظر، وأي نظر! فليس من شرط صحة نسبة كتاب لمؤلفه استفادة من جاء بعده منه! فإذا ثبتت نسبته للمؤلف بطرق الإثبات الصحيحة فلا يضره بعد ذلك عدم ذكر غيره له، أو عدم الرجوع إليه والاستفادة منه، إما لاستغنائهم عنه بغيره من المصادر أو لعدم اشتهاره.

كما لا يشترط في إثبات الكتب اتصال أسانيدها إلى مؤلفيها، بل اشتهارها عنهم كاف في إثباتها لهم، ولا يشترط في أسانيدها شروط الحديث الصحيح عند أهل الحديث، فهذا شطط في الرأي لم يشترطه أحد!

وقد ذكر هذا الكتاب ونسبه إلى الإمام أحمد ولَدُهُ عبدالله بن أحمد والخلال وابن النديم وأبو يعلى الحنبلي وابن عقيل، وأفادوا منه، وهذا كاف في صحة نسبته إلى الإمام أحمد، ومن علم حجة على من لم يعلم، والمثبِت مقدم على النافي!

وإنما الواجب على المحقق التأكد والتحقق من صحة مضمون

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٨٧ هامش ١).

النسخ المخطوطة للكتاب، وأنها فعلًا هي كتاب «الرد على الجهمية» ليست لغيره، ولم يدخل فيها ما ليس منه، سواء على سبيل الشرح والإيضاح، أو على سبيل الفوائد التي يدونها أحيانًا أصحاب النسخ على حواشي نسخهم من كتب أخرى لتعلقها بموضوع الكتاب الذي نسخوه، فيأتي من بعدهم، سواء من النساخ أو المحققين، فيظنونها من لواحق الكتاب نفسه، استدركها الناسخ، فينشرها المحقق على أنها منه، بينما هي ليست منه!

وقد عزا أبو يعلى الحنبلي في كتابه «إبطال التأويلات» إلى كتاب «الرد على الجهمية» في عدة مواضع، فقال: (وقد أومأ إليه أحمد فيما خرجه في «الرد على الجهمية» فقال: إذا أردت أن تعرف أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أنه في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، فقل له: أليس كان الله ولا شيء؟ فحين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجًا من نفسه؟ فإن قال: خلقه في نفسه. كفر، وإن قال: خلقه خارجًا من نفسه ثم دخل فيهم. كان أيضًا كُفر، حين [قال] دخل في مكان وحيز بل وحش، وإن قال: خلقهم خارجًا من نفسه ولم يدخل فيهم. رجع عن قوله، وهو قول أهل السنة)(١).

وقال: (وقال [يعني أحمد] فيما خرجه في «الرد على الجهمية» في الأحاديث التي رويت: «يجيء القرآن في صورة الشاب» فقال:

---

(١) إبطال التأويلات (٤٤٤ رقم ٤١٧).

كلام الله لا يجيء، ولا يتغير من حال إلى حال)[١].

وقال: (وقد قال أحمد في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]: هي علمه؛ لأنه افتتح الآية بالعلم فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ وختمه بالعلم فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ وأما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ [النجم: ٨-٩] فظاهره يقتضي دنوًّا من الذات؛ لأن القصد بذلك كرامته)[٢].

وقال: (وقد نص أحمد على معنى هذا فيما خرجه في «الرد على الزنادقة والجهمية» فقال: وأما قوله جل ثناؤه: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] يقول: من أمره، كما قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] أي: من أمره، وتفسير روح الله إنما معناها أنها روح خلقها الله، كما يقال: عبد الله، وسماء الله، وأرض الله)[٣].

وقال: (وقد قال أحمد في قوله تعالى لموسى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ [طه: ٤٦] أدفع عنكما، وقوله: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] في الدفع عنا، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] يقول: في النصر لهم على عدوهم، وقوله: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥] في النصر لكم على عدوكم)[٤].

وقال أبو يعلى أيضًا: (وقد احتج أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدلائل العقول

---

(١) إبطال التاويلات (٣٩٦ رقم ٣٧٣).
(٢) إبطال التاويلات (٢٣٠ رقم ٢١١).
(٣) إبطال التأويلات (٢٩٨ - ٢٩٩ رقم ٢٩٣).
(٤) إبطال التأويلات (٤٥٤ رقم ٤٢٤).

في مواضع فيما خرجه في «الرد على الزنادقة والجهمية» رواية عبد الله عنه، فقال: إذا قلنا: لم يزل الله تعالى بصفاته كلها، إنما نصف إلهًا واحدًا بجميع صفاته. وضربنا لهم في ذلك مثلًا فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة، أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخُوص وجُمّار! سميت نخلة بجميع صفاتها، كذلك الله تعالى، وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد.

وقلنا للجهمية: زعمتم أن الله تعالى في كل مكان، وهو نور، فلم لا يضيء البيت المظلم من النور الذي هو فيه إذ زعمتم أن الله تعالى في كل مكان! وما بال السراج إذا دخل البيت يضيء!

وقال: لو أن رجلًا كان في يده قدح من قوارير صافٍ، وفيه شيء صافٍ، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله له المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه)[1].

وكل هذه النصوص التي أوردها أبو يعلى ثابتة أيضًا في الكتاب المطبوع المنسوب للإمام أحمد بعنوان «الرد على الزنادقة والجهمية» فثبت يقينًا أنه هو كتاب الإمام أحمد المشهور عند أهل مذهبه، وبقي ضرورة تمييز ما هو من كلامه فعلًا في هذا الكتاب، وما هو منسوب إليه خطأ، مما حدا الذهبي للجزم بوضعه عليه، لورود ألفاظ لا يتصور صدورها منه!

(١) العدة في أصول الفقه (٤/ ١٢٧٣ - ١٢٧٥).

المبحث الثاني

نشر كتاب «الرد على الجهمية» بلا تحقيق علمي

وقد طبع كتاب «الرد على الجهمية» للإمام أحمد طبعات كثيرة، وفي أكثرها زيادات كبيرة تصل إلى ثلث الكتاب أو النصف ليست عند التحقيق من الكتاب أصلًا، ولا توجد هذه الزيادات في نسخ الكتاب المخطوطة الأقدم التي نقل منها أبو يعلى ومن جاء بعده، وهذه النسخ المزيدة هي التي كما يبدو عناها الذهبي ونفاها عن أحمد وقال عنها إنها موضوعة عليه!

ولم يسلم من الوقوع في هذا الخطأ من الطبعات فيما يبدو إلا طبعة دمشق بتحقيق محمد فهر شقفة، مع أنها هي أيضًا وإن اقتصرت على نصف الكتاب كما في النسخ القديمة لا تثبت أيضًا عن الإمام أحمد!

ولهذا وجب التحري، ما أمكن، عند التحقيق لكتب التراث وطباعتها ونشرها اختيار النسخ الأقدم نسخًا والأصح سندًا والأقرب لعصر المؤلف عهدًا، وعدم الاكتفاء في إثبات نسبة الكتاب للمؤلف بوجود العنوان على النسخ الخطية، بل الأهم إثبات أن النسخ المخطوطة التي حُقق عليها نص الكتاب هي فعلًا نسخ الكتاب الأصلية، مأخوذة عن نسخ صحيحة منقولة عنها، ومقارنتها بنصوص الإمام الأخرى التي رواها عنه أصحابه، والتحقق من أنه ليس فيها ما ليس منه، وما لا يثبت عن الإمام

من طرق أخرى.

وهو ما لم يتوفر حتى الآن لهذه الرسالة الجليلة، وذلك أنه ضُمّ إليها في أكثر طباعتها المشهورة ما ليس منها قطعًا، بل وجُعل هذا الدخيل عليها في مقدمتها، كما وقع في آخر طباعتها التي قوبلت على تسع نسخ خطية، بتحقيق دغش العجمي، وبتقريظ الشيخ صالح الفوزان وصالح آل الشيخ، وهو باب «الرد على الزنادقة فيما ادّعوه من تعارض آيات القرآن، وجواب الإمام أحمد عليهم في كل آية» حيث بدأ هذا الكتاب المطبوع بتحقيق العجمي بعد خطبة الإمام المشهورة، بقول:

(قال أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قول الله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ [النساء: ٥٦]: قالت الزنادقة: فما بال جلودهم التي عصت احترقت فأبدلهم جلودًا غيرها! فلا نُرى إلا أن الله قد عذب جلودًا لم تذنب! فشكُّوا في القرآن وزعموا أنه متناقض)[١].

وفي بعض النسخ: (باب: هذا بيان ما ضلت الزنادقة فيه من متشابه القرآن: في قول الله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ فقلت: إن قول الله تعالى: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ ليس يعني جلودًا غير جلودهم، وإنما يعني: بدلناهم جلودًا غيرها، تبديلها تجديدها؛ لأن جلودهم إذا نضجت جددها الله... فزعموا أن هذا الكلام ينقض بعضه بعضًا، فشكُّوا في القرآن)[٢].

(١) الرد على الزنادقة (ص ١٧٥).
(٢) الرد على الزنادقة (ص ١٧٥).

وأورد آيات كثيرة ظاهرها مشكل، وأجاب عنها، وأخذ هذا الفصل نحو ثلث الكتاب المطبوع تقريبًا، وليس أسلوب هذا الباب كله أسلوب الإمام أحمد، ولا هي طريقته الحديثية في تفسير القرآن بذكر الحديث أو الأثر إن وجد، والاكتفاء به وعدم التفسير بمحض الرأي! ولا طريقته في التأليف على السجية بلا تكلف إيراد أدلة المخالف والرد عليها دليلًا دليلًا!

ولهذا لم يرد هذا الفصل وهذه الزيادات المقحمة كلها في النسخ القديمة للكتاب، كما ذكر ذلك المحقق نفسه، كما في مخطوطة الظاهرية (رقم ١١٦) بخط محمد المقدسي، وكما في النسخة التركية، وغيرها من النسخ التسع التي حقق العجمي الكتاب عليها، وقد بدأت تلك النسخ بخطبة الكتاب المشهورة:

(الحمد الله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى... ينفُون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة.. فنعوذ بالله من الفتن)[(١)].

ثم قال الإمام أحمد مباشرة: (وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث، وأضلوا بكلامهم بشرًا كثيرًا)[(٢)].

فهذا أول الكتاب في نسخة محمد المقدسي، وهي من رواية

(١) الرد على الزنادقة (ص ١٧٠ - ١٧٤).
(٢) الرد على الزنادقة (لوحة ٢).

عبدالله عن أبيه الإمام أحمد بعنوان «الرد على الزنادقة والجهمية» قال صاحب النسخة: (أخبرنا أبو طاهر المبارك بن المبارك بن المعطوش في كتابه، أن أبا الغنائم محمد بن محمد بن أحمد بن المهتدي بالله أجازهم أن أبا القاسم عبدالعزيز بن علي الأزجي أجاز لهم، عن أبي بكر عبد العزيز المعروف بغلام الخلال أداءً قال: أخبرني الخضر بن المثنى الكندي قال: أنبأنا عبد الله بن أحمد بن حنبل)[١].

و«ابن المعطوش» قال الذهبي عنه: (الشيخ العالم الثقة المعمّر، أبو طاهر، المبارك بن المبارك بن هبة الله بن المعطوش الحريمي البغدادي العطار، أخو أبي القاسم المبارك. ولد في رجب سنة سبع وخمسمائة. وسمع من أبي علي محمد بن محمد بن المهدي، وأبي الغنائم محمد بن محمد بن المهتدي بالله، وهبة الله بن الحصين وحدث عنه بجميع المسند ... حدث عنه ابن الدبيثي، وابن خليل، وابن النجار، وأبو موسى بن الحافظ، واليلداني، وابن عبد الدائم، والنجيب، وآخرون... قال ابن نقطة: توفي في عاشر جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وكان سماعه صحيحًا)[٢].

و«أبو الغنائم» قال الذهبي عنه: (الشيخ الجليل الصالح العدل الصادق، أبو الغنائم محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن المهتدي بالله الهاشمي العباسي، البغدادي الحريمي، الخطيب، من

(١) الرد على الزنادقة (لوحة ٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٠٠ - ٤٠١).

بقايا المسندين ببغداد. سمع أبا القاسم ابن لؤلؤ، وأبا الحسن القزويني، وأبا إسحاق البرمكي، وأبا محمد الجوهري. حدث عنه ابن ناصر، والسِّلفي، وذاكر بن كامل، وأبو طاهر المبارك بن المعطوش، وآخرون، وأجاز للخشوعي. مولده في سنة ست وثلاثين وأربعمائة، ومات في ربيع الأول سنة ٥١٧)[1].

و«الأزجِيّ» قال الذهبي عنه: (الشيخ الإمام المحدث المفيد، أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الفضل بن شكّر البغدادي الأزجي. سمع الكثير من ابن كيسان، وأبي عبد الله العسكري، وأبي الحسن ابن لؤلؤ، وأبي سعيد الحُرْفِيّ، وعبد العزيز الخِرقِيّ، ومحمد بن أحمد الجرجرائي المفيد، وابن المظفر، والدارقطني، وخلق. وعني بالحديث. روى عنه الخطيب، والقاضي أبو يعلى، وعبد الله بن سبعون القيرواني، والحسين بن علي الكاشغري، وحمد بن إسماعيل الهمذاني، والمبارك بن الطيوري وخلق. له مصنف في الصفات لم يهذبه. قال الخطيب: كتبنا عنه وكان صدوقًا كثير الكتاب. مولده في سنة ست وخمسين وثلاثمائة. وتوفي في شعبان سنة أربع وأربعين وأربعمائة)[2].

و«أبو بكر عبد العزيز غلام الخلال» قال الذهبي عنه: (الشيخ الإمام العلامة، شيخ الحنابلة، أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزداد البغدادي الفقيه، تلميذ أبي بكر الخلال. ولد سنة

(١) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٦٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨ – ١٩).

خمس وثمانين ومائتين... وتفقه به ابن بطة، وأبو إسحاق بن شاقْلا، وأبو حفص العكبري، وأبو الحسن التميمي، وأبو حفص البرمكي، وأبو عبد الله بن حامد... قال ابن الفراء: توفي في شوال سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وله ثمان وسبعون سنة، في سن شيخه الخلال، وسن شيخ شيخه أبي بكر المروذي، وسن شيخ المروذي الإمام أحمد)[١].

وكذا وافقت نسخة المقدسي هذه ثلاثُ نسخ قديمة للكتاب ليس فيها ذلك الباب في الرد على الزنادقة، واستدلالهم بآيات ظاهرها التناقض وجواب الإمام أحمد عنها.

وقد قال المحقق في مقدمة التحقيق: (انفردت النسخة الظاهرية ونسخة ريغان كشك ونسخة أمريكا وفرنسا، عن بقية النسخ، بحذف الجزء الأول من الرسالة المتعلق فيما شكت فيه الزنادقة من متشابه القرآن)[٢].

فاعتبر المحقق أن هذه النسخ الأربع، وهي الأقدم تاريخًا من باقي النسخ، قد انفردت بعدم ذكر هذا الفصل، بينما الصحيح أن الذي انفرد هي النسخ الأحدث تاريخًا بزيادة هذا الفصل!

ثم لا يصدق على هذا الخلل بأنه انفراد، إذ الانفراد ما تفردت به نسخة عن باقي النسخ، لا أربع نسخ يفترض أنها هي الأصل؛ لأنها الأقدم! وهذا اختلاف شديد يوجب التحري والتثبت والشك

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٤٣ - ١٤٤).

(٢) الرد على الزنادقة (ص ١٣٤).

في الزيـادة نفسـها لا في عدمها!

وقـد عـد المحقـق هـذا الخلـل والخـلاف مـن تـصرف الناسـخ، وأنـه حـذف القسـم الأول مـن الكتـاب، ورجـح صحة هـذه الزيـادة لأن اسـم الكتـاب فيـه الـرد عـلى الزنادقـة، وأن الكتـاب يتضمـن قسـمين: قسـم الـرد عـلى الجهميـة، وقسـم الـرد عـلى الزنادقـة، وأن هـذه الزيـادة هـي الـرد عـلى الزنادقـة فيجـب ضمهـا للكتـاب!

وكل ذلـك ظنـون وأوهـام لا حقيقـة لهـا، إذ الاسـم المشـهور للكتـاب هـو «الـرد عـلى الجهميـة» كـما في تسـمية عبـدالله بـن أحمـد وأبي يعـلى، وزيـادة لفـظ «الزنادقـة» في عنوانـه لا تعنـي أكثـر مـن وصف الجهميـة بهـذا الوصـف كـما أطلقـه عليهـم كثـير مـن الأئمـة، ولا يقتضي أن يكـون الكتـاب ردًّا عـلى طائفتـين، بـل هـو رد عـلى الجهميـة فحسـب ومـن قـال بقولهـم وانتحـل شـبهتهم.

فالجهميـة نسـبة لجهـم بـن صفـوان داعيـة هـذا الـرأي، والزنادقـة نسـبة إلى قـول جهـم نفسـه الـذي عـده كثـير مـن الأئمـة زندقـة تفـضي إلى التعطيـل ونفـي وجـود الله بنفـي صفاتـه!

كـما روى الخـلال عـن الإمـام أحمـد قولـه فيهـم: (كلامهـم كلام الزندقـة، يـدورون عـلى التعطيـل، ليـس يثبتـون شـيئًا، وهكـذا الزنادقـة)[1].

وقـد صرح ابـن تيميـة أن الخـلال نقـل هـذا الكتـاب بألفاظـه في

(١) السنة للخلال (٥/ ١٢٣ رقم ١٧٧٤).

كتب «السنة» فقال: (قال الإمام أحمد فيما خرجه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولت غير تأويله، وقد ذكر هذا الكتاب أبو بكر الخلال في كتاب «السنة» ونقله بألفاظه، وذكره القاضي أبو يعلى وغيرهما)(١).

وهذا يقتضي وجود نصوصه في كتاب «السنة» للخلال، وقد طبع «السنة للخلال» وليس فيه شيء من نصوص «الرد على الجهمية» المطبوع!

ولم يكتف ابن تيمية بهذا العزو للخلال في كتابه «السنة» بل نقل نص الخلال بما لا يدع مجالًا للشك في نسبة الكتاب من جهة، ومعرفة مضمونه من جهة أخرى، فقال:

(كما ذكر الخلال في كتاب «السنة» قال: أخبرنا المروزي قال: هذا ما جمعه واحتج به أبو عبد الله على الجهمية من القرآن، وكتبه بخطه وكتبته من كتابه، فذكر المروزي آيات كثيرة، دون ما ذكر الخضر بن أحمد، عن عبد الله ابن أحمد، وقال فيه: سمعت أبا عبد الله يقول: في القرآن عليهم من الحجج في غير موضع. يعني الجهمية. قال الخلال: وأنبأنا الخضر بن أحمد المثنى الكندي: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: وجدت هذا الكتاب بخط أبي، فيما احتج به على الجهمية، وقد ألف الآيات إلى الآيات في السور، فذكر آيات كثيرة تدل على هذا الأصل، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

(١) تلبيس الجهمية (١/ ٣٥-٣٦).

فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦])[١].

وهذا العزو موافق تمامًا لما في كتاب «السنة» للخلال المطبوع بألفاظه وحروفه كما سيأتي!

فالنصوص الموجودة من «الرد على الجهمية» في كتاب «السنة» للخلال، وذكرها ابن تيمية، تختلف اختلافًا جذريًّا عن النصوص في النسخة المطبوعة من «الرد على الزنادقة والجهمية» وهذا الخلاف بين النسخ لم يقتصر فقط على الاختلاف بين النسخ المتأخرة والقديمة كنسخة المقدسي، بل هو اختلاف شديد حتى بين النسخ القديمة نفسها.

كما بين نسخة المقدسي ونسخة ابن أبي يعلى الحنبلي التي ساق إسناده إليها، وذكر فيها أول كتاب «الرد على الجهمية» بما يعرف منه موضوعه، فقال: (خضر بن مثنى الكندي. نقل عن عبدالله ابن إمامنا أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أشياء، منها «الرد على الجهمية» فيما قرأته على المبارك بن عبد الجبار، عن إبراهيم، عن عبدالعزيز، أبو بكر الخلال: أخبرني خضر بن مثنى الكندي قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قال أبي: بيان ما أنكرت الجهمية أن الله تعالى كلم موسى، فقلنا لهم: لم أنكرتم ذلك؟ قالوا: إن الله لم يتكلم، ولا يتكلم، إنما كون شيئًا فعبّر عن الله عَزَّوَجَلَّ وخلق صوتًا فأسمع..) قال ابن أبي يعلى: (وذكر الرسالة بطولها)[٢].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١١٥ - ١١٦).

(٢) طبقات الحنابلة (٢/ ٤٧ - ٤٨).

فهذا هو أول الكتاب في «الرد على الجهمية» في نسخة ابن أبي يعلى، وإسنادها مختلف عن إسناد نسخة المقدسي، وأول الكتاب عنده مختلف، وموضوعه ما أنكرت الجهمية من صفة الكلام لله، وهي أشهر قضية امتحن فيها الخليفة المأمونُ ثم المعتصمُ ثم الواثقُ الإمام أحمد وأهل السنة في عصرهم!

وهي القضية التي تصدى لها الإمام في رسالته هذه التي كتبها في محبسه، أو مجلسه، ردًّا على الجهمية والزنادقة نفاة الصفات، وليس موضوعها تفسير آيات القرآن التي يدعي فيها الزنادقة التناقض، ليشتغل أحمد بالسجن في التأليف فيها وبيان عدم تعارض تلك الآيات، فهذه لا علاقة لها بالجهمية، ولا بالمحنة التي ابتلي أحمد بها، ولم يذكر أحد أن للإمام أحمد كتابًا في الرد على الزنادقة غير الجهمية!

فاتفقت هاتان النسختان القديمتان؛ نسخة ابن أبي يعلى ونسخة المقدسي المختلفتان إسنادًا وبدايةً، على عدم وجود فصل الرد على الزنادقة والآيات التي ظاهرها التعارض! واختلفتا في أن نسخة المقدسي تبدأ بعد الخطبة بقصة جهم وظهور أمره، بينما تبدأ نسخة ابن أبي يعلى بمسألة بيان ما أنكرت الجهمية أن الله كلم موسى مباشرة!

وإنما المراد بالآيات التي فسرها أحمد واحتج بها الآيات المتشابهة التي استدل بها الجهمية في مسائل الصفات وأشهرها صفة

الكلام، وكون القرآن من كلام الله وعلمه، صفة له، وليس مخلوقًا.

قال ابن تيمية: (وقد تكلم - يعني أحمد - على لفظ الغير في «الرد على الجهمية»)[1].

وقال أيضًا: (وكذلك نص أحمد في كتاب «الرد على الزنادقة والجهمية» أنهم تمسكوا بمتشابه القرآن، وتكلم أحمد على ذلك المتشابه، وبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية، وجرى في ذلك على سنن الأئمة قبله، فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون معنى هذا المتشابه، وأنه لا يسكت عن بيانه وتفسيره، بل يبين ويفسر باتفاق الأئمة، من غير تحريف له عن مواضعه أو إلحاد في أسماء الله وآياته)[2].

فهذا نص صريح على أن الكتاب في الرد على شبهات الجهمية حصرًا فيما تأولوه من آيات القرآن على غير وجهه، لا في الرد على الزنادقة فيما أشكل عليهم من الآيات التي ظاهرها التعارض، وإن لم تكن في قضية خلق القرآن وصفات الله!

وهذه الآيات هي التي عناها ابن تيمية بقوله: (وكذلك قال أحمد في ترجمة كتابه الذي صنفه في الحبس، وهو الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله، ثم فسر أحمد تلك الآيات آية آية، فبين أنها ليست

(١) درء تعارض العقل والنقل (١٠/ ٧١).
(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٩٥).

متشابهة عنده، بل قد عرف معناها)[١].

والزنادقة لا يستدلون بالمتشابه، ولا يتأولون القرآن على غير تأويله كالجهمية، بل يطعنون بالقرآن نفسه استدلالًا بآيات يدّعُون فيها التعارض والتناقض بما يدل على بطلان القرآن نفسه!

وقال ابن تيمية أيضًا: (وقول أحمد فيما كتبه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله، وقوله عن الجهمية إنها تأولت ثلاث آيات من المتشابه، ثم تكلم على معناها)[٢].

وقال: (وللإمام أحمد كتاب الرد على الزنادقة والجهمية مما تأولت فيه من متشابه القرآن، تكلم على الآيات كلها وبين معناها)[٣].

فالآيات كلها هنا التي عناها ابن تيمية المراد بها الآيات التي استدل بها الجهمية من المتشابه فيما تأولوه، وأجاب عنها الإمام أحمد آية آية، في قضية كلام الله، والقرآن خاصة، وصفاته عامة، ورؤيته يوم القيامة، واستوائه على عرشه، وليس المراد الآيات التي ظاهرها التعارض مما لم تتأوله الجهمية، ولم تخالف فيه أصلًا!

وقال أيضًا: (وهذا أحمد بن حنبل، إمام أهل السنة الصابر في المحنة، الذي قد صار للمسلمين معيارًا يفرقون به بين أهل السنة

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٨١).
(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٩١).
(٣) جامع المسائل (١/ ١٥٣).

والبدعة، لما صنف كتابه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله، تكلم على معاني المتشابه الذي اتبعه الزائغون ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، آية آية، وبين معناها وفسرها ليبين فساد تأويل الزائغين، واحتج على أن الله يُرى، وأن القرآن غير مخلوق، وأن الله فوق العرش؛ بالحجج العقلية والسمعية، ورد ما احتج به النفاة من الحجج العقلية والسمعية، وبين معاني الآيات التي سماها هو متشابهة، وفسرها آية آية، وكذلك لما ناظروه واحتجوا عليه بالنصوص جعل يفسرها آية آية وحديثًا حديثًا، ويبين فساد ما تأولها عليه الزائغون، ويبين هو معناها، ولم يقل أحمد إن هذه الآيات والأحاديث لا يفهم معناها إلا الله، ولا قال أحد له ذلك، بل الطوائف كلها مجتمعة على إمكان معرفة معناها)[1].

فقد حدد ابن تيمية موضوع هذه الآيات المتشابهة التي حاجج الإمام أحمدُ الجهمية في معانيها، وأنها محصورة في ثلاث قضايا رئيسة:

١- (أن الله يُرى) يوم القيامة.

٢- (وأن القرآن غير مخلوق).

٣- (وأن الله فوق العرش).

وما ذكره ابن تيمية هنا موافق لما في كتاب «السنة» المطبوع

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤١٤).

للخلال، قال الخلال: (أخبرنا أبو بكر المروذي قال: هذا ما احتج به أبو عبد الله على الجهمية في القرآن، كتب بخطه، وكتبته من كتابه. فذكر المروذي آيات كثيرة دون ما ذكر الخضر بن أحمد عن عبد الله، وقال: وفيه سمعت أبا عبد الله يقول: في القرآن عليهم من الحجج في غير موضع. يعني الجهمية.

قال الخلال: وأخبرنا الخضر بن أحمد بن المثنى الكندي قال: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: وجدت هذا الكتاب بخط أبي فيما يحتج به على الجهمية، وقد ألف الآيات إلى الآيات من السورة، وأول ما ذكر عبد الله: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤] ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣])[1].

فقد ذكر الآيات كلها، وهي حججه على الجهمية فيما تأولوه من المتشابه، وليس فيها شيء من الآيات التي ظاهرها التعارض مما طعن بسببه الزنادقة في القرآن للتشكيك فيه! ثم أورد الخلال أسماء الله الحسنى في القرآن كله.

فقد أفاد هذا النص المحفوظ عن المروذي أن عبدالله بن أحمد استخرج الآيات من كتاب أبيه أحمد «الرد على الجهمية» وقد ألف الخلال بين هذه الآيات في نسخة المروذي التي انتسخها من نسخة أحمد نفسها، ومن نسخة الخضر عن عبدالله بن أحمد، وهي أكثر

(١) السنة للخلال (٢/ ٢٢١ المسألة ١٨٤٣ - ١٨٤٨).

استدلالًا بالآيات في الرد على الجهمية، ورتبها الخلال على ترتيب المصحف: آيات سورة البقرة، آيات سورة آل عمران، آيات سورة النساء.. الخ. وكذا جمع الخلال الأسماء الحسنى التي استدل بها أحمد في كتابه على إثبات الصفات لله، وسردها سردًا فقال: (يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا راحم، يا مالك، يا ملك، يا مليك، يا حي يا قيوم..).

ثم قال الخلال بعدها: (ثم ولّفت ما روى المروذي وعبد الله من هاهنا: في سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] و﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ١١٥] ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧] ﴿يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥] ﴿مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ [البقرة: ١٧٤])(١).

ثم ذكر كل الآيات بترتيب سورها، وهي نحو ٣٠٠ آية، وقد تتبع الخلال الآيات التي احتج بها الإمام أحمد على الجهمية آية آية، وسورة سورة، ورتبها على ترتيب المصحف، حتى سورة البينة.

ثم قال الخلال: (أسماء الله عَزَّوَجَلَّ التي خرجها أبو عبدالله، وهذه الآيات والأحرف في القرآن بيّن [الإمام أحمد] رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في ذلك أنه لا يكون القرآن مخلوقًا بوجه ولا سبب ولا معنى من المعاني، وهذا نقض لفتوى الجهمية الضلال؛ لأن هذه الآيات الأخرى وهذه الأسماء تبين له أنه لا يكون من القرآن شيء مخلوق؛ وأما أسماء

(١) سيأتي إيراد هذه الآيات في الفصل الأخير من هذا البحث.

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فقد وجدتُ أيضًا من أخرجها من كتاب أحمد، وبين مواضعها من القرآن، وهذا تصديق لما ذكره أبو عبد الله له في هذا الموضع من القرآن والأسماء)[(١)].

وهذا نص من الخلال على أن أصل كتاب «الرد على الجهمية» هو رد على فتوى الجهمية التي استصدرها المأمون والقاضي ابن أبي دؤاد من الفقهاء والقضاة في قضية القرآن وأنه مخلوق، وألزموا بها الناس.

وفي نص الخلال دليل على مدى عناية أصحاب أحمد بهذا الكتاب في «الرد على الجهمية» بحيث اعتنوا بجمع الآيات وفهرستها وترتيبها على ترتيب سور المصحف، وكذا استخرجوا الأسماء الحسنى التي استدل بها أحمد من نصوص القرآن والسنة النبوية، ووجد الخلال أن هناك من خرجها غيره أيضًا كما فعل هو.

وليس في هذه الآيات كلها شيء من آيات الرد على الزنادقة المنسوب خطأ للإمام أحمد في النسخ المتأخرة والطبعات المشهورة للكتاب، وآخرها طبعة العجمي بتقريظ الفوزان وآل الشيخ!

ويلاحظ من فهرسة الخلال للآيات الواردة في «الرد على الجهمية» بنسختيه: نسخة الخضر عن عبدالله عن أبيه، ونسخة المروذي عن نسخة الإمام نفسه، ما يلي:

(١) السنة للخلال (٢/ ٢٤٠ - ٢٥٢ المسألة ١٩٠٦ - ١٩٠٧).

١-عدد الآيات في فهرسة الخلال نحو ٣٠٠ آية، بينما عددها في «الرد على الجهمية» المطبوع بتحقيق د العجمي نحو ٢٣٠ آية تقريبًا.

٢- عدد آيات سورة البقرة في المطبوع ١٣ آية، بينما في فهرسة الخلال ١٠ آيات لم تتوافق إلا في ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [البقرة: ٧٥]!

٣- عدد آيات سورة النساء في المطبوع ١٢ آية، بينما في فهرسة الخلال فقط ٥ آيات! وتوافقتا فقط في ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] و﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾ [النساء: ١٧١]!

٤- عدد آيات سورة المائدة عند الخلال ٣ آيات، وفي المطبوع ٦ آيات، اتفقتا فقط في آية ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ [المائدة: ١٠٣] وآية ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى﴾ [المائدة: ١١٦]!

ومن هذه النماذج يتبين جليًّا أن الكتاب المطبوع من «الرد على الجهمية» يختلف عن الأصول التي فهرسها الخلال في عدد الآيات، كما إن فيه زيادة آيات كثيرة ليست في تلك الأصول!

عناية عبد الله بفهرسة كتب أبيه:

وكما فهرس عبدالله كتاب أبيه «الرد على الجهمية» فهرس أيضًا رسالة أبيه «طاعة الرسول».

قال ابن أبي يعلى الحنبلي: (قرأت في كتاب أبي جعفر محمد بن أحمد بن صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل: حدثني عمي زهير

ابن صالح قال: قرأ عليّ أبي صالحُ بن أحمد هذا الكتاب، وقال: هذا كتاب عمله أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مجلسه، ردًّا على من احتج بظاهر القرآن وترك ما فسره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودل على معناه وما يلزم من اتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، رحمة الله عليهم، قال أبو عبد الله [الإمام أحمد]: إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه بعث محمدًا نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأنزل عليه كتابه الهدى والنور لمن اتبعه، وجعل رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدال على معنى ما أراد من ظاهره، بالسنة، وخاصه وعامه، وناسخه ومنسوخه، وما قصد له الكتاب...)[(١)].

وهذه رواية صالح من كتاب أبيه في وجوب طاعة الرسول والاعتصام بالسنة في فهم القرآن، وهي رسالة مشهورة، تختلف في موضوعها وعنوانها عن رسالة «الرد على الجهمية» وقد سماها ابن النديم في الفهرست (كتاب طاعة الرسول)[(٢)].

وقال أيضًا: (ولأحمد بن حنبل ابنٌ يقال له «عبد الله» ثقة يسمع منه الحديث، وصالح بن أحمد، وابنه زهير بن صالح، وتوفي - يعني زهيرًا - سنة ثلاث وثلاثين ومائة[(٣)])[(٤)].

وقد ذكر هذه الرسالة أيضًا عبدالله بن أحمد في «مسائله» المطبوع واستخرج منها الآيات القرآنية التي استشهد بها أحمد في

(١) طبقات الحنابلة (٢/ ٦٥).
(٢) الفهرست (٢٨١).
(٣) كذا في الفهرست، والصواب: سنة ثلاث وثلاثمائة. انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٤٩).
(٤) الفهرست (٢٨١).

وجوب طاعة الرسول فقال:

(باب طاعة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. [قال أبو بكر القطيعي] حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول: ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ طاعة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن في غير موضع، فذكرها أبي كلها أو عامتها، فلم أحفظ، فكتبتها بعدُ من كتابه.

قال الله تعالى في آل عمران: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ۝١٣١﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣١-١٣٢] وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦] وقال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٣٢﴾ [آل عمران: ٣٢] وقال في النساء: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾ الآية [النساء: ٦٥] وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [النساء: ٦٩] [قال القطيعي]: إلى هنا قرأ علينا عبد الله بن أحمد، ثم قرىء علينا من هنا، وأنا أسمع: وقال تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ۝٧٩ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٧٩-٨٠] ثم قال القطيعي: (إلى هنا مختصرة. وقرأ علينا عبدالله من ها هنا..)[1].

ثم استطرد في فهرسة الآيات مرتبة على سور القرآن.

فما أورده عبدالله هنا في «مسائله» المطبوع ليس هو نص كتاب أبيه «طاعة الرسول» وإنما الآيات المستخرجة منه فقط، كما فعل

---

(١) مسائل الإمام أحمد، رواية عبد الله (٤٥٠ – ٤٥٤ المسألة ١٦٣٥).

في كتاب أبيه «الرد على الجهمية» إذ هو نوع من فهرست الأدلة وجمعها في موضع واحد، وإنما تكمن أهمية هذا الجمع والفهرسة وهذا الترتيب للآيات في معرفة موضوع الكتاب على وجه الدقة، بحيث يسهل بعد ذلك معرفة ما أضيف إليه لاحقًا في النسخ المتأخرة من مشكل الآيات ومتشابهها، سواء مما زاده رواة النسخ على الأصل كزيادة شرح منهم، أو أضيف على حواشي نسخهم كفوائد علقوها من مصادر أخرى.

المبحث الثالث

نسبة كلام مقاتل بن سليمان في كتابه «متشابه القرآن» للإمام أحمد

هذا، وقد تبين بعد مقابلة النصوص ببعضها أن (باب الرد على الزنادقة) الذي أقحم في أول الكتاب في بعض نسخه المخطوطة، ثم أكثر نسخه المطبوعة من كتاب «الرد على الجهمية» المنسوب إلى الإمام أحمد خطأ، هو فصل كامل ذكره أبو الحسين الملطِيّ المقرئ الشافعي (المتوفى سنة ٣٧٧ هـ)في كتابه «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» يرويه بإسناده عن الثقات عن مقاتل بن سليمان (المتوفى سنة ١٥٠ هـ) صاحب التفسير المشهور، وهو أول من صنف في متشابه القرآن، وأشهر من ناظر جهم بن صفوان ورد عليه في بلده بلخ، وكلاهما خرساني!

وهذا يرجح أن الخلل قد وقع في نسخ كتاب «الرد على الجهمية» للإمام أحمد بعد هذا العصر، وهو أواخر القرن الرابع الهجري، فقد توفي الملطي وابن النديم في زمن واحد، وهذا ما تؤكده الشواهد كلها كما سيأتي بيانه، فليس في أي من المصادر القديمة للحنابلة قبل هذا العصر شيء من هذا الفصل منسوب للإمام أحمد!

وقد جاء في كتاب الملطي الشافعي: (باب: ذكر متشابه القرآن. قال أبو الحسين الملطي: هلكت الزنادقة وشكُّوا في القرآن، حتى زعموا أن بعضه ينقض بعضًا في تفسير الآى المتشابه، كذبًا وافتراء

على الله جل اسمه، من جهلهم بالتفسير للآي المحكم الذي زاد الله المؤمنين به إيمانًا وتصديقًا، فقال المؤمنون: آمنّا به ونحن به مؤمنون مُقرُّون أن بعضه يصدق بعضًا.

واعلم - أحسن الله توفيقنا وإياك - أن للقرآن وجوهًا كثيرة ومواطن ومواضع، منه خاص، وعام لا يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون: آمنّا به، وما يذّكّر إلا أولو الألباب. وأيضًا فمن طلب علم ما أشكل عليه من ذلك عند أهل العلم به من ثقات العلماء وجد مطلبه، ولعمري إن أهل الأهواء في مثل ذلك اختلفوا وضلوا، وهذه جملة جاءت بها الرواية، وأخذناها عن الثقات عن مقاتل بن سليمان، إن تدبرت ذلك نفعك إن شاء الله.

قال مقاتل: أما ما شكت فيه الزنادقة في مثل هذه الآية ونحوها من قوله جل ثناؤه: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥-٣٦] ثم قال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١] فهذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضًا، وليس بمنتقض، ولكنهما في تفسير الخواص في المواطن المختلفة.

أما تفسير: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ فأول ما يجتمع الخلائق بعد البعث فهم لا ينطقون في ذلك الموطن ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ قال: مقدار ستين سنة، ثم يؤذن لهم في الكلام

فيكلم بعضهم بعضًا ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ عند الحساب، ثم يقال لهم: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٨] بعد الحساب.

وأما قوله جل ثناؤه: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ﴾ [الإسراء: ٩٧] وقال في أية أخرى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤] فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضًا، يقول: هم بكم ونادى أصحاب النار، وليس بمنتقض ولكنها في تفسير الخواص في المواطن المختلفة.

وأما قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضًا، حين قال ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧] وليس بمنتقض، ولكنهما في تفسير الخواص في المواطن المختلفة.

فأما تفسير: ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية قام الخلائق من قبورهم فلا أنساب بينهم في ذلك الموطن، ولا يعطف بعضهم على بعض قريب لقرابته حتى ينجو من الحساب إلى الجنة.

وأما قوله جل ثناؤه: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٢-٢٣] وقال في آية أخرى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢] فكان هذا عند من يجهل التفسير

ينقض بعضه بعضًا حيث قالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ وليس بمنتقض، ولكنهما في تفسير الخواص في المواطن المختلفة.

فأما تفسير قول المشركين حيث قالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ فإنهم لما نظروا يوم القيامة إلى ما يصنع الله بأهل التوحيد من الكرامة، وكيف يتجاوز عن مساويهم، ويشفع فيهم الملائكة والنبيون والمؤمنون بعضهم في بعض، قال المشركون عند ذلك: تعالوا نكتم الشرك! فلما سُئلوا: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ قالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ فلما كتموا الشرك ختم الله على ألسنتهم، واستنطق جوارحهم وأيديهم وأرجلهم، فذلك قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ يعني: بعدما كتمت الألسن الشرك ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم﴾ بالشرك ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥﴾ [يس: ٦٥] يعني: بما كانوا يعملون.

وقال في حم السجدة: ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢] يعني: بما كنتم تعملون من الشرك، فذلك قوله في سورة النساء: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٤٢] يعني: يودون حين شهدت عليهم الجوارح بالشرك لو سُوّيت بهم الأرض فدخلوا فيها، ثم ذكر الجوارح فقال: ﴿وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا﴾ يعني بالجوارح الأيدي والأرجل والأسماع والأبصار والجلود ﴿وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ﴾ الشرك، فيشهدون به عليهم عند الله، فذلك قوله: ﴿وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا﴾ يعني بالجوارح، وذلك قوله: ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ﴾

[القيامة: ١٤] يقول: بل جوارح الكافر على نفسه شاهدة بالشرك، فلما شهدت الجوارح بما كتمت الألسن من الشرك، أطلق الله الألسن فنطقت بعد ذلك، فقالت للجوارح، وبيان ذلك في حم السجدة: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [فصلت: ٢١] في الدنيا.

ثم اعترفت الألسن بعد ذلك بالشرك، فلما سألتهم الخزنة عند دخول النار في سورة الزمر قالوا: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١] وذلك قوله في تبارك الملك: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ﴾ [الملك: ٩] فلما أقروا على أنفسهم بالشرك والتكذيب بقول الله عَزَّوَجَلَّ للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١] يعني تكذيبهم الرسل فيما جاءت به من التوحيد وغيره، فهذا تفسيرهما.

وأما قوله جل ثناؤه: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖ﴾ [الروم: ٥٥] وقوله: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا﴾ [طه: ١٠٣] وقوله: ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا﴾ [طه: ١٠٤] فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضًا، وليس بمنتقض، ولكنهما في تفسير الخواص في المواطن المختلفة.

فأما تفسير: ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا﴾ فإنهم من أول ما بعثوا من القبور نظروا إلى ما كانوا يكذبون به في الدنيا من البعث، استقلوا مكثهم في القبور، فتشاوروا بينهم وقالوا: ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا﴾ يعني: ما لبثتم

إلا عشر ليال. ثم استكثروا عن أفعال أمثالهم وأبوا في أنفسهم ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ يعني: ما لبثتم إلا يومًا واحدًا من أيام الدنيا. ثم استكثروا أيضًا يومًا فاتفق رأيهم على أنهم لم يلبثوا إلا ساعة من نهار من أيام الدنيا، وذلك قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾ يعني: هكذا كانوا يكذبون في الدنيا كما كذبوا في الآخرة حين بعثهم. فهذا تفسيرهما.

فأما تفسير: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] يعني: لا يراه الخلق في الدنيا دون الآخرة ولا في السموات دون الجنة، وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] يعني يوم القيامة ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ يعني الحسن والبياض يعلوها النور ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ينظرون إلى الله عَزَّوَجَلَّ يومئذ معاينة. فهذا تفسيرهما.

فأما تفسير قوله: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] يعني: في الباب الذي هم فيه، وأما تفسير: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] فهم في أسفل درك من جهنم. فهذا تفسيرهما.

فأما تفسير: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] يعني: في دين الإسلام، وتفسير: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ في المواريث ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ [الأنفال: ٧٢] ثم نسختها: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥] فأشرك جميع المؤمنين والإخوان في المواريث ومن لم يهاجر. فهذا تفسيرهما.

فأما قوله عَزَّوَجَلَّ لإبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر:

٤٢] يعني: عباد الله المخلصين خاصة لمن استثنى عَزَّوَجَلَّ أنهم في علمه مؤمنون، فإنه ليس لإبليس عليهم سلطان أن يستزلهم عن التوحيد إلى الشرك خاصة بدعايته وتزيينه ووسوسته، فأما الذنوب دون الشرك فهو يستزلهم، وذلك قول موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين قتل النفس: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القصص: ١٥] يعني من تزيين الشيطان من غير كفر، كما زين لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولإخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وغيرهم فأزلهم، وكانوا من أفاضل عباد الله المخلصين. فهذا تفسيرهما.

وأما قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤] عن حجته، وأما قوله: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] فإذا بعث الله عَزَّوَجَلَّ الكافر من قبره فنظر إلى البعث الذي كان يكذب به في دار الدنيا، وذلك كشف الغطاء عنه، فبصره عند ذلك حديد، أي شاخص بصره لا يطرف. فهذا تفسيرهما)[1].

وهذا الفصل الذي رواه الملطي عن مقاتل بن سليمان موافق أيضًا لما في تفسير مقاتل المطبوع لهذه الآيات، ويكاد يكون نسخة طبق الأصل من باب (الرد على الزنادقة) في كتاب «الرد على الجهمية» المنسوب للإمام أحمد والمطبوع عدة طبعات، وآخرها بتحقيق العجمي له على تسع نسخ خطية!

قال مقاتل: في تفسيره: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾ يعني: احترقت جلودهم ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] جددنا لهم جلودًا غيرها، وذلك أن النار

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص ٥٤ – ٦٧).

إذا أكلت جلودهم بدلت كل يوم سبع مرات على مقدار كل يوم من أيام الدنيا[١].

وقال مقاتل: (﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ في الكلام ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥-٣٦])[٢].

وقال مقاتل: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء: ٢٨] (يعني مشرق ومغرب يوم يستوي الليل والنهار في السنة يومين)[٣].

وقال مقاتل: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾: (مشرق أطول يوم في السنة، وهو خمس عشرة ساعة، ومشرق أقصر يوم في السنة، وهو تسع ساعات ﴿وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧] يعني مغاربهما، يعني مغرب أطول ليلة ويوم في السنة وأقصر ليلة ويوم في السنة، فهما يومان في السنة)[٤].

وقال مقاتل: (﴿تَعْرُجُ﴾ يعني تصعد ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ من سماء إلى سماء العرش ﴿وَالرُّوحُ﴾ يعني جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِلَيْهِ﴾ في الدنيا بين السماوات السبع، ثم أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ عن ذلك العذاب متى يقع بها فقال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] فيها تقديم، وطول ذلك اليوم كأدنى صلاتهم، يقول: لو ولي حساب الخلائق وعرضهم غيري لم يفرغ منه إلا على مقدار خمسين ألف سنة، فإذا أخذ الله تعالى في عرضهم يفرغ الله منه على مقدار نصف يوم من

(١) تفسير مقاتل (١/ ٣٨٠).
(٢) تفسير مقاتل (٤/ ٥٤٦).
(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٢٦١).
(٤) تفسير مقاتل (٤/ ١٩٧).

أيـام الدنيـا، فـلا ينتصـف النهـار حتـى يسـتقر أهـل الجنـة في الجنـة، وأهـل النـار في النـار)[١].

وهـذا النـص الأخـير رواه أيضًـا البيهقـي بإسـناده إلى تفسـير مقاتـل: عـن الإمـام أبي إسـحاق الإسـفرائيني، عـن عبـد الخالـق بـن الحسـن السـقطي، ثنـا عبـد الله بـن ثابـت بـن يعقـوب، أخـبرني أبي، عـن الهذيـل بـن حبيـب، عـن مقاتـل ابـن سـليمان، أنـه قـال في هـذه الآيـة: ﴿تَعْرُجُ﴾ يعنـي تصعـد ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ مـن السـماء إلى العـرش ﴿وَٱلرُّوحُ﴾ يعنـي جبريـل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿إِلَيْهِ﴾ في الدنيـا ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ﴾ عندكـم يـا بنـي آدم ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يعنـي بقولـه: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ لـو ولي حسـاب الخلائـق وعرضهـم غـيري لم يفـرغ منـه إلا في مقـدار خمسـين ألـف سـنة، فـإذا أخـذ الله في عرضهـم يفـرغ الله منـه في مقـدار نصـف يـوم مـن أيـام الدنيـا، فـلا ينتصـف ذلـك اليـوم حتـى يسـتقر أهـل الجنـة في الجنـة، وأهـل النـار في النـار)[٢].

وهـذا النـص بألفاظـه وحروفـه موجـود في كتـاب «الـرد عـلى الزنادقـة والجهميـة» المنسـوب للإمـام أحمـد!

وقـال مقاتـل في تفسـيره أيضًـا: (﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] يعنـي أول المصدقـين بأنـك لـن تُـرى في الدنيـا)[٣].

وقـال مقاتـل: (﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ [الحجر: ٤٤] بعضهـا أسـفل مـن

(١) تفسير مقاتل (٤/ ٤٣٥ - ٤٣٦).
(٢) شعب الإيمان (١/ ٥٥٧).
(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٦).

بعض، كل باب أشد حرًّا من الذي فوقه بسبعين جزءًا، بين كل بابين سبعون سنة، أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم الجحيم، ثم الهاوية، ثم سقر)[(١)].

قال مقاتل: (﴿إِلَّا فَرِيقًا﴾ طائفة ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠] لم يتبعوه في الشرك، وهم الذين قال الله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ...﴾[الحجر: ٤٢] ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ﴾ لإبليس ﴿عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾[سبأ: ٢١] مِن ملك أن يضلهم عن الهدى.. ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[القصص: ١٥] يعني من تزيين الشيطان)[(٢)].

قال مقاتل: (﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ يعني غطاء الآخرة ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[ق: ٢٢] يعني يشخص بصره، ويديم النظر فلا يطرف حتى يعاين في الآخرة ما كان يكذب به فى الدنيا)[(٣)].

وهذه بعض النماذج المختصرة لما ورد في (باب الرد على الزنادقة) وهو الفصل الأول من كتاب «الرد على الجهمية والزنادقة» للإمام أحمد، تؤكد أنه كلام مقاتل بن سليمان كما رواه عنه الملطي، وكما ورد في تفسير مقاتل.

جاء في كتاب «الرد على الجهمية» المنسوب للإمام أحمد:

(باب: بيان ما ضلت فيه الزنادقة من متشابه القرآن. قال أحمد في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦].

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٠).
(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٥٣١، ٣٣٩).
(٣) تفسير مقاتل (٤/ ١١٣).

قالت الزنادقة: فما بال جلودهم التي عصت قد احترقت وأبدلهم جلودًا غيرها! فلا نُرى إلا أن الله يعذب جلودًا لم تذنب حين يقول: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾! فشكُّوا في القرآن وزعموا أنه متناقض.

فقلت: إن قول الله تعالى: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ليس يعني جلودًا غير جلودهم، وإنما يعني ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ تبديلها تجديدها؛ لأن جلودهم إذا نضجت جددها الله، وذلك لأن القرآن فيه خاص وعام، ووجوه كثيرة وخواطر يعلمها العلماء.

وأما قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٥ - ٣٦] ثم قال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١] فقال: كيف يكون هذا من الكلام المحكم! قال: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ ثم قال في موضع آخر: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ فزعموا أن هذا الكلام ينقض بعضه بعضًا، فشكُّوا في القرآن!

أما تفسير: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ فهذا أول ما تبعث الخلائق على مقدار ستين سنة، لا ينطقون، ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون، ثم يؤذن لهم في كلام فيتكلمون)[(١)].

وقال:(وأما قوله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] وقال في آية أخرى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٥٠]

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٦٠ – ٦١).

فقالوا: كيف يكون هذا من المحكم! فشكُّوا في القرآن من أجل ذلك!

فأما قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ فهذا عند النفخة الثانية، إذا قاموا من القبور لا يتساءلون ولا ينطقون في ذلك الموطن، فإذا حوسبوا ودخلوا الجنة والنار، أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة)[١].

وقال: (أما قوله: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾[الشعراء: ٢٨] فهذا اليوم الذي يستوي فيه الليل والنهار، أقسم الله بمشرقه ومغربه، وأما قوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾[الرحمن: ١٧] فهذا أطول يوم في السنة، وأقصر يوم في السنة، أقسم الله بمشرقهما ومغربهما، وأما قوله: رب المشارق ورب المغارب، فهو مشارق السنة ومغاربها... وأما قوله: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[المعارج: ٤] يقول: لو ولي حساب الخلائق غير الله ما فرغ منه في يوم مقداره خمسون ألف سنة، ويفرغ الله منه مقدار نصف يوم من أيام الدنيا إذا أخذ في حساب الخلائق)[٢].

ثم قال: (﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الأعراف: ١٤٣] يعني أول المصدقين أنه لا يراك أحد في الدنيا إلا مات)[٣].

وقال: (وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[النساء:

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٦٤ - ٦٥).
(٢) الرد على الجهمية والزنادقة (٦٩ - ٧١).
(٣) الرد على الجهمية والزنادقة (٨١).

١٤٥] لأن جهنم لها سبعة أبواب: جهنم، ولظى، والحطمة، وسقر، والسعير، والجحيم، والهاوية)[١].

أما قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] يقول: عبادي الذين استخلصهم الله لدينه ليس لإبليس عليهم سلطان أن يضلهم في دينهم أو في عبادة ربهم، ولكنه يصيب منهم من قبل الذنوب، فأما في الشرك فلا يقدر إبليس أن يضلهم عن دينهم؛ لأن الله سبحانه استخلصهم لدينه. وأما قول موسى: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [القصص: ١٥] يعني: من تزيين الشيطان)[٢].

وفيه أيضًا: (وأما قوله: ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] وذلك أن الكافر إذا خرج من قبره شخص بصره، ولا يطرف بصره حتى يعاين جميع ما كان يكذب به من أمر البعث، فذلك قوله: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ يقول: غطاء الآخرة. فبصرك يحد النظر، لا يطرف حتى يعاين جميع ما كان يكذب به من أمر البعث)[٣] انتهى.

فتلك الآيات بترتيبها والإجابة عما يظهر من تعارض بينها، كل ذلك من كلام مقاتل بن سليمان، كما رواه أبو الحسين الملطي والبيهقي، وكما هو في تفسير مقاتل، ولا علاقة للإمام أحمد به البتة!

وقد كان تفسير مقاتل بن سليمان أشهر تفسير في عصر

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٨١ - ٨٣).
(٢) الرد على الجهمية والزنادقة (٨٨ - ٨٩).
(٣) الرد على الجهمية والزنادقة (٩٠ - ٩١).

الإمام الشافعي، حتى قال عنه فيما رواه البيهقي: (الناس عيال على هؤلاء؛ من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق بن يسار، ومن أراد أن يتبحر في تفسير القرآن فهو عيال على مقاتل بن سليمان. وقال أيضًا: من أراد الحديث الصحيح فعليه بمالك، ومن أراد الجدل [يعني الفقهي] فعليه بأبي حنيفة، ومن أراد التفسير فعليه بمقاتل بن سليمان)[١].

وقد قال الأثرم: (سمعت أبا عبد الله يُسأل عن مقاتل بن سليمان فقال: كانت له كتب ينظر فيها، إلا أني أرى أنه كان له علم بالقرآن)[٢].

وقال ابنه صالح: (قال أبي: مقاتل بن سليمان صاحب التفسير ما يعجبني أن أروي عنه شيئًا)[٣].

ومن كتب مقاتل بن سليمان «متشابه القرآن» كما ذكر ذلك ابن النديم[٤]. وهذه النصوص التي ساقها أبو الحسين الملطي هي كما يبدو من هذا الكتاب المفقود!

(١) مناقب الشافعي، للبيهقي (١/ ٥٢٢ - ٥٢٣).
(٢) تاريخ بغداد (١٥/ ٢٠٧).
(٣) مسائل الإمام أحمد، رواية ابنه صالح (رقم ١٣٠٠).
(٤) الفهرست (٥٦، ٢٢٢).

المبحث الرابع

في الكلام عن جهم بن صفوان في كتاب «الرد على الزنادقة والجهمية»

ومثله في الإقحام خطأ أيضًا ما ورد في المطبوع من «الرد على الجهمية» للإمام أحمد، وكذا في بعض نسخه المخطوطة، بعد الكلام عن الآيات التي ظاهرها التعارض من الحديث عن جهم بن صفوان، هو نفسه كلام مقاتل ابن سليمان، فكان الواجب التحري والتثبت من صحة نسبة هذا النص للإمام أحمد.

فقد جاء في «الرد على الجهمية» تحقيق العجمي: (فكان مما بلغنا من أمر الجهم، عدو الله، أنه كان من أهل خرسان، من أهل ترمذ، وكان صاحب خصومات وكلام، وكان أكثر كلامه في الله تعالى، فلقي أناسًا من المشركين يقال لهم السُّمنية، فعرفوا الجهم فقالوا له: نكلمك، فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلْنا في دينك.

فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له: ألست تزعم أن لك إلهًا؟

قال الجهم: نعم.

فقالوا له: فهل رأيت إلهك!

قال: لا.

قالوا: فهل سمعت كلامه؟

قال: لا.

قالوا: فشممت له رائحة؟

قال: لا.

قالوا: فوجدت له حسًّا؟

قال: لا.

قالوا: فوجدت له مجسًّا؟

قال: لا.

قالوا: فما يدريك أنه إله؟

قال: فتحير الجهم، فلم يدْرِ من يعبد أربعين يومًا، ثم إنه استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى، وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن الروح الذي في عيسى هو روح الله من ذات الله، فإذا أراد أن يحدث أمرًا دخل في بعض خلقه فتكلم على لسان خلقه، فيأمر بما يشاء وينهى عما يشاء، وهو روح غائبة عن الأبصار، فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة.

فقال للسُّمنيّ: ألست تزعم أن فيك روحًا؟

قال: نعم.

فقال: هل رأيت روحك؟

قال: لا.

قال: فسمعت كلامه؟

قال: لا.

قال: فوجدت له حسًّا؟

قال: لا.

قال: فكذلك الله لا يرى له وجه، ولا يسمع له صوت، ولا يشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار، ولا يكون في مكان دون مكان.

ووجد ثلاث آيات من المتشابه قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فبنى أصل كلامه على هذه الآيات، وتأول القرآن على غير تأويله، وكذب بأحاديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو حدث عنه رسوله كان كافرًا، وكان من المشبهة، فأضلّ بكلامه بشرًا كثيرًا، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة، ووضع دين الجهمية)[1].

وهذا النص بألفاظه وحرفه رواه ابن بطة الحنبلي بإسناده فعزاه إلى مقاتل، قال:

(حدثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن عبد الله الدقاق قال: نا أبو محمد عبد الله بن ثابت بن يعقوب التّوّزيُّ المقرئ، أخبرني أبي،

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (١٩٦ - ٢٠٧).

عن الهذيل بن حبيب، عن مقاتل بن سليمان قال: وكان مما علمنا من أمر عدو الله جهم أنه كان من أهل خراسان، من أهل الترمذ، وكان صاحب خصومات وكلام، وكان أكثر كلامه في الله، وقد جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله عَزَّوَجَلَّ»[(١)] فلقي جهمٌ ناسًا يقال لهم «السُّمنية» فعرفوا جهماً، فقالوا له: نكلمك، فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلْنا في دينك.

فكان مما كلموا به جهمًا أن قالوا له: ألست تزعم أن لك إلهًا؟

قال جهم: نعم.

فقالوا: هل رأيت إلهك؟

قال: لا.

قالوا: أسمعت كلامه؟

قال: لا.

قالوا: فسمعت له حسًّا؟

قال: لا.

قالوا: فما يدريك أنه إله؟

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (رقم ٦٣١٩) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٧٨٨).

قال: فتحير جهم، فلم يصلِّ أربعين يومًا، ثم استدرك حجته مثل حجة زنادقة النصارى، وذلك أن زنادقة النصارى تزعم أن الروح التي في عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هي روح الله من ذاته، كما يقال: إن هذه الخرقة من هذا الثوب، فدخل في جسد عيسى فتكلم على لسان عيسى، وهو روح غائب عن الأبصار، فاستدرك جهم من هذه الحجة.

فقال للسُّمنية: ألستم تزعمون أن في أجسادكم أرواحًا؟

قالوا: نعم.

قال: هل رأيتم أرواحكم؟

قالوا: لا.

قال: أفسمعتم كلامها؟

قالوا: لا.

قال: أفشممتم لها رائحة؟

قالوا: لا.

قال جهم: فكذلك الله عَزَّوَجَلَّ لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة، وهو في كل مكان، لا يكون في مكان دون مكان، ووجدنا ثلاث آيات في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ: قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فبنى أصل كلامه على هذه الثلاث الآيات، ووضع دين

الجهمية، وكذب بأحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتأول كتاب الله على تأويله، فاتبعه من أهل البصرة من أصحاب عمرو بن عبيد، وأناس من أصحاب أبي حنيفة، فأضل بكلامه خلقًا كثيرًا)[١].

فهذا النص كاملًا، زِيد خطأً على كتاب «الرد على الجهمية» للإمام أحمد، وهو غير موجود في النسخ المخطوطة القديمة للكتاب كما ذكر ذلك المحقق نفسه!

وقد وقف المحقق العجمي على هذا النص عند ابن بطة في «الإبانة» كما ذكر في مقدمة التحقيق (ص ٩٠) وكان ينبغي عليه التوقف عنده، إذ كيف يروي ابن بطة الحنبلي مثل هذا النص المهم بإسناده عن مقاتل بن سليمان، بالإسناد المشهور لرواة كتب مقاتل، بينما هو بألفاظه وحروفه في كتاب الإمام أحمد «الرد على الجهمية» الذي استفاد منه ابن بطة في كتابه «الإبانة» بل يكاد كتابه «الإبانة» يكون كله شرحًا لرسائل الإمام أحمد!

وابن بطة إمام السنة وشيخهم في العراق في عصره، ومن أعلم الناس بالإمام أحمد وأصحابه، وقد أخذ عن تلاميذ تلاميذه، فقد ولد بالعراق سنة ٣٠٤هـ وتوفي فيه سنة ٣٨٧ هـ فبعيد جدًّا وقوع مثل ذلك من إمام حنبلي كابن بطة، وفي كتاب عظيم في الرد على أهل البدع والأهواء ككتاب «الإبانة» لم يترك قولًا عن أحد من سلف الأمة في مسائل الاعتقاد إلا وعزاه إليه بالإسناد!

(١) الإبانة لابن بطة (٦/ ٨٦ رقم ٣١٧).

وقد ذكر المحقق أن ابن بطة نقل كلام أحمد هذا فقال: (وقد نقل ابن بطة كلام أحمد في ذكره مناظرة جهم للسُّمنية) ثم ذكر في الحاشية أن ابن بطة لم ينسبه لأحمد! ولم يذكر أنه رواه عن مقاتل! فكيف ينسبه ابن بطة لغير من رواه عنه!

فترك المحقق هذا النص الصريح الذي رواه ابن بطة بإسناده عن مقاتل، فزعم أن ابن بطة قد نقل هذا النص عن أحمد من كتابه «الرد على الجهمية» ثم استدرك فقال في الحاشية بأن ابن بطة لم ينسبه لأحمد! ولم يقل بأن ابن بطة رواه وعزاه لمقاتل بن سليمان!

فثبت بذلك أن النص المحقق لكتاب «الرد على الجهمية» وكذا نسخه المخطوطة المتأخرة، من أوله بعد الخطبة (ص ١٧٥) (باب: بيان ما ضلت به الزنادقة) كاملًا إلى (ص١٩٣) عند تفسير آية ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ وقوله: (فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة) - ليس أصلًا من كتاب «الرد على الجهمية»، المنسوب للإمام أحمد، وليس هو في النسخ القديمة للكتاب، ولم يذكره عبدالله بن أحمد، ولا الخلال، ولا ابن أبي يعلى، ولا أحد من قدماء الحنابلة، بل هو من كلام مقاتل بن سليمان بألفاظه وحروفه، كما ثبت من كتاب الملطي، وكتاب البيهقي، وكتاب ابن بطة!

وكذا ما ورد في الكتاب عن جهم بن صفوان، وكيف بدأت شبهته في نفي الصفات ومناظرته للسمنية (من ص ١٩٦ إلى ص ٢٠٧) عند قوله: (فأضلّ بشرًا كثيرًا) فهذا كله كلام مقاتل بألفاظه

وحروفه، كما رواه عنه ابن بطة نفسه!

وأما قوله: (وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة، وعمرو بن عبيد في البصرة) فالظاهر أنه من كلام ابن بطة أو أحد رواة هذا النص عن مقاتل كتذييل وزيادة شرح؛ لأنه بعيد أن يقول مقاتل الذي توفي سنة ١٥٠ مثل هذا عن أصحاب أبي حنيفة الذين لم يشتهروا إلا بعد هذا التاريخ، مع أنه لم يعرف عن أصحابه أحد قال بقول جهم، وإنما عرف ذلك في تلاميذهم، وأولهم بشر المريسي الذي أخذ الفقه عن أبي يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة، ولم يشتهر أمره إلا بعد وفاة شيخه أبي يوسف سنة ١٨٢ وتوفي المريسي سنة ٢١٨ !

وقد روى عبدالله في «السنة» قال: (سمعت أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: كنا نحضر مجلس أبي يوسف، وكان بشر المريسي يحضر في آخر الناس فيشغب، فيقول: أيْشٍ تقول؟ وأيْشٍ قلت يا أبا يوسف؟ فلا يزال يضج ويصيح، فكنت أسمع أبا يوسف يقول: اصعدوا به إليّ، اصعدوا به إليّ! قال: فجاء يوم فصنع مثل هذا، فقال أبو يوسف: اصعدوا به إليّ! قال أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكنت بالقرب منه، فجعل يناظره في مسألة فخفي علي بعض قوله، فقلت للذي كان أقرب مني: أيْشٍ قال له أبو يوسف؟ فقال: قال له: لا تنتهي حتى تفسد خشبة)[1] يعني تصلب عليها!

---

(١) السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد (١/ ١٧٠ المسألة ٢٠٣).

وقال عبدالله: (أخبرت عن بشر بن الوليد قال: كنت جالسا عند أبي يوسف القاضي، فدخل عليه بشر المريسي، فقال أبو يوسف: حدثنا إسماعيل عن قيس، عن جرير، عن النبي ﷺ. فذكر حديث الرؤية، ثم قال أبو يوسف: إني والله أؤمن بهذا الحديث، وأصحابك يكفرون به! وكأني بك قد شغلتك عن الناس خشبة باب الجسر، فاحذر فراستي فإني مؤمن)[١].

فليس من أصحاب أبي حنيفة من كان يرى رأي جهم، وإنما حدث ذلك في تلاميذ أصحابه.

ولا يبعد أن يكون هذا الفصل كله إلى قوله: (وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة، وعمرو بن عبيد في البصرة) قد نقل من كتاب ابن بطة الحنبلي «الإبانة» وألحق لغرض من الأغراض في حاشية نسخة متأخرة من نسخ «الرد على الجهمية» المنسوب للإمام أحمد، كتعريف بجهم بن صفوان وبدء ظهور بدعته، فضُم هذا الفصل لاحقا لأصل الكتاب خطأ من الناسخ، إن لم يكن كتاب «الرد على الجهمية» المطبوع هو نفسه مختصر كله من كتاب ابن بطة بما في ذلك ما أورده عن مقاتل في شأن جهم!

فجاء المختصِر وحذف الإسناد، ونسب كل هذا الفصل للإمام أحمد!

ويرجح هذا الاحتمال أن هذا النص موجود في كتاب ابن

---

(١) السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد (١/ ١٧٠ المسألة ٢٠٢).

بطة الحنبلي «الإبانة» تحت عنوان فرعي موافق للاسم وهو «الرد على الجهمية» فيما تأولوه من متشابه القرآن، وابن بطة إمام متقدم حتى على أبي يعلى القاضي الحنبلي وابن عقيل الحنبلي وطبقتهم.

قال عنه ابن تيمية: (وابن بطة العكبري من أعلم الناس بالسنة والآثار وأتبعهم لها، ومن أزهد الناس، وهو معروف بأن دعاءه مستجاب. وقد رأى النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منامه الحسينُ بن علي الجوهري، أخو أبي محمد الجوهري الحسن فقال: يا رسول الله، قد اشتبهت علينا المذاهب! فقال: عليك بهذا الشيخ! يعني ابن بطة، فانحدر إلى عُكْبرا فلما رآه أبو عبد الله تبسم وقال: صدق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وعلمه بالسنة وزهده ودينه غاية)[(١)].

وبعيد جدًّا أن يكون الإمام أحمد قد روى هذا الفصل عن مقاتل ثم حذف الإسناد واكتفى بالمتن؛ لأن الإمام أحمد كان يكره أصلًا الرواية عن مقاتل، وقد كان الإمام أحمد من أكثر الناس رواية وأعلمهم بكل ما ألف قبله من كتب العلم والرواية، ولعله لم يؤلف كتاب في العلم قبله إلا وقد رواه واطلع عليه، حتى كتب معاصريه.

قال ابن بطة: (قال أبو بكر المروذي: وقال لي ابن أبي حسان الوراق: طلب مني أبو عبد الله [أحمد بن حنبل] وهو في السجن كتاب حمزة في العربية، فدفعته إليه، فنظر فيه قبل أن يمتحن)[(٢)].

---

(١) الإخنائية (ص ٤٣٩ - ٤٤٠).

(٢) الإبانة (٦/ ٢٦٤ رقم ٤٤٢).

واطلع على كتاب محمد بن أسلم الطوسي «الرد على الجهمية» وكان يتعجب منه، كما ذكره الذهبي في السير[1].

ولا يتصور أن ينقل الإمام أحمد هذا النص من كلام مقاتل ولا يذكر إسناده، وهو الذي عاب على محمد بن إسحاق صاحب السيرة أخذه مادة كتابه المغازي من كتب الناس وجادة دون سماع منهم، أو إسناد إليهم، ورواية عنهم! هذا بعيد جدا!

وكذا لا يثبت عن الإمام أحمد ما ورد بعد ذلك في كتاب «الرد على الجهمية» المطبوع، وهو قوله: (فإذا سألهم الناس عن قول الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] يقولون: ليس كمثله شيء من الأشياء، وهو تحت الأرضين السبع، كما هو على العرش، ولا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، ولم يتكلم، ولا يتكلم، ولا ينظر إليه أحد في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يوصف، ولا يعرف بصفة، ولا يفعل، ولا له غاية، ولا له منتهى، ولا يدرك بعقل، وهو وجه كله، وهو علم كله، وهو سمع كله، وهو بصر كله، وهو نور كله، وهو قدرة كله، ولا يكون فيه شيئًان، ولا يوصف بوصفين مختلفين، وليس له أعلى، ولا أسفل، ولا نواحٍ، ولا جوانب، ولا يمين، ولا شمال، ولا هو خفيف، ولا ثقيل، ولا له لون، ولا له جسم، وليس هو بمعلوم، ولا معقول، وكل ما خطر على قلبك أنه شيء تعرفه فهو على خلافه.

(١) سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٩٧).

قال أحمد: وقلنا: هو شيء؟

فقالوا: هو شيء لا كالأشياء.

فقلنا: إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل أنه لا شيء! فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يؤمنون بشيء، ولكن يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون من العلانية.

فإذا قيل لهم: فمن تعبدون؟

قالوا: نعبد من يدبر أمر هذا الخلق.

فقلنا: هذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة؟

قالوا: نعم!

فقلنا: قد عرف المسلمون أنكم لا تؤمنون بشيء، إنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرونه.

فقلنا لهم: هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى؟

قالوا: لم يتكلم، ولا يكلم؛ لأن الكلام لا يكون إلا بجارحة، والجوارح منفية.

فإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيمًا لله، ولا يعلم أنهم إنما يعود قولهم إلى ضلالة وكفر، ولا يشعر أنهم لا يقولون قولهم إلا فرية في الله)[١].

(١) الرد على الجهمية (٢٠٧ - ٢١٢).

فهذا النص بطوله في هذه المحاورة ليس من كلام أحمد ولا أسلوبه ولا منهجه، ولم يروه أحد من أصحاب أحمد، ولا من بعدهم، ولا أحد من أئمة الحنابلة في عصر الرواية، وإنما ذكر بعضه الأشعري في «مقالات الإسلاميين» عن أبي الهذيل العلاف المعتزلي، فقال: (وهذا أخذه أبو الهذيل عن أرسطاطاليس، وذلك أن أرسطاطاليس قال في بعض كتبه أن البارئ: علم كله، قدرة كله، حياة كله، سمع كله، بصر كله. فحسن اللفظ عند نفسه، وقال: علمه هو هو، وقدرته هي هو)[١].

وكذا الفقرة التي تليها في المطبوع من «الرد على الجهمية» وهي قوله: (فمما يسأل عنه يقال له: تجد في كتاب الله آية تخبر عن القرآن أنه مخلوق؟

فلا يجد.

فيقال له: فتجده في سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: إن القرآن مخلوق؟

فلا يجد.

فيقال له: فمن أين قلت؟

فيقول من قول الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] وزعم أن «جعل» بمعنى «خلق» فكل مجعول هو مخلوق! فادعى كلمة من الكلام المتشابه يحتج بها من أراد أن يلحد في تنزيله ويبتغي الفتنة

---

(١) مقالات الإسلاميين (ص ٤٨٥).

في تأويلـه.

وذلـك أن «جعـل» في القـرآن مـن المخلوقـين عـلى وجهـين؛ عـلى معنـى التسـمية، وعـلى معنـى فعـل مـن أفعالهـم.

وقولـه: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١] قالـوا: هـو شـعر، وأنبـاء الأولـين، وأضغـاث أحـلام، فهـذا عـلى معنـى التسـمية. قـال: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩] يعنـي أنهـم سـمّوهم إناثـا.

ثـم ذكـر «جعـل» عـلى غـير معنـى التسـمية فقـال: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩] فهـذا عـلى معنـى فعـل مـن أفعالهـم. وقـال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ [الكهف: ٩٦] هـذا عـلى معنـى فعـل، فهـذا جعـل المخلوقـين.

ثـم «جعـل» مـن أمـر الله عـلى معنـى غـير «خلـق» فـ «جعـل» في كتـاب الله عَزَّوَجَلَّ عـلى معنـى «خلـق» لا يكـون إلا خلـق، ولا يقـوم إلا مقـام خلـق خلقًـا لا يـزول عنـه المعنـى، وإذا قـال الله «جعـل» عـلى غـير معنـى «خلـق» لا يكـون خلقًـا، ولا يقـوم مقـام الخلـق، ولا يـزول عنـه المعنـى.

ثـم ذكـر «جعـل» عـلى معنـى غـير «خلـق». قولـه: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ﴾ [المائدة: ١٠٣] لا يعنـي: مـا خلـق الله مـن بحـيرة ولا سـائبة. وقـال الله لإبراهيـم: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] لا يعنـي إني خالقك للنـاس إمامًـا؛ لأن خلـق إبراهيـم كان متقدمًـا)[1].

(١) الرد على الجهمية (٢١٤ - ٢٢٠).

وهـذا بألفاظـه وحروفـه كلـه مختـصر بتـصرف مـن كلام ابـن بطـة في «الإبانـة» فصـل (الـرد عـلى الجهميـة) حيـث قـال: (فحينئـذ لجـأ الجهمـي إلى آيـات مـن المتشـابه جهـل علمهـا، فقـال:

قلـت: ذلـك مـن قـول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] وقولـه: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] وزعـم أن كل مجعـول مخلـوق، فنـزع بآيـة مـن المتشـابه يحتـج بهـا مـن يريـد أن يلحـد في تنزيلهـا، ويبتغـي الفتنـة في تأويلهـا!

فقلنـا: إن الله عَزَّوَجَلَّ قـد منعـك - أيهـا الجهمـي - الفهـم في القـرآن حـين جعلـت كل مجعـول مخلوقًـا، وأن كل «جعـل» في كتـاب الله هـو بمعنـى خلـق... فـ«جعـل» مـن المخلوقـين عـلى معنـى وصـف مـن أوصافهـم وقسـم مـن أقسـامهم، و«جعـل» أيضًـا عـلى معنـى فعـل مـن أفعالهـم، لا يكـون خلقًـا ولا يقـوم مقـام الخلـق، فتفهمـوا الآن ذلـك واعقلـوه.

قـال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١] وإنـما «جعـل» هاهنـا بمعنـى: وصفـوه بغـير وصفـه، ونسـبوه إلى غـير معنـاه حـين عضـوه وميـزوه فقالـوا: إنـه شـعر، وإنـه سـحر، وإنـه قـول البـشر، وإنـه أسـاطير الأولـين.

مـن ذلـك قولـه: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣] لا يعنـي: مـا خلـق الله مـن بحـيرة، لأنـه هـو خلـق البحـيرة والسـائبة والوصيلـة، ولكنـه أراد أنـه لم يأمـر النـاس باتخـاذ البحـيرة

والسائبة والوصيلة والحام، فهذا لفظ «جعل» على غير معنى «خلق». وقال تعالى لإبراهيم خليله عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] لا يعني: خالقك، لأن خلقه قد سبق إمامته)[١].

فهذا كله مختصر من كلام ابن بطة، إلى آخر الاستدلال بالآيات التي وردت فيها كلمة «جعل» بمعنى: صّير وفعل وسمى، لا بمعني خلق!

وسيأتي بيان ذلك مفصلًا في الفصول التالية.

(١) الإبانة (٦/ ١٥٦).

المبحث الخامس

في عزو ابن تيمية هذا الفصل للإمام أحمد

وقد استدل المحقق العجمي وغيره ممن نشروا الكتاب على صحة نسبة هذه الزيادات الدخيلة على كتاب «الرد على الزنادقة والجهمية» بنقل ابن تيمية وابن القيم لها في مواطن كثيرة من كتبهم، وهذا الاستدلال صحيح لو لم يثبت أن هذه الزيادات لغير الإمام أحمد، وبعد ثبوتها يقينًا أنها لمن هو قبل عصر الإمام أحمد، وهو مقاتل بن سليمان المتوفى سنة ١٥٠ وقد اشتهرت كتب مقاتل في حياته وبعد وفاته.

فلا يفيد حينئذ عزو ابن تيمية هذه الزيادات إلى كتاب «الرد على الجهمية» صحة نسبتها للإمام أحمد، وإنما يفيد وجودها في بعض نسخ كتاب «الرد على الجهمية» التي كانت بحوزة ابن تيمية وابن القيم، بل وفي بعض نسخ من قبلهم من علماء الحنابلة بعد عصر أبي يعلى (المتوفى سنة ٤٥٨) لا قبله!

ويأتي السؤال هنا: كيف وقع هذا الخلل في نسخ الكتاب؟

وقد ثبت أن ابن تيمية كانت لديه عدة نسخ من كتاب «الرد على الجهمية» وليست نسخة واحدة، كما قال نقلًا من كتاب الإمام أحمد «الرد على الجهمية»: (لا يوصف بوصفين مختلفين. وفي نسخة: لا يكون شيئين مختلفين)[1].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ١٧٦) تلبيس الجهمية (٣/ ٤٥٦).

ولا يبعد وقوع الخلل في بعض هذه النسخ، ومما يرجح ذلك أن ابن تيمية لم ينقل عن هذه النسخ السقيمة شيئًا من فصل (بيان ما ضلت فيه الزنادقة من الآيات التي ظاهرها التعارض) التي ثبت أنها من كلام مقاتل، مع كثرة عزوه للكتاب ونقله منه أوراقًا كاملة، ومع ذلك تحاشى عزو شيء من هذا الفصل الدخيل على بعض نسخ الكتاب إلى الإمام أحمد، وكأنه لم يطمئن لهذه النسخ وزياداتها!

فقد ذكر المتشابه، وذكر آية ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥] ولم ينقل كلام أحمد كما هي عادته، وإنما ذكر بأن أحمد وغيره قد تكلموا على هذا النوع من المتشابه[(١)].

وذكر جواب ابن عباس عمن سأله عن تفسير آية ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] وآية ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] فقال ابن عباس: (هما يومان ذكرهما الله في كتابه، الله أعلم بهما، فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم)[(٢)] ولم ينقل عن أحمد تفسيره لهما، الذي هو أشد اتباعًا للصحابة خاصة في تفسيرهم للقرآن، فإنه لم يكن يرى التفسير بالرأي!

بينما التفسير المذكور في «الرد على الجهمية» والمنسوب للإمام أحمد تفسير بالرأي المحض حيث يقول: (وأما قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] يقول: لو ولي حساب الخلائق غير الله،

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (٢/ ١٨٣).
(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٧٣).

ما فرغ منه في يوم مقداره خمسون ألف سنة، ويفرغ الله منه مقدار نصف يوم من أيام الدنيا، إذا أخذ في حساب الخلائق)[1].

كما لم ينقل ابن تيمية تفسير أحمد في هذه الرسالة وقول موسى: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] يعني: المصدقين! فهذا يخالف قول أحمد في تعريف الإيمان وأنه التصديق بالقلب، والإقرار بالقول، والعمل بموجب ذلك، وإنما هذا التفسير يتوافق مع قول مقاتل بن سليمان، فهو مرجئ كما هو مشهور عنه، وكما يدل عليه تفسيره، فقد قال في تفسير: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ﴾ [التوبة: ٧١] قال: (المصدقون بالتوحيد، والمصدقات بالتوحيد)[2].

وكذا لم ينقل ابن تيمية قول الإمام أحمد في تفسير آية: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢] كما ورد في «الرد على الجهمية» حيث يقول: (عبادي الذين استخلصهم الله لدينه ليس لإبليس عليهم سلطان أن يضلهم في دينهم أو في عبادة ربهم، ولكنه يصيب منهم من قبل الذنوب، فأما في الشرك فلا يقدر إبليس أن يضلهم عن دينهم؛ لأن الله سبحانه استخلصهم لدينه)[3].

فهذا التفسير يتوافق مع مذهب أهل الإرجاء، ومقاتل أحد دعاته، بأن الاستثناء متصل، وأن عباد الله الموحدين ليس للشيطان

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٧١).
(٢) تفسير مقاتل (٢/ ١٨١).
(٣) الرد على الجهمية والزنادقة (٨٩).

عليهم سلطان، إلا من أغوى منهم فإنه يغويهم فقط بالمعاصي دون الشرك!

وقد ذهب ابن تيمية إلى خلاف هذا القول في تفسير الآية، وأن الاستثناء فيها منقطع لا متصل، فقال: (﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] فعباد الله المخلصون لا يغويهم الشيطان، والغي خلاف الرشد)[(١)].

وقال: (وقوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢] استثناء منقطع في أقوى القولين؛ إذ العباد هم العابدون، كما قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣])[(٢)] ولو كان لدى ابن تيمية نقل صحيح عن أحمد لصرح به، مع كونه كرر كثيرًا الاستشهاد بهذه الآية في مواطن كثيرة من كتبه!

وفيه أيضًا: (وأما قوله: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] وذلك أن الكافر إذا خرج من قبره شخص بصره، ولا يطرف بصره حتى يعاين جميع ما كان يكذب به من أمر البعث، فذلك قوله: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ يقول: غطاء الآخرة. فبصرك يحد النظر، لا يطرف حتى يعاين جميع ما كان يكذب به من أمر البعث)[(٣)].

فالقول أن الغطاء في هذه الآية هو غطاء الآخرة تفسير بالرأي

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٣٦).
(٢) جامع الرسائل (٢/ ٢٦٤).
(٣) الرد على الجهمية والزنادقة (٩١).

المحض غير مأثور عن أحد من الصحابة ومن بعدهم، ولهذا لم يلتفت عليه ابن تيمية ولا ابن القيم ولا ابن الجوزي.

بل قال ابن الجوزي في تفسيره: (﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ بالوحي ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ وفي المراد بالبصر قولان:

أحدهما: البصر المعروف. قاله الضحاك.

والثاني: العلم. قاله الزجاج.

وفي قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ قولان:

أحدهما: أنه يوم القيامة. قاله الأكثرون.

والثاني: أنه في الدنيا. وهذا على قول ابن زيد.

فأما قوله: ﴿حَدِيدٌ﴾ فقال ابن قتيبة: الحديد بمعنى الحاد، أي فأنت ثاقب البصر. ثم فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: فبصرك حديد إلى لسان الميزان حين توزن حسناتك وسيئاتك. قاله مجاهد.

والثاني: أنه شاخص لا يطرف لمعاينة الآخرة. قاله مقاتل.

والثالث: أنه العلم النافذ. قاله الزجاج)[1].

فلم يذكر ابن الجوزي تفسير الإمام أحمد لهذه الآية، ولم يعْزُ القول الثاني إلا لمقاتل! ولو كان للإمام أحمد قول فيها لما تجاوزه وذكر من دونه كالزجاج وابن قتيبة وتركه!

---

(١) زاد المسير (٤/ ١٦١).

وكذا في الآية التي قبلها: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] قال ابن الجوزي في تفسيره:

(قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [النحل: ٩٩] فالمراد بالسلطان قولان:

أحدهما: أنه التسلط. ثم فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: ليس له عليهم سلطان بحال، لأن الله صرف سلطانه عنهم بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

والثاني: ليس له عليهم سلطان لاستعاذتهم منه.

والثالث: ليس له قدرة على أن يحملهم على ذنب لا يغفر.

والثاني: أنه الحجة.

فالمعنى: ليس له حجة على ما يدعوهم إليه من المعاصي. قاله مجاهد)[1].

فلم يذكر ابن الجوزي هنا التفسير المنسوب للإمام أحمد البتة، ولم يعرج هنا على تفسير مقاتل أصلًا، ولم يعدّه قولًا معتبرًا في تفسير الآية.

وكذا لم يذكر ابن الجوزي قول مقاتل المنسوب خطأ للإمام أحمد في تفسيره للآية ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فقال:

---

(١) زاد المسير (٢/ ٥٨٣).

(وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قولان:

أحدهما: إنك لن تراني في الدنيا. رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أول المؤمنين من بني إسرائيل. رواه عكرمة عن ابن عباس)[1].

بينما يقول الإمام أحمد كما نسب له خطأ في «الرد على الجهمية»: (﴿أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يعني أول المصدقين أنه لا يراك أحد في الدنيا إلا مات)[2].

وهذا قول ثالث لم يذكره ابن الجوزي في تفسير الآية ولم يعتد به، مع أن تفسير مقاتل من مصادره التي يعزو إليها، فلو كان معروفًا عن الإمام أحمد لما تجاوزه ابن الجوزي، ولذكره كوجه من وجوه التفسير، فدل على أنه لا أصل له عن أحمد البتة!

وكذلك ضعّف ابن الجوزي قول مقاتل في تفسير آيات المعارج، فقال في تفسيره: (قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذِى ٱلۡمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣] فيه قولان:

أحدهما: أنها السموات. قاله ابن عباس. وقال مجاهد: هي معارج الملائكة. قال ابن قتيبة: وأصل المعارج الدّرج، وهي مِن عرج؛ إذا صعِد. قال الفراء: لما كانت الملائكة تعرج إليه وصف

(١) زاد المسير (٢/ ١٥٢).

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة (٨١).

نفسه بذلك. قال الخطابي: المعارج الدّرج، واحدها معرج، وهو المصعد، فهو الذي يصعد إليه بأعمال العباد وبأرواح المؤمنين. فالمعارج الطرائق أي يصعد فيها.

والثاني: أن المعارج الفواضل والنعم، قاله قتادة.

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [المعارج: ٤] قرأ الكسائي «يعرج» بالياء.

وفي «الروح» قولان:

أحدهما: أنه جبريل. قاله الأكثرون.

والثاني: أنه روح الميت حين تقبض. قاله قبيصة بن ذؤيب.

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَيۡهِ﴾ أي: إلى الله تعالى ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج: ٤] فيه قولان:

أحدهما: أنه يوم القيامة. قاله ابن عباس والحسن وقتادة والقرظي. وهذا هو مقدار يوم القيامة من وقت البعث إلى أن يفصل بين الخلق.

وقيل: بل لو ولي حساب الخلق سوى الله عَزَّوَجَلَّ لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة، والحق يفرغ منه في ساعة من نهار.

وقال عطاء: يفرغ الله من حساب الخلق في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا. فعلى هذا يكون المعنى: ليس له دافع من الله في

يــوم كان مقــداره خمســين ألــف ســنة)[١].

فلـم يذكـر ابـن الجـوزي هنـا تفسـير الإمـام أحمـد، وضعّف تفسـير مقاتـل للآيـة بقولـه: (وقيـل: لو ولي حسـاب الخلـق سـوى الله...).

وقـد قـال ابـن الجـوزي في مقدمـة تفسـيره: (ولم أغـادر مـن الأقوال التـي أحطـت بهـا إلا مـا تبعُـد صحتـه، مـع الاختصـار البالـغ، فـإذا رأيـت في فـرش الآيـات مـا لم يذكـر تفسـيره فهـو لا يخلـو مـن أمريـن: إمـا أن يكـون قـد سـبق، وإمـا أن يكـون ظاهـرًا لا يحتـاج إلى تفسـير، وقـد انتقـى كتابنـا هـذا أنقـى التفاسـير، فأخـذ منهـا الأصـح والأحسـن والأصـون)[٢].

فـدل عـلى عـدم ثبـوت شيء عنـده عـن الإمـام أحمـد في كل هـذه الآيـات المنسـوبة إليـه خطـأ!

وكـذا لم يذكـر الزجـاج عـن أحمـد شـيئًا مـن تفسـير هـذه الآيـات، مـع قولـه في تفسـيره: (وجميـع مـا ذكرنـاه في هـذه القصـة ممـا رواه عبـد الله بـن أحمـد بـن حنبـل عـن أبيـه، وكذلـك أكثـر مـا رويـت في هـذا الكتـاب مـن التفسـير، فهـو مـن كتـاب التفسـير عـن أحمـد بـن حنبـل)[٣].

وكـذا يجـاب عـما نقلـه ابـن القيـم مـن كتـاب «الـرد عـلى الجهميـة» وقولـه: (بـاب بيـان مـا ضلـت فيـه الجهميـة الزنادقـة مـن متشـابه

(١) زاد المسير (٤/ ٣٣٦).
(٢) زاد المسير (١/ ١٤).
(٣) معاني القرآن (٤/ ١٦٦).

القــرآن) ثــم تكلــم عــلى قولــه تعــالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾ [النساء: ٥٦].

قــال: (قالــت الزنادقــة: فــما بــال جلودهــم التــي قــد عصــت قــد احترقــت وأبدلهــم الله جلــودًا غيرهــا، فــلا نُــرى إلا أن الله عَزَّوَجَلَّ يعــذب جلــودًا بــلا ذنــب حــين يقــول: ﴿جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾ فشــكُّوا في القــرآن وزعموا أنــه متناقــض. فقلنــا: إن قــول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾ ليــس يعنــي جلــودًا أخــرى غــير جلودهــم، وإنــما يعنــي بتبديلهــا تجديدهــا، لأن جلودهــم إذا نضجــت جددهــا الله)[1] ثــم تكلــم عــلى آيــات مــن مشــكل القــرآن.

وذلــك لا يفيــد إلا وجــود هــذا النــص في النســخة المنســوبة خطــأ للإمــام أحمــد التــي نقــل منهــا ابــن القيــم ونفاهــا الذهبــي، لا أن الــكلام هــو كلام الإمــام أحمــد، بعــد أن ثبــت أنــه كلام مقاتــل بــن ســليمان بألفاظــه وحروفــه، كــما رواه عنــه بإســناده أبــو الحســين الملطــي المتــوفى ســنة ٣٧٧ هـــ وكــذا روى بعضــه البيهقــي بإســناده عــن مقاتــل، وهــو المطابــق لمــا في تفســيره المشــهور.

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢٠٢).

الفصل الثاني
ترتيب موضوعات كتاب «الرد على الجهمية» للإمام أحمد من مصادرها الأصلية

بعد أن تبين بما لا مجال للشك فيه بأن أول الكتاب المطبوع باسم «الرد على الجهمية» والزنادقة المنسوب للإمام أحمد إنما هو كلام مقاتل بن سليمان في تفسير بعض الآيات التي ادعى الزنادقة تعارضها وطعنوا بذلك في ثبوت القرآن، كما رواه عنه أبو الحسين الملطي والبيهقي، وكذا الكلام على جهم وظهور دعوته، هو من كلام مقاتل كما رواه ابن بطة الحنبلي عنه بإسناده، وهذا القسم هو تقريبًا ثلث أو نصف الكتاب، فإن الباقي منه بنسخه القديمة لا يثبت أيضًا عن الإمام أحمد، وسنحاول رد ما ورد فيه إلى المصادر التي استقي منها!

هذا، ويمكن تقسيم كتاب الإمام أحمد «الرد على الجهمية» إلى مقدمة وثلاثة أقسام بحسب موضوعاته، وهذا بيان تحقيق القول في نسبتها.

المبحث الأول

في التحقق من مقدمة الكتاب وخطبة الإمام أحمد

وهي خطبة الكتاب المشهورة في أول كتاب «الرد على الجهمية» المطبوع، ولفظها:

(الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يُحيون بكتاب الله الموتى، ويبصّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه! وكم من ضال تائه قد هدوه! فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم! ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن الضالين)[(١)].

وهذه الخطبة أوردها ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» في مقدمة «رسالة الإمام أحمد إلى مسدد بن مسرهد» لا في مقدمة كتاب «الرد على الجهمية»، ولفظها:

(بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، وينهون عن

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٥٥ - ٥٧).

الـردى، يحيـون بكتـاب الله الموتـى، وبسـنة النبـي أهـل الجهالـة والـردى، فكـم مـن قتيـل لإبليـس قـد أحيـوه، وكـم مـن ضـال تائـه قـد هـدوه، فـما أحسـن أثرهـم عـلى النـاس، ينفـون عـن ديـن الله تحريـف الغالـين، وانتحـال المبطلـين الذيـن عقـدوا ألويـة البـدع، وأطلقـوا أعنـة الفتنـة، مختلفـين في الكتـاب، يقولـون عـلى الله وفي الله، تعـالى الله عـما يقـول الظالمـون علـوًّا كبـيرًا، وفي كتابـه بغـير علـم، فنعـوذ بـالله مـن كل فتنـة مضلـة).

وقـد رواهـا ابـن الجـوزي بإسـناده فقـال: (أخبرنـا عبـد الملـك بـن أبي القاسـم [هـو ابـن أبي سـهل الهـروي الحافـظ] أخبرنـا عبـد الله بـن محمـد الأنصـاري [الهـروي الحافـظ] قـال: أخبرنـا أبـو يعقـوب الحافـظ [إسـحاق بـن إبراهيـم السرخـسي، الهـروي الحافـظ] قـال: أخبرنـا محمد ابـن أحمـد بـن الفضـل [النيسـابوري الحافـظ] قـال: أخبرنـا أبـو عبـد الله محمـد بـن بـشر بـن بكـر [البَبْنِـيّ الهـروي الفقيـه الثقـة] قـال: حدثنـا أبـو بكـر أحمـد بـن محمـد بـن هـارون البرديجـي البردعـي التميمـي [النيسـابوري الحافـظ])[(١)].

وكـذا رواهـا ابـن أبي يعـلى (المتـوفى سـنة ٥٢٦هــ) في طبقـات الحنابلـة بإسـناده فقـال: (أنبأنـا عـلي، عـن ابـن بطـة، حدثنـي عـلي بـن أحمـد المقـري المراغـي، بالمراغـة، حدثنـا محمـد بـن جعفـر بـن محمـد السـونديني، حدثنـا عـلي بـن محمـد بـن موسـى الحافـظ، المعـروف بابـن

(١) مناقب الإمام أحمد (ص ٢٢٤).

المعدِّل، حدثنا أحمد بن محمد التميمي)[١].

فأي الكتابين افتتحه الإمام أحمد بهذه الخطبة؛ رسالته إلى مسدد أم رده على الجهمية؟ أم أنهما كتاب واحد؟

ولم يرو هذه الخطبة أحد بإسناده إلا ابن الجوزي، وابن أبي يعلى من طريق ابن بطة، إلى الإمام أحمد في رسالته إلى مسدد، وقد ذكر ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة أول كتاب «الرد على الجهمية» من طريق الخضر بن المثنى[٢] فلم يذكر الخطبة كما سيأتي بيانه، وكذا لم يذكرها ابنه عبدالله بن أحمد في كتبه، ولا صالح بن أحمد في سيرة الإمام، ولا حنبل في كتاب «المحنة» ولا الخلال في «السنة»!

وبعيد جدًّا أن يفتتح الإمام أحمد كتابيه بالخطبة نفسها، ثم لا نجد لها ذكرًا عند ابن بطة، ولا عند ابن أبي يعلى، ولا عند أبيه القاضي أبي يعلى، ولا ابن الجوزي، إلا كمقدمة لرسالته لمسدد فقط، دون كتابه الأهم منها والأشهر «الرد على الجهمية»!

ولا يبعد أن يكون الإمام أحمد قد جعل مفتتح رسالته لمسدد الأثر المروي عن عمر، كما في كتاب أسد بن موسى (المتوفى سنة ٢١٢هـ) الذي رواه عنه ابن وضاح، قال: (نا أسد [بن موسى] قال: نا رجل يقال له «يوسف» ثقة، عن أبي عبد الله الواسطي،

(١) طبقات الحنابلة (١/ ٣٤١). انظر: توضيح المشتبه (٢/ ٣٨) في ترجمة «الببني» فقد ذكر الراوي عنه ابن الفضل، وروى هو عن أبي بكر البرديجي، فالإسناد مسلسل بالأئمة الحفاظ، على ما وقع فيه من تصحيف في الإسناد وخلل في الأسماء.

(٢) طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨).

رفعه إلى عمر بن الخطاب أنه قال: الحمد لله الذي امتن على العباد بأن يجعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويحيون بكتاب الله أهل العمى، كم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وضال تائه قد هدوه، بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم!)[١].

وكذا أورد ابن بطة في مقدمة كتاب «الإبانة» خطبة مشابهة لها في سياقها، فقال: (فإن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه قد جعل في كل زمان فترة من الرسل، ودروسًا للأثر، بلطفه بعباده، ورفقه بأهل عنايته، ومن سبقت له الرحمة في كتابه، لا يخلي كل زمان من بقايا من أهل العلم، وحملة الحجة، يدعون من ضل إلى الهدى، ويذودونهم عن الرّدى، يصبرون منهم على الأذى، ويحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بعون الله أهل العمى، وبسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل الجهالة والغبا، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَحْمِلُ هذا الْعِلْمِ مِنْ كُلِّ خلَفٍ عُدُولُهُ، ينْفُون عنْهُ تحْرِيف الْغالِين، وانْتِحال الْمُبْطِلِين، وتأْوِيل الْجاهِلِين»)[٢].

ثم بعد أن خرج ابن بطة الأخبار والآثار في ذلك قال: (باب ذكر ما افترضه الله تعالى نصًّا في التنزيل من طاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أما بعد: فإن الله عَزَّ وَجَلَّ بعث محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمة

(١) البدع (١/ ٢٦ رقم ٣).
(٢) الإبانة (١/ ١٩٦).

للعالمين، ومهيمنًا على النبيين، ونذيرًا بين يدي عذاب شديد، بكتاب أحكمت آياته وفصلت بيناته ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] بين فيه مناهج حقوق افترضها، ومعالم حدود أوجبها، إيضاحًا لوظائف دينه، وإكمالًا لشرائع توحيده، كل ذلك في آيات أجملها، وبألفاظ اختصرها، أدرج فيها معانيها.

من ثم أمر نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتبيين ما أجمل، وتفصيل ما أدرج، فقال جل ثناؤه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] وفرض على الخلق أجمعين طاعة رسوله، وقرن ذلك بطاعته، ومتصلًا بعبادته، ونهى عن مخالفته بالتهديد، وتواعد عليه بأغلظ الوعيد في آيات كثيرة من كتابه.

فقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣١-١٣٢].

وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣-١٤].

وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

وقال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

وقال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وقال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]

وقال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]

وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

وقال: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ **الآية** [النور: ٦٢].

وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الممتحنة: ٦].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١-٥] **كلها في طاعة الرسول.**

وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٧].

وقال: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ٥]

وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢].

وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ١٠ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ [الطلاق: ١٠-١١].

في آيات أخر نظائر لهذه الآيات، كلها قد قرن الله عَزَّوَجَلَّ طاعة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطاعته، ووصلها بفريضته، وجعل أمره كأمره، وتعقبها بالوعيد الشديد والزجر والتهديد لمن حاد عن أمره، أو خرج عن طاعته، أو وجد في نفسه حرجًا من قضيته، أو ابتدع في سنته.

ولقد دلنا مولانا الكريم تعالى على طريق محبته، وأرشدنا إلى سبيل هدايته بأقصد المذاهب وأقرب المسالك، حين أعلمنا أن محبة الله هي في متابعة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١] فمن اتبع رسوله في سنته أورثه ذلك محبة الله عَزَّوَجَلَّ بكسبه البصيرة في إيمانه فيما أحكمه في قلبه ولسانه، وبالمغفرة والرضوان في ميعاده.

وسئل سهل بن عبد الله التُّستري عن شرائع الإسلام فقال: وقال العلماء في ذلك وأكثروا ولكن نجمعه كله بكلمتين: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧] ثم نجمعه كله في كلمة واحدة: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] فمن يطع الرسول في سنته فقد أطاع الله في فريضته)[1].

---

(١) الإبانة (٢١٥).

فقد افتتح ابن بطة كتابه «الإبانة» بعد المقدمة بالخطبة نفسها، وشرع في أول كتابه بشرح لرسالة «طاعة الرسول» للإمام أحمد ببسطها وبيانها والاستدلال لها!

وهو ما يؤكد أن كتابه هذا إنما هو بسط لمذهب أحمد في مسائل الاعتقاد وإبانة عنه، وأنه سبيل الفرقة الناجية، حيث نشر فيه وبث نصوص الإمام في كل أبوابه، حتى وصل إلى كتابنا المقصود بهذه الدراسة، وهو «الرد على الجهمية» وسيخصص ابن بطة له فصلًا وكتابًا بعنوان «الرد على الجهمية فيما تأولوا فيه متشابه القرآن» وسنرى تطابقًا تامًّا بين نصوصه ونصوص كتاب الإمام أحمد «الرد على الجهمية»!

المبحث الثاني

دراسة موضوعات كتاب أحمد وردُّها لمصادرها

وهو مدخل مهم لمعرفة كيف وقعت الإضافات والزيادات على كتاب الإمام أحمد «الرد على الجهمية» وهذا أوان كشف وجه هذه القضية، بدراسة كل قسم من هذا الكتاب وإرجاعه إلى أصله، وقد تعددت موضوعات كتاب الإمام أحمد في كتابه «الرد على الجهمية» إلى ثلاث موضوعات رئيسة، كما نص على ذلك ابن تيمية، وهي:

القسم الأول

باب «الرد على الجهمية» في إنكارهم تكليم الله لنبيه موسى

ويعد نص ابن أبي يعلى الحنبلي مفتاحًا لمعرفة أول باب افتتح به الإمام أحمد كتابه «الرد على الجهمية» بحسب النسخ القديمة للكتاب، على ما فيها من خلل وخلط، حيث ذكر في «طبقات الحنابلة» أول الكتاب بما يعرف منه موضوعه، فقال في ترجمة:

(خضر بن مثنى الكندي: نقل عن عبدالله بن إمامنا أحمد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عنه أشياء، منها «الرد على الجهمية» فيما قرأته على المبارك ابن عبد الجبار [الطيوري الحافظ] عن إبراهيم [بن عمر البرمكي الفقيه المسند] عن عبدالعزيز: أبو بكر الخلال، أخبرني خضر بن مثنى الكندي قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قال أبي: بيان ما أنكرت الجهمية أن الله تعالى كلم موسى.

فقلنا لهم: لم أنكرتم ذلك؟

قالوا: إن الله لم يتكلم، ولا يتكلم، إنما كوّن شيئًا فعبر عن الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخلق صوتًا فأسمع! وزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان!

فقلنا: هل يجوز لمكوّن أو غير الله أن يقول لموسى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤] أو: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢] فمن زعم كما زعمت الجهمية أن الله كوّن شيئًا، كان يقول ذلك المكوّن: يا موسى إن الله رب العالمين، ولا يجوز أن يقول: إني أنا الله رب العالمين! وقال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ

﴿لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقال: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه: ٤١] وقال: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

فهذا منصوص القرآن.

وأما ما قالوا: إن الله لم يتكلم، ولا يتكلم!

فكيف بحديث الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم الطائي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْكُمْ مِنْ أحدٍ إلّا وسيُكلِّمُهُ الله، ليْس بيْن الله وبيْنهُ تُرْجُمانٌ»[١].

وأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان!

أليس قال الله تعالى للسماوات والأرض: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] أتراها أنها قالت بجوف وشفتين ولسان! والجوارح إذا شهدت على الكفار فقالوا: ﴿لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ﴾ [فصلت: ٢١] أتراها أنها نطقت بجوف وفم ولسان وشفتين! ولكن الله أنطقها كيف شاء، وكذلك تكلم الله كيف شاء، من غير أن يقول جوف، ولا فم، ولا شفتان، ولا لسان)[٢] انتهى نقل ابن أبي يعلى!

ثم قال في آخره: (وذكر الرسالة بطولها) ولم يسق ابن أبي يعلى لفظها كاملًا هنا. وكذا ذكر ابن مفلح في «المقصد الأرشد في ذكر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: من نوقش الحساب عذّب (رقم ٦٥٣٩) ومسلم في كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة (رقم ١٠١٦) كلاهما من طريق الأعمش به.

(٢) طبقات الحنابلة (٢/ ٤٧).

أصحاب الإمام أحمد» في ترجمة الخضر بن المثنى، وساق ما ذكر ابن أبي يعلى[(١)].

فهذا نص على أن أول الكتاب بحسب نسخة ابن أبي يعلى هو موضوع ما أنكرته الجهمية من صفة الكلام، وليس له خطبة كما يظهر من كلام ابن أبي يعلى، بل يبدأ بباب (ما أنكرت الجهمية أن الله تعالى كلم موسى...)[(٢)].

---

(١) المقصد الأرشد (١/ ٣٧٢).

(٢) وقد ذكر هذا الباب أيضًا ابن تيمية في كتابه «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ١٥٧) وقال: (قال الإمام أحمد: باب بيان ما أنكرت الجهمية من أن يكون الله كلم موسى. فقلنا: لم أنكرتم ذلك؟ قالوا: إن الله لم يتكلم، ولا يتكلم، إنما كوّن شيئًا يعبر عن الله، وخلق صوتا فأسمع، وزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف وشفتين ولسان! فقلنا: هل يجوز لمكون أو غير الله أن يقول: {يا موسى إني أنا ربك} [طه ١١-١٢] أو يقول: {إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني} [طه ١٤] فمن قال ذلك زعم أن غير الله ادعى الربوبية، ولو كان كما زعم الجهمي أن الله كوّن شيئًا كان يقول ذلك المكون: (يا موسى إن الله رب العالمين) إلى أن قال: فكيف يصنعون بحديث الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه...» الحديث.

وأما قوله: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وشفتين ولسان! أليس الله قد قال للسماوات والأرض: {ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين} [فصلت ١١] أتراها قالت بجوف وفم وشفتين وأدوات! وقال تعالى: {وسخرنا مع داود الجبال يسبحن} [الأنبياء ٧٩] أتراها أنها يسبحن بجوف وفم وشفتين ولسان! والجوارح إذا شهدت على الكفار فقالوا: {لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء} [فصلت ٢١] أتراها نطقت بجوف وفم وشفتين! ولكن الله أنطقها كيف شاء... إلى أن قال: فلما خنقته الحجج قال: إن الله كلم موسى، إلا أن كلامه غيره، فقلنا: وغيره مخلوق؟ قال: نعم! فقلنا: هذا مثل قولكم الأول إلا أنكم تدفعون عن أنفسكم الشنعة! وحديث الزهري قال: لما سمع موسى كلام ربه قال: يا رب هذا الذي سمعته هو كلامك؟ قال: نعم، يا موسى هو كلامي، وإنما كلمتك بقوة عشر آلاف لسان، ولي قوة الألسن كلها، وأنا أقوى من ذلك، وإنما كلمتك على قدر ما يطيق بدنك، ولو كلمتك بأكثر من ذلك لمت. قال: فلما

رجع موسى إلى قومه قالوا له: صف لنا كلام ربك. فقال: سبحان الله! وهل أستطيع أن أصفه لكم! قالوا: فشبِّهه. قال: هل سمعتم أصوات الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها! فكأنه مثله».

وقلنا للجهمية من القائل للناس يوم القيامة: {يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين} [المائدة ١١٦] أليس الله هو القائل؟ قالوا: يكوّن الله شيئًا فيعبر عن الله كما كوّن شيئًا فعبر لموسى.

قلنا: فمن القائل: {فلنسألن الذين أرسل إليهم} الآية [الأعراف ٦] أليس هو الله تعالى؟

قالوا: هذا كله إنما يكوّن شيئًا فيعبر عن الله.

فقلنا: قد أعظمتم على الله الفرية حين زعمتم أنه لا يتكلم، فشبهتموه بالأصنام؛ لأن الأصنام لا تتكلم ولا تتحرك، ولا تزول من مكان إلى مكان. فلما ظهرت عليه الحجة قال: إن الله قد يتكلم ولكن كلامه مخلوق.

قلنا: وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق، فقد شبهتم الله تعالى بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق، ففي مذهبكم كان في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق الكلام، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق لهم كلامًا، فقد جمعتم بين كفر وتشبيه! فتعالى الله عن هذه الصفة، بل نقول إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء، ولا نقول إنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام، ولا نقول إنه كان لا يعلم حتى خلق علما فعلم.

قال الإمام أحمد: قالت الجهمية: إن زعمتم أن الله ونوره، والله وقدرته، والله وعظمته، فقد قلتم بقول النصارى حين زعمتم أن الله لم يزل ونوره، ولم يزل وقدرته!

قلنا: لا نقول إن الله لم يزل وقدرته، ولم يزل ونوره، بل نقول: لم يزل بقدرته ونوره، لا متى قدر، ولا كيف قدر.

فقالوا: لا تكونون موحدين أبدا حتى تقولوا قد كان الله ولا شيء! ولكن إذا قلنا: إن الله لم يزل بصفاته كلها، أليس إنما نصف إلهًا واحدًا بجميع صفاته، وضربنا لهم في ذلك مثلًا فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة؛ أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار واسمها اسم شيء واحد، وسميت نخلة بجميع صفاتها! فكذلك الله – وله المثل الأعلى – بجميع صفاته إله واحد. إلى أن قال: وقد سمى الله رجلًا كافرًا اسمه الوليد، فقال: {ذرني ومن خلقت وحيد} [المدثر ١١] وكان له عينان وأذنان ولسان وجوارح فسماه وحيدًا بجميع صفاته).

وقال ابن تيمية أيضًا في «درء التعارض» ٢/ ٢٩١: (قال أحمد في رده على الجهمية: باب ما أنكرت الجهمية من أن يكون الله كلم موسى. فقلنا: لم أنكرتم ذلك؟ قالوا: إن الله لم يتكلم، ولا يتكلم، وإنما كون شيئًا فعبر عن الله، وخلق صوتًا فأسمع، وزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف ولسان وشفتين. فقلنا: هل يجوز لمكون أو غير الله أن يقول: {يا موسى إني أنا ربك} [طه: ١٢] أو يقول: {إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري} [طه: ١٤]؟ فمن قال ذلك زعم أن غير الله ادعى الربوبية، ولو كان كما زعم الجهمي أن الله كون شيئًا كان يقول ذلك المكون: (يا موسى إني أنا الله رب العالمين) وقد قال جل ثناؤه: {وكلم الله موسى تكليما} [النساء: ١٦٤] وقال تعالى: {ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه} [الأعراف: ١٤٣] وقال تعالى: {إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي} [الأعراف: ١٤٤] هذا منصوص القرآن.

فأما ما قالوا: إن الله لا يتكلم! فكيف يصنعون بحديث الأعمش، عن خثيمة، عن عدي بن حاتم الطائي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان».

وأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان وأدوات! فقد قال تعالى: {وسخرنا مع داود الجبال يسبحن} [الأنبياء: ٧٩] أتراها أنها يسبحن بجوف وفم ولسان وشفتين! والجوارح إذا شهدت على الكافر فقالوا: {لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء} [فصلت: ٢١] أتراها أنها نطقت بجوف وفم ولسان؟ ولكن الله أنطقها كيف شاء، وكذلك الله يتكلم كيف شاء، من غير أن نقول: بجوف ولا فم ولا شفتين ولا لسان. فلما خنقته الحجج قال: إن الله كلم موسى إلا أن كلامه غيره.

فقلنا: وغيره مخلوق؟ قالوا: نعم. قلنا: مثل قولكم الأول، إلا أنكم تدفعون عن أنفسكم الشنعة. وحديث الزهري قال: لما سمع موسى كلام الله قال: يا رب، هذا الذي سمعته هو كلامك؟ قال: نعم يا موسى هو كلامي، وإنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولي قوة الألسن كلها، وأنا أقوى من ذلك، وإنما كلمتك على قدر ما يطيق بدنك، ولو كلمتك بأكثر من ذلك لمت. فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له: صف لنا كلام ربك. فقال: سبحان الله! وهل أستطيع أن أصفه لكم؟ قالوا: فشبِّهه، قال: هل سمعتم أصوات الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها! فكأنه مثله).

وهذا النص ثابت في المطبوع وكل النسخ المخطوطة من «الرد على الجهمية» بعد الحديث عن جهم وبدء ظهوره وشيعته!

وعلى هذا النص ملحوظات مهمة وهي:

١- لغة النص هذا أبعد ما تكون عن لغة الإمام أحمد وفصاحته وبيانه، وهو أسلوب غير معهود منه ولا من أئمة عصره، وفيه مفردات لم ترد عن أحمد في أي من كتبه، ولا حتى عن الأئمة في عصره!

ومن ذلك لفظ «كوّن، مكوّن، المكوّن» فلا يكاد هذا اللفظ يعرف بهذا المعنى، لا في القرن الأول ولا الثاني ولا أول القرن الثالث، فهو استعمال محدث، وإنما بدأ يظهر هذا الاستعمال بندرة في النصف الثاني من القرن الثالث، كما عند البخاري (المتوفى سنة ٢٥٦هـ) في صحيحه في كتاب التوحيد: (باب ما جاء في تخليق السموات والأرض وغيرها من الخلائق. وهو فعل الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وأمره، فالرب بصفاته وفعله وأمره وكلامه، وهو الخالق المكون، غير مخلوق، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكوّن) وكذا استعمله ابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٦٧هـ) في «الشعر والشعراء» مرة واحدة!

٢- وكذا عبارة: (فمن زعم ذلك فقد زعم أن غير الله ادعى الربوبية) وادعاء الربوبية واقع من النمرود وفرعون الذي قال: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] فلا يتصور صدور هذا الاحتجاج الضعيف من الإمام أحمد على خصمه، حتى مع تأويل العبارة على وجه قد يستقيم به المعنى، بأن يزاد: ادعى الربوبية وأقره الله على دعواه!

٣- وكذا الاستدلال بمثل النخلة على اشتمال الاسم على الذات والصفات، لا يوجد في أي من كتب الإمام أحمد وأصحابه، وذلك قوله في كتابه «الرد على الجهمية» (فقالوا: لا تكونون موحدين أبدًا حتى تقولوا: قد كان الله ولا شيء. فقلنا: نحن نقول: قد كان الله ولا شيء، ولكن إذا قلنا: إن الله لم يزل بصفاته كلها، أليس إنما نصف إلهًا واحدًا بجميع صفته! وضربنا لهم في ذلك مثلًا فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة؛ أليس لها جذع، وكرب، وليف، وسعف، وخوص، وجمار، واسمها اسم شيء واحد، وسميت نخلة بجميع صفاتها!)(١).

وقد ضرب ابن بطة الحنبلي المثل بالنخلة وخوصها وجمارها، فقال في كتابه «الإبانة» فصل: الرد على الجهمية فيما تأولوه من متشابه القرآن، حيث يقول:

(وإنما أنكر الجهمي صفات الباري تعالى أراد بذلك إبطاله، ألا ترى أن أصغر خلقه إن أبطلت صنعته بطل! فكيف العظيم الذي ليس كمثله شيء! ألا ترى أن النخلة لها جذع، وكرب، وليف، وجمار، ولب، وخوص، وهي تسمى نخلة.

فإذا قال القائل: نخلة علم السامع أن النخلة لا تكون إلا بهذا الاسم نخلة، فلو قال: نخلة، وجذعها، وكربها، وليفها، وجمارها، ولبها، وخوصها، وتمرها، كان محالًا، لأنه يقال: فالنخلة ما هي إذا جعلت هذه الصفات غيرها!

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٣٧).

أرأيت لو قال قائل: إن لي نخلة كريمة آكل من تمرها غير أنه ليس لها جذع، ولا كرب، ولا ليف، ولا خوص، ولا لب، وليس هي خفيفة، وليس هي ثقيلة، أيكون هذا صحيحًا في الكلام!

أوليس إنما جوابه أن يقال: إنك لما قلت: نخلة عرفناها بصفاتها، ثم نعت نعتًا نفيت به النخلة! فأنت ممن لا يثبت ما سمى إن كان صادقًا، فلا نخلة لك!

فإذا كانت النخلة في بعد قدرها من العظيم الجليل تبطل إذا نفيت صفاتها، أفليس إنما أراد الجهمي إبطال الربوبية وجحودها!

فقد تبين في المخلوق أن اسمه جامع لصفاته، وأن صفاته لا تباينه، وإنما أراد الجهمي بقول إن صفات الله مخلوقة أن يقول: إن الله كان ولا قدرة، ولا علم، ولا عزة، ولا كلام، ولا اسم، حتى خلق ذلك كله، فكان بعدما خلقه!

فإذا أبطل صفاته فقد أبطله، وإذا أبطله في حال من الأحوال فقد أبطله في الأحوال كلها، حتى يقول: إن الله عَزَّوَجَلَّ لم يزل ولا يزال بصفاته كلها إلهًا واحدًا قديمًا قبل كل شيء، ويبقى بصفاته كلها بعد فناء كل شيء)[١].

وهذا الأسلوب في كتاب ابن بطة وهذا الاستدلال مطابق كل المطابقة أسلوب كتاب «الرد على الجهمية» المنسوب للإمام أحمد، ولا فرق بين النصين إلا في البسط عند ابن بطة، والاختصار في

---

(١) الإبانة (٣/ ١٧٥).

«الـرد عـلى الجهميـة» للإمـام أحمـد!

وهـذا المثـل المـضروب بالنخلـة رواه ابـن شـاهين بإسـناده إلى حمـاد ابـن زيـد في كتابـه «شرح مذاهـب أهـل السـنة» قـال: حدثنـا عبـد الله ابـن سـليمان بـن الأشـعث السجسـتاني، حدثنـي أبي، عـن سـليمان بـن حـرب قـال: قـال حمـاد بـن زيـد فذكـره[1].

وكذلـك عـزاه إسـماعيل الأصبهـاني الشـافعي في كتابـه «الحجـة» إلى حمـاد ابـن زيـد فقـال: (وقـال حمـاد بـن زيـد: مثـل الجهميـة مثـل رجـل قيـل لـه:

في دارك نخلة؟

قال: نعم.

قيل: فلها خوص؟

قال: لا.

قيل: فلها سعف؟

قال: لا.

قيل: فلها كرب؟

قال: لا.

قيل: فلها جذع؟

قال: لا.

---

(١) شرح مذاهب أهل السنة (رقم ٣٤).

قيل: فلها أصل؟

قال: لا.

قيل: فلا نخلة في دارك!

هؤلاء الجهمية قيل لهم: لكم رب يتكلم. قالوا: لا.

قيل: فله يد.

قالوا: لا.

قيل: فيرضى ويغضب؟

قالوا: لا.

قيل: فلا رب لكم)[١].

وكذا عزاه إلى حماد بن زيد أبو يعلى الحنبلي في «إبطال التأويلات»[٢].

ولو وجد عمر بن شاهين (المتوفى سنة ٣٨٥) أو أبو يعلى الحنبلي (المتوفى سنة ٤٥٨) أو إسماعيل الأصبهاني (المتوفى سنة ٤٩١) نصًّا عن أحمد بهذا اللفظ لرووه عنه بأسانيدهم، أو نسبوه إليه أيضًا، كما روَّوا عنه كثيرًا من أقواله في «الرد على الجهمية»!

ومثله في المحاجّة بهذه الطريقة قول ابن بطة:

(وقد فهم من آمن بالله، وعقل عن الله أن كلام الله، ونفس

(١) الحجة (١/ ٤٧٧).

(٢) إبطال التأويلات (١/ ٥٥ المسألة ٣٨).

الله، وعمل الله، وقدرة الله، وعزة الله، وسلطان الله، وعظمة الله، وحلم الله، وعفو الله، ورفق الله، وكل شيء من صفات الله أعظم الأشياء، وأنها كلها غير مخلوقة؛ لأنها صفات الخالق ومن الخالق، فليس يدخل في قوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢] لا كلامه، ولا عزته، ولا قدرته، ولا سلطانه، ولا عظمته، ولا جوده، ولا كرمه، لأن الله تعالى لم يزل بقوله، وعلمه، وقدرته، وسلطانه، وجميع صفاته إلهًا واحدًا، وهذه صفاته قديمة بقدمه، أزلية بأزليته، دائمة بدوامه، باقية ببقائه، لم يخلُ ربنا من هذه الصفات طرفة عين، وإنما أبطل الجهمي صفاته يريد بذلك إبطاله. وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد آنيته [يعني تحقق وجود الله ودوامه] ليكون بذلك مباينًا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعا.

الثاني: أن يعتقد وحدانيته، ليكون مباينًا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفًا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفًا، بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه، إذ قد علمنا أن كثيرًا ممن يقر به ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته، فيكون إلحاده في صفاته قادحًا في توحيده، ولأنا نجد الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة في هذه الثلاث والإيمان بها، فأما دعاؤه إياهم إلى الإقرار

بآنيتـه ووحدانيتـه فلسـنا نذكـر هـذا هاهنـا لطولـه وسـعة الـكلام فيـه، ولأن الجهمـي يدعـي لنفسـه الإقـرار بهـما، وإن كان جحـده للصفـات قـد أبطـل دعـواه لهـما)[1].

ويـكاد ابـن بطـة الحنبـلي يتفـرد بهـذا التقسـيم المعـرفي العلمـي الدقيـق لحقيقـة التوحيـد إلى ثلاثـة أنـواع:

١- توحيـد الربوبيـة، وإثبـات وجـود الله ودوامـه وقيوميتـه وأزليته وأبديتـه وآنيته.

٢- توحيد الإلهية وعدم الإشراك بالله في عبادته.

٣- توحيد الله في أسمائه وصفاته وعدم الإلحاد بها ونفيها.

ممـا يؤكـد تفـرده مـن بـين علـماء الحنابلـة في عـصر في هـذا الفـن، وهـو مـا رشـحه ليكـون مرجعهـم الأبـرز في زمانـه، وبعـد عـصره، في بـاب الاعتقـاد، ومصـدرًا لمعرفـة مذهـب أحمـد الاعتقـادي.

وقال أيضًا في «الإبانة»:

(ثـم إن الجهمـي ادّعـى أمـرًا آخـر ليضـل بـه الضعفـاء ومـن لا علـم عنـده، فقـال: أخبرونـا عـن القـرآن؛ هـل هـو الله أو غـير الله؟ فـإن زعمتـم أنـه الله، فأنتـم تعبـدون القـرآن، وإن زعمتـم أنـه غـير الله فـما كان غـير الله فهـو مخلـوق.

فيظـن الجهمـي أن قـد فلجـت حجتـه وعلـت بدعتـه، فـإن لم يجبـه العـالم ظـن أنـه قـد نـال بعـض فتنتـه!

(١) الإبانة (٦/ ١٤٩).

فالجواب للجهمي في ذلك أن يقال له: القرآن ليس هو الله، لأن القرآن كلام الله، وبذلك سماه الله، قال: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وبحسب العاقل العالم من العلم أن يسمي الأشياء بأسمائها التي سماها الله بها، فمن سمى القرآن بالاسم الذي سماه الله به كان من المهتدين، ومن لم يرض بالله ولا بما سماه به كان من الضالين وعلى الله من الكاذبين، قال الله ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

فهذا من الغلو ومن مسائل الزنادقة، لأن القرآن كلام الله، فمن قال: إن القرآن هو الله، فقد جعل الله كلامًا وأبطل من تكلم به، ولا يقال إن القرآن غير الله، كما لا يقال إن علم الله غير الله، ولا قدرة الله غير الله، ولا صفات الله غير الله، ولا عزة الله غير الله، ولا سلطان الله غير الله، ولا وجود الله غير الله، ولكن يقال: كلام الله، وعزة الله، وصفات الله، وأسماء الله.

وبحسب من زعم أنه من المسلمين، ولله من المطيعين، وبكتاب الله من المصدقين، ولأمر الله من المتبعين، أن يسمي القرآن بما سماه الله به، فيقول: القرآن كلام الله كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥] ولم يقل: يريدون أن يبدلوا الله. ولم يقل: يريدون أن يبدلوا غير الله. وقال: ﴿بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤٤] ولم يقل إن القرآن أنا هو، ولا هو غيري.

فالقرآن كلام الله فيه أسماؤه وصفاته، فمن قال: هو الله، فقد

قال إن ملك الله وسلطان الله وعزة الله غير الله! ومن قال: إن سلطان الله وعزة الله مخلوق، فقد كفر؛ لأن ملك الله لم يزل ولا يزول.

ولا يقال: إن ملك الله هو الله، فلا يجوز أن يقول: يا ملك الله اغفر لنا، يا ملك الله ارحمنا، ولا يقال: إن ملك الله غير الله، فيقع عليه اسم المخلوق، فيبطل دوامه، ومن أبطل دوامه أبطل مالكه، ولكن يقال: ملك الله من صفات الله، قال الله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١] .

وكذلك عزة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠] يقول: من كان يريد أن يعلم لمن العزة فإن العزة لله جميعًا، فلا يجوز أن يقال: إن عزة الله مخلوقة! من قال ذلك فقد كفر؛ لأن الله لم تزل له العزة، ولو كانت العزة مخلوقة لكان بلا عزة قبل أن يخلقها حتى خلقها فعز بها، تعالى ربنا وجل ثناؤه عما يصفه به الملحدون علوًّا كبيرًا.

ولا يقال: إن عزة الله هي الله، ولو جاز ذلك لكانت رغبة الراغبين ومسألة السائلين أن يقولوا: يا عزة الله عافينا، ويا عزة الله أغنينا، ولا يقال: عزة الله غير الله، ولكن يقال: عزة الله صفة الله، لم يزل ولا يزال الله بصفاته واحدًا، وكذلك علم الله، وحكمة الله، وقدرة الله، وجميع صفات الله تعالى، وكذلك كلام الله.

فتفهموا حكم الله، فإن الله لم يزل بصفاته العليا وأسمائه الحسنى عزيزًا قديرًا عليمًا حكيمًا ملكًا متكلمًا قويًّا جبارًا، لم يخلق علمه

ولا عـزه، ولا جبروتـه، ولا ملكـه، ولا قوتـه، ولا قدرتـه، وإنـما هـذه صفـات المخلوقـين.

والجهمـي ينفـي الصفـات عـن الله، ويزعـم أنـه يريـد بذلـك أن ينفـي عـن الله التشـبيه بخلقه! والجهمـي الـذي يشـبه الله بخلقـه؛ لأنـه يزعـم أن الله عَزَّوَجَلَّ كان ولا علـم، وكان ولا قـدرة، وكان ولا عـزة، وكان ولا سـلطان، وكان ولا اسـم، حتـى خلـق لنفسـه اسـمًا، وهـذه كلهـا صفـات المخلوقـين، تعـالى الله عـن ذلـك علـوًّا كبـيرًا.

لأن المخلوقـين مـن بنـي آدم، كان ولا علـم، خلقـه الله جاهـلًا ثـم علّمــه، قــال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨] وكان ولا كلام حتـى يطلـق الله لسـانه، وكان ولا قـوة ولا عـزة ولا سـلطان حتـى يقويـه الله ويعـزه ويسـلطه، وهـذه كلهـا صفـات المخلوقـين، وكل مـن حدثـت صفاتـه فمحـدث ذاتـه، ومـن حـدث ذاتـه وصفتـه فـإلى فنـاء حياتـه، وتعـالى الله عـن ذلـك علـوًّا كبـيرًا)[١].

انتهـى كلام ابـن بطـة، وهـو مطابـق مـن حيـث المعنـى والأسـلوب والاسـتدلال لمـا في «الـرد عـلى الجهميـة» للإمـام أحمـد المطبـوع بتحقيـق العجمـي، حيـث جـاء فيـه: (ثـم إن الجهـم ادعـى أمـرا آخـر، وهـو مـن المحال.

فقال: أخبرونا عن القرآن؛ أهو الله أو غير الله؟

فادعـى في القـرآن أمـرًا يوهـم النـاس، فـإذا سـئل الجاهـل عـن

---

(١) الإبانة (٦/ ١٤٩).

القـرآن: هـو الله أو غـير الله؟ فلابـد لـه مـن أن يقـول بأحـد القولـين.

فإن قال: هو الله.

قال له الجهمي: كفرت.

وإن قال: هو غير الله.

قال: صدقت، فلم لا يكون غير الله مخلوقًا؟

فيقع في نفس الجاهل من ذلك ما يميل به إلى قول الجهمي.

وهذه المسألة من الجهمي من المغاليط!

فالجـواب للجهمـي إذا سـأل فقـال: أخبرونـا عـن القـرآن: هـو الله أو غـير الله؟

قيـل لـه: إن الله -جـل ثنـاؤه- لم يقـل في القـرآن: إن القـرآن أنـا، ولم يقـل: غـيري، وقـال: هـو كلامـي، فسـميناه باسـم سـماه الله بـه فقلنـا: كلام الله، فمـن سـمى القـرآن باسـم سـماه الله بـه كان مـن المهتديـن، ومـن سـماه باسـم غـيره كان مـن الضالـين.

وقـد فصـل الله بـين قولـه وبـين خلقه، ولم يسـمه قـولا، فقـال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فلـما قـال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ لم يبـق شيء مخلـوق إلا كان داخـلًا في ذلـك، ثـم ذكـر مـا ليـس بخلـق فقـال: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ فأمـره هـو قولـه، تبـارك رب العالمـين أن يكـون قولـه خلقـًا.

وقـال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣-٤] ثـم قـال القـرآن ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ [الدخان: ٥].

قلنا: وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق، فقد شبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق! ففي مذهبكم قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق الكلام، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق الله لهم كلامًا، وقد جمعتم بين كفر وتشبيه! وتعالى الله عن هذه الصفة، بل نقول: إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء.

ولا نقول: إنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام.

ولا نقول: إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علمًا فعلم.

ولا نقول: إنه قد كان ولا قدرة له حتى خلق لنفسه القدرة.

ولا نقول: إنه قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نورًا.

ولا نقول: إنه قد كان ولا عظمة له حتى خلق لنفسه عظمة..

ولا نقول: إنه قد كان في وقت من الأوقات، ولا يقدر حتى خلق له قدرة، والذي ليس له قدرة هو عاجز.

ولا نقول: قد كان في وقت من الأوقات ولا يعلم حتى خلق له علمًا فعلم، والذي لا يعلم هو جاهل، ولكن نقول: لم يزل الله عالمًا قادرًا، لا متى، ولا كيف..)[1].

وكذا جاءت عند ابن بطة هذه العبارة المختصرة في «الرد على الجهمية»:

(ولكن نقول: إن الله لم يزل عالمًا، لا متى علم، ولا كيف علم)!

(١) الرد على الجهمية (٢٢١ - ٢٣٢).

وكذا جاء في «الرد على الجهمية»:

(ثم إن الجهم ادعى أمرًا آخر فقال: أنا أجد آية في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تدل على أن القرآن مخلوق.

فقلنا: في أي آية؟

فقال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] فزعم أن الله قال: القرآن محدث، وكل محدث مخلوق.

فلعمري، لقد شبه على الناس بهذا! وهي آية من المتشابه، فقلنا في ذلك قولًا واستعنا بالله، ونظرنا في كتاب الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله)[1].

وهذا هو النص مطولًا في «الإبانة» في باب (الرد على الجهمية فيما تأولوه من متشابه القرآن) قال:

(ثم إن الجهمي إذا بطلت حجته فيما ادعاه ادعى أمرًا آخر، فقال: أنا أجد في الكتاب آية تدل على أن القرآن مخلوق.

فقيل له: أية آية هي؟

قال: قول الله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] أفلا ترون أن كل محدث مخلوق؟

فوهّم على الضعفاء والأحداث وأهل الغباوة وموّه عليهم!

فيقال له: إن الذي لم يزل به عالمًا لا يكون محدثًا، فعلمه أزلي

(١) الرد على الجهمية (٢٣٢).

كما أنه هو أزلي، وفعله مضمر في علمه، وإنما يكون محدثًا ما لم يكن به عالمًا حتى علمه، فيقول: إن الله عَزَّوَجَلَّ لم يزل عالمًا بجميع ما في القرآن قبل أن ينزل القرآن، وقبل أن يأتي به جبريل وينزل به على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] قبل أن يخلق آدم، وقال: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] يقول: كان إبليس في علم الله كافرًا قبل أن يخلقه، ثم أوحى بما قد كان علمه من جميع الأشياء، وقد أخبرنا عَزَّوَجَلَّ عن القرآن فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤] فنفى عنه أن يكون غير الوحي.

وإنما معنى قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ أراد محدثًا علمه وخبره وزجره وموعظته عند محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنما أراد أن علمك يا محمد ومعرفتك محدث بما أوحي إليك من القرآن، وإنما أراد أن نزول القرآن عليك يحدث لك ولمن سمعه علمًا وذكرًا لم تكونوا تعلمونه.

ألم تسمع إلى قوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢] وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

فأخبر أن الذكر المحدث هو ما يحدث من سامعيه وممن علمه وأنزل عليه، لا أن القرآن محدث عند الله، ولا أن الله كان ولا قرآن،

لأن القرآن إنما هو من علم الله، فمن زعم أن القرآن هو بعدُ فقد زعم أن الله كان ولا علم ولا معرفة عنده بشيء مما في القرآن، ولا اسم له، ولا عزة له، ولا صفة له حتى أحدث القرآن.

ولا نقول: إنه فعل الله، ولا يقال: كان الله قبله، ولكن نقول: إن الله لم يزل عالما لا متى علم، ولا كيف علم.

وإنما وهّمت الجهمية الناس ولبّست عليهم بأن يقولوا: أليس الله الأول قبل كل شيء، وكان ولا شيء، وإنما المعنى في «كان الله قبل كل شيء»: قبل السماوات وقبل الأرضين وقبل كل شيء مخلوق، فأما أن نقول: قبل علمه، وقبل قدرته، وقبل حكمته، وقبل عظمته، وقبل كبريائه، وقبل جلاله، وقبل نوره، فهذا كلام الزنادقة!

وقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ فإنما هو ما يحدثه الله عند نبيه، وعند أصحابه، والمؤمنين من عباده، وما يحدثه عندهم من العلم، وما لم يسمعوه، ولم يأتهم به كتاب قبله، ولا جاءهم به رسول.

ألم تسمع إلى قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧] وإلى قوله فيما يحدث القرآن في قلوب المؤمنين إذا سمعوه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] فأعلمنا أن القرآن يحدث نزوله لنا علمًا وذكرًا وخوفًا، فعلمُ نزوله محدث عندنا، وغير محدث عند ربنا عَزَّوَجَلَّ.

ثم إن الجهمي حين بطلت دعواه وظهرت زندقته فيما احتج

به، ادعى أمرا آخر، ووهّم ولبّس على أهل دعوته.

فقال: أتزعمون أن الله لم يزل والقرآن؟ فإن زعمتم أن الله لم يزل والقرآن فقد زعمتم أن الله لم يزل ومعه شيء؟

فيقال له: إنا لا نقول كما تقول، ولا نقول: إن الله لم يزل والقرآن لم يزل، والكلام لم يزل والعلم، ولم يزل والقوة، ولم يزل والقدرة! ولكنا نقول كما قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥] وكما قال: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

فنقول: إن الله لم يزل بقوته، وعظمته، وعزته، وعلمه، وجوده، وكرمه، وكبريائه، وعظمته، وسلطانه، متكلمًا عالمًا قويًّا عزيزًا قديرًا ملكًا، ليست هذه الصفات ولا شيء منها بائنة منه، ولا منفصلة عنه، ولا تجزأ ولا تتبعض منه، ولكنها منه وهي صفاته، فكذلك القرآن كلام الله، وكلام الله منه، وبيان ذلك في كتابه، قال الله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] وقال: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣] وقال: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾ [الصافات: ٣١] وقد أخبرنا الله أن الأشياء إنما تكون بكلامه)[1].

فهذا الكلام المبسوط المطول عند ابن بطة اختصر في كتاب «الرد على الجهمية» المنسوب خطأ للإمام أحمد!

وكذا جاء في كتاب ابن بطة أيضًا، قال:

(وقال الجهمي: إن الله لم يتكلم قط، ولا يتكلم أبدًا!

(١) الإبانة (٣/ ١٨٣).

وقيل له: من يحاسب الخلق يوم القيامة؟

ومن القائل: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف: ٧]؟

ومن القائل: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[الأعراف:٦]؟

ومن القائل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[الحجر:٩٢-٩٣]؟

ومن القائل: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى﴾ [الأعراف: ١٤٤]؟

ومن القائل: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه: ١٤]؟

ومن القائل: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ [النمل: ٩]؟

ومن القائل: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[المائدة:١١٦]؟

في أشباه لهذا تكثر على الإحصاء من مخاطبة الله)[١].

وهذا بألفاظه وحروفه موجود في كتاب «الرد على الجهمية» المنسوب للإمام أحمد مختصرًا حيث جاء فيه: (قالوا: إن الله لم يتكلم، ولا يتكلم، إنما كوّن شيئًا فعبر عن الله...

وقلنا للجهمية: من القائل يوم القيامة: ﴿يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] أليس الله هو القائل؟

قالوا: فيكوّن الله شيئًا فيعبر عن الله، كما كوّن شيئًا فعبر لموسى.

قلنا: فمن القائل: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ [الأعراف: ٧] أليس الله هو الذي يسأل؟

(١) الإبانة (٣/ ١٩٧).

قالوا: هذا كله إنما يكوّن شيئًا فيعبر عن الله.

قلنا: قد أعظمتم على الله الفرية، حين زعمتم أنه لا يتكلم فشبهتموه بالأصنام التي تعبد من دون الله؛ لأن الأصنام لا تتكلم، ولا تتحرك، ولا تزول من مكان إلى مكان.

فلما ظهرت عليه الحجة قال: إن الله قد يتكلم، ولكن كلامه مخلوق.

قلنا: وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق، فقد شبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق)[1].

ولا يتصور أن ينقل ابن بطة كل هذه النصوص عن الإمام أحمد في رده على الجهمية ولا يعزوها له، وهو الذي لا يكاد يجد كلمة أو جملة للإمام أحمد إلا رواها بإسناده إليه!

ومثل ذلك في التطابق بين الكتابين، ما جاء أيضًا في «الرد على الجهمية» المنسوب للإمام أحمد:

(فقالوا: إنما معنى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ [النحل: ٤٠] يكوّن.

قلنا: فلم أخفيتم ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ﴾؟

فقالوا: إنما معنى كل شيء في القرآن معانيه، و«قال الله» مثل قول العرب: قال الحائط وقالت النخلة؛ فسقطت. والحائط والنخلة لا يقولان شيئًا!

فقلنا: على هذا قستم [أفتيتم]؟

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٢٦٥ - ٢٧٢).

قالوا: نعم.

فقلنا: فبأي شيء خلق الخلق إن كان الله في مذهبكم لا يتكلم؟

فقالوا: بقدرته.

فقلنا: هي شيء؟

قالوا: نعم.

فقلنا: قدرته مع الأشياء المخلوقة؟

قالوا: نعم.

فقلنا: كأنه خلق خلقًا بخلق؟ وعارضتم القرآن وخالفتموه حين قال الله جل ثناؤه: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢] فأخبرنا الله أنه يخلق، وقال: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣] فإنه ليس أحد يخلق غيره، وزعمتم أنه خلق الخلق غيره! فتعالى الله عما قالت الجهمية علوًّا كبيرًا)[١].

وهذا مطابق لما جاء في كتاب ابن بطة «الإبانة» باب (الرد على الجهمية فيما تأولته من متشابه القرآن) حيث قال:

(ومما وضح به كفر الجهمي ما رده على الله وجحده من كتابه، فزعم أن الله لم يقل شيئًا قط، ولا يقول شيئًا أبدًا!

فيقال له: فأخبرنا عن كل شيء في القرآن: «قال الله» و«قلنا» و«يوم نقول»؟

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٣١٧).

فقال: إنما هذا كله كما يقول الناس: قال الحائط؛ فسقط، وقالت النخلة فمالت، وقالت النعل فانقطعت، وقالت القدم فزلّت، وقالت السماء فهطلت، والنخلة والحائط والسماء لم يقولوا من ذلك شيئًا قط)[١].

ولاحظ هذه العبارة عند ابن بطة «لم يقولوا من ذلك شيئًا» وعند أحمد «لا يقولان شيئًا» يعني السماء والنخلة!

فكلام أحمد المنسوب إليه هنا مختصر من كلام ابن بطة، مع أنه خلاف الأسلوب العربي الفصيح في الإسناد في الفعل لغير العاقل بالتأنيث «لم تقل شيئًا» أو «لا تقولان شيئًا» لا بالتذكير: يقولوا، يقولان! وكأن المختصر لكلام ابن بطة وراق من الوراقين يجيد الاختصار، ولا يجيد سبك العبارة وصياغتها بأسلوب فصيح!

ثم أكمل ابن بطة كلامه فقال:

(فرد الجهمي كتاب الله الذي أخبر أنه عربي مبين، وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤] ولسان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لسان قرشي، وهم أوضح العرب بيانًا وأفصحها لسانًا، وهذا لم ينزل به القرآن، ولم يتكلم به فصحاء العرب، فحكموا على الله بما جرى على ألسنة عوام الناس، وشبهوا الله تعالى بالحائط والنخلة والنعل والقدم!

ويقال له: أرأيت من قال: سقط الحائط، وهطلت السماء،

---

(١) الإبانة (٣/ ١٩٥).

وزلت القدم، ونبتت الأرض، ولم يقل: قال الحائط، ولا قالت السماء، وأسقط «قال، وقالت» في هذه الأشياء، أيكون كاذبًا في قوله أم يكون تاركًا للحق في خطابه؟

فإذا قال: ليس بتارك للحق.

قيل له: فما تقول في رجل عمد إلى كل «قال» في القرآن مما حكاه الله عن نفسه أنه قال فمحاه، هل يكون تاركًا للحق أم لا؟ فعندها يبين كفر الجهمي وكذبه.

ومما يغالط به الجهمي جهال الناس والذين لا يعلمون أن يقول: خبرونا عن قول الله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فيقول: خبرونا عن هذا الشيء؛ أموجود هو أم غير موجود؟

فيقال له: إن معنى قوله: ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ هو في علمه كائن بتكوينه إياه، قال لذلك الذي قد علم أنه كائن مخلوق: كن كما أنت في علمي، فيكون كما علم وشاء، لأنه كان معلومًا غير مخلوق، فصار معلومًا مخلوقًا كما قال وشاء وعلم.

ويقال للجهمي: ألست مقرًّا بأن الله تعالى إذا أراد شيئًا قال له: كن فكان؟

فيقول: لا أقول إنه يقول!

فيرد كتاب الله ويكفر به، ويقول: لا، ولكنه إذا أراد شيئًا كان.

فيقال له: يريد أن تقوم القيامة، وأن يموت الناس كلهم، وأن

يبعثوا كلهم، فيكون ذلك بإرادته قبل أن يقال (كن) فيكون؟

وقال الجهمي: إن الله لم يتكلم قط، ولا يتكلم أبدًا.

وقيل له: من يحاسب الخلق يوم القيامة؟..)[1].

فهذا نص ابن بطة مطولًا، والنص المنسوب للإمام أحمد مختصر منه، بترتيبه وأسلوبه واستدلالته، دون أن يعزو ذلك للإمام أحمد، مع حرص ابن بطة على عزو كل قول لراويه، ونسبة كل رواية عن الإمام له.

كما قال في هذا الباب نفسه: (فمن ذلك أنهم احتجوا بحديث رواه محمد بن عبيد، عن الأعمش، عن جامع بن شداد، عن صفوان بن محرز، عن عمران بن الحصين قال: قال رسول الله ﷺ: «كان الله قبل أن يخلق الذكر، ثم خلق الذكر، فكتب فيه كل شيء».

فقالت الجهمية: إن القرآن هو الذكر، والله خلق الذكر.

فأما ما احتجوا به من هذا الحديث فإن أهل العلم وحفاظ الحديث ذكروا أن هذا الحديث وهم فيه محمد بن عبيد، وخالف فيه أصحاب الأعمش وكل من رواه عنه، وبذلك احتج أحمد بن حنبل فقال: رواه بعده جملة من الثقات، فلم يقولوا: «خلق الذكر» ولكن قالوا: «كتب في الذكر» والذكر هاهنا غير القرآن.

ولكن قلوب الجهمية في أكنة وعلى أبصارهم غشاوة، فلا

(١) الإبانة (٣/ ١٩٥).

يعرفون من الكتاب إلا ما تشابه، ولا يقبلون من الحديث إلا ما ضعف وأشكل، والذكر هاهنا هو اللوح المحفوظ الذي فيه ذكر كل شيء، ألا ترى أن في لفظ الحديث الذي احتجوا به قال: «فكتب فيه كل شيء» أفتراه كتب في كلامه كل شيء!

وقد بين الله ذلك من كتابه، وذلك أن الذكر في كتاب الله على لفظ واحد بمعانٍ مختلفة، فقال: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص: ١] يعني: ذا الشرف.

وقال: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡ﴾ [الأنبياء: ١٠] يعني: شرفكم.

وقال: ﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ﴾ [المؤمنون: ٧١] يعني: بخبرهم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] يقول: وإنه لشرف لك ولقومك.

وقال: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] يعني: الصلاة.

وقال: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] يعني: في اللوح المحفوظ، لا يجوز أن يكون الذكر هاهنا القرآن، لأنه قال ﴿فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ﴾ والزبور قبل القرآن.

والذكر أيضًا هو القرآن في غير هذه الآيات كما أعلمتك، إلا أن الحرف يأتي بلفظ واحد، ومعناه شتى، والجهمي يقصد لما كانت هذه سبيله، فيتأوله على المعنى الذي يوافق هواه، ولا يجعل له وجهًا غيره، والله يكذبه ويرد عليه هواه. ومما وضح به كفر

الجهمي ما رده على الله وجحده من كتابه، فزعم أن الله لم يقل شيئًا قط، ولا يقول شيئًا أبدًا..)[١].

وهذا الكلام عن الذكر والقرآن الذي هو كلام الله، والذكر المحدث الذي هو تذكير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به، جاء مختصرًا في «الرد على الجهمية» وذلك قوله:

(فلما قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] فجمع بين ذكرين؛ ذكر الله، وذكر نبيه، فأما ذكر الله إذا انفرد لم يجر عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ [الأنبياء: ٥٠] وإذا انفرد ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه جرى عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] فذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له عمل، والله له خالق محدث.

والدلالة على أنه جمع بين ذكرين قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ فأوقع عليه الحدث عنه إتيانه إيانًا، وأنت تعلم أنه لا يأتينا بالأنباء إلا مبلغ ومذكر، وقال الله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٩] ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١] فلما اجتمعوا في اسم الذكر جرى عليهم اسم الحدث، وذكر النبي ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ إذا انفرد وقع عليه اسم الخلق، وكان أولى بالحدث من ذكر الله الذي إذا انفرد لم يقع عليه اسم خلق ولا حدث، فوجدنا دلالة من قول الله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) الإبانة (٣/ ١٩٣).

كان لا يعلم فعلمه الله، فلما علمه الله كان ذلك محدثًا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[١].

ولاحظ قوله المختصر: (فلما اجتمعوا في اسم الذكر جرى عليهم اسم الحدث) وكان ينبغي أن يقول (فلما اجتمعا في اسم الذكر جرى عليهما) مما يؤكد أن المختصر ورّاق لا يحسن العربية!

وكذا قال الإمام أبو الحسن الأشعري في «الإبانة»:

(إن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾؟

قيل له: الذكر الذي عناه الله عَزَّوَجَلَّ ليس هو القرآن، بل هو كلام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووعظه إياهم. وقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقد قال الله تعالى: ﴿ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا﴾ [الطلاق: ١١] فسمى الرسول ذكرًا، والرسول محدَّث. وأيضًا فإن الله تعالى قال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يخبر أنه لا يأتيهم ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، ولم يقل: لا يأتيهم ذكر إلا كان محدثًا، وإذا لم يقل هذا لم يوجب أن يكون القرآن محدثًا..)[٢].

ورواه البيهقي عن الإمام أحمد في «الأسماء والصفات» فقال: (وأخبرنا أبو الحسن المقرئ، أنا أبو عمرو الصفار، ثنا أبو عوانة، ثنا أبو الحسن الميموني قال: خرج إليّ يومًا أبو عبد الله أحمد بن

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٢٤٢ - ٢٤٥).
(٢) الإبانة (١/ ١٠٢).

محمد بن حنبل فقال: ادخل. فدخلت منزله، فقلت: أخبرني عما كنت فيه مع القوم، وبأي شيء كانوا يحتجون عليك؟ قال: بأشياء من القرآن يتأولونها ويفسرونها، هم احتجوا بقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾. قال: قلت قد يحتمل أن يكون تنزيله إلينا هو المحدث لا الذكر نفسه هو المحدث)[١].

فهذا جواب أحمد موجز مختصر لا يتجاوز عبارة وجملة واحدة، بينما هي مشروحة بإسهاب وتفصيل وتدليل في كتاب ابن بطة «الإبانة» ومختصرة في «الرد على الجهمية» الذي نسب للإمام أحمد خطأ!

(١) الأسماء والصفات (رقم ٤٩٩).

القسم الثاني من موضوعات الكتاب «الرد على الجهمية»

إنكارهم صفة الاستواء على العرش وصفة المعية

وقد جاء بعد القسم الأول من «الرد على الجهمية» المطبوع الحديث عن استواء الله على العرش، والمعية للخلق، ولفظه:

(باب بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش.

فقلنا: لم أنكرتم أن يكون الله على العرش وقد قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الحديد: ٤]؟

فقالوا: هو تحت الأرض السابعة، كما هو على العرش، فهو على العرش، وفي السموات، وفي الأرض، وفي كل مكان، ولا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان.

وتلوا آية من القرآن: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ٣].

فقلنا: قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شيء.

فقالوا: أي مكان؟

فقلنا: أجسامكم وأجوافكم، وأجواف الخنازير، والحشوش والأماكن القذرة، ليس فيها من عظمة الرب شيء، وقد أخبرنا أنه في السماء، فقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ [الملك: ١٦ - ١٧] وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ

﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وقال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وقال: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٩] وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] وقال: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فهذا خبر الله، أخبرنا أنه في السماء، ووجدنا كل شيء أسفل منه مذمومًا بقول الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] وقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩].

وقلنا لهم: أليس تعلمون أن إبليس كان مكانه السفل، وكان الشياطين كذلك مكانهم، فلم يكن الله ليجتمع هو وإبليس في مكان واحد.

وإنما معنى قول الله جل ثناؤه: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] يقول: هو إله من في السموات، وإله من في الأرض، وهو على العرش، وقد أحاط علمه بما دون العرش، ولا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان، فذلك قوله: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

ومن الاعتبار في ذلك: لو أن رجلًا كان في يديه قدح من قوارير صاف، وفيه شراب صاف، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله وله المثل الأعلى قد أحاط

بجميع خلقه، من غير أن يكون في شيء من خلقه.

وخصلة أخرى: لو أن رجلًا بنى دارًا بجميع مرافقها، ثم أغلق بابها وخرج منها، كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيت [أي غرفة] في داره، وكم سعة كل بيت من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار.

فالله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه، وعلم كيف هو، وما هو، من غير أن يكون في شيء مما خلق.

باب بيان ما تأولت الجهمية من قول الله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] قالوا: إن الله معنا وفينا.

فقلنا: الله جل ثناؤه يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ثم قال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعني الله بعلمه ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ﴾ يعني الله بعلمه ﴿سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ يعني بعلمه فيهم ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ يفتح الخبر بعلمه، ويختم الخبر بعلمه.

ويقال للجهمي: إن الله إذا كان معنا بعظمة نفسه فقل له: هل يغفر الله لكم فيما بينه وبين خلقه؟

فإن قال: (نعم) فقد زعم أن الله بائن من خلقه دونه.

وإن قال: (لا) كفر.

وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، فقل: أليس الله كان ولا شيء؟

فيقول: نعم.

فقل له: حين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجًا من نفسه؟

فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال لا بد له من واحد منها:

١-إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه.

٢-إن قال: خلقهم خارجًا من نفسه ثم دخل فيهم. كان هذا كفرًا أيضًا حين زعم أنه دخل في كل مكان وحش قذر رديء.

٤-وإن قال: خلقهم خارجًا عن نفسه، ثم لم يدخل فيهم. رجع عن قوله كله أجمع، وهو قول أهل السنة.

إذا أردت أن تعلم الجهمي لا يقر بعلم الله فقل له: الله يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦] وقال: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ١٤] وقال: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٧].

فيقال له: تقر بعلم الله هذا الذي أوقفك عليه بالأعلام والدلالات أم لا؟

فإن قال: ليس له علم. كفر.

وإن قال: لله علم محدث. كفر، حين زعم أن الله قد كان في وقت من الأوقات لا يعلم حتى أحدث له علمًا فعلم.

فإن قال: لله علم وليس مخلوقًا ولا محدثًا، رجع عن قوله كله وقال بقول أهل السنة.

بيان ما ذكر الله في القرآن: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] وهذا على وجوه:

قال الله جل ثناؤه لموسى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ [طه: ٤٦] يقول: في الدفع عنكما.

وقال: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] يقول: في الدفع عنا.

وقال: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩] يقول: في النصر لهم على عدوهم.

وقال: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥] في النصر لكم على عدوكم.

وقال: ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٨] يقول: بعلمه فيهم.

وقال: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١].

وقلنـا للجهميـة حـين زعمـوا أن الله في كل مـكان لا يخلـو منـه مـكان فقلنـا: أخبرونـا عـن قـول الله جـل ثنـاؤه: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] لم يتجـلّ للجبـل إن كان فيـه بزعمهـم! فلـو كان فيـه كـما تزعمـون لم يكـن يتجلى لـشيء هـو فيـه، ولكـن الله - جـل ثنـاؤه - عـلى العـرش، وتجـلى لـشيء لم يكـن فيـه، ورأى الجبـل شـيئًا لم يكـن رآه قبـل ذلـك.

وقلنا للجهم: فالله نور؟

فقال: هو نور كله.

فقلنـا: فـالله قـال: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] فقـد أخبر الله - جـل ثنـاؤه - أن لـه نـورًا. فقلنـا: أخبرونـا حـين زعمتـم أن الله في كل مـكان وهـو نـور، فلـم لا يـضيء البيـت المظلـم مـن النـور الـذي هـو فيـه إن زعمتـم أن الله في كل مـكان! ومـا بـال الـسراج إن أدخـل البيـت يـضيء!

فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله تعالى.

فرحـم الله مـن عقـل عـن الله ورجـع عـن القـول الـذي يخالـف الكتـاب والسـنة، وقـال بقـول العلماء، وهـو قـول المهاجريـن والأنصار، وتـرك ديـن الشـيطان، وديـن جهـم وشـيعته)[١].

وقـد أورد مثـل هـذا النـص بأدلتـه مطـولًا ابـن بطـة في «الإبانـة» في فصـل الـرد عـلى الجهميـة فقـال:

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (١٤٢ - ١٧١).

(لم أنكرتم أن يكون الله تعالى على العرش وقال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وقال: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩]؟ فهذا خبر الله أخبر به عن نفسه، وأنه على العرش.

فقالوا: لا نقول: إنه على العرش؛ لأنه أعظم من العرش، ولأنه إذا كان على العرش فإنه يخلو منه أماكن كثيرة، فنكون قد شبهناه بخلقه إذا كان أحدهم في منزله فإنما يكون في الموضع الذي هو فيه ويخلو منه سائر داره، ولكنا نقول: إنه تحت الأرض السابعة، كما هو فوق السماء السابعة، وإنه في كل مكان لا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان.

قلنا: أما قولكم: إنه لا يكون على العرش؛ لأنه أعظم من العرش، فقد شاء الله أن يكون على العرش، وهو أعظم منه، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩] وقال: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ثم قال: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ﴾ [الأنعام: ٣] فأخبر أنه في السماء وأنه بعلمه في الأرض، وقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وقال: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩] وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] فهل يكون الصعود إلا إلى ما علا!

وقال: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١] فأخبر أنه أعلى من خلقه، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠] فأخبر أنه فوق الملائكة.

وقد أخبرنا الله تعالى أنه في السماء على العرش، فقال: ﴿ءَأَمِنتُم

﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ [الملك: ١٦ - ١٧] وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] وقال لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وقال: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٩] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] وقال: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ [غافر: ١٥] وقال: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ [السجدة: ٥] وقال: ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج: ٣-٤] فهذا ومثله في القرآن كثير.

ولكن الجهمي المعتزلي الحلولي الملعون يتصامم عن هذا وينكره، فيتعلق بالمتشابه ابتغاء الفتنة لما في قلبه من الزيغ؛ لأن المسلمين كلهم قد عرفوا أماكن كثيرة، ولا يجوز أن يكون فيها من ربهم إلا علمه وعظمته وقدرته وذاته تعالى ليس هو فيها، فهل زعم الجهمي أن مكان إبليس الذي هو فيه يجتمع الله تعالى وهو فيه، بل يزعم الجهمي أن ذات الله تعالى حالّة في إبليس!

وهل يزعم أن أهل النار في النار، وأن الجليل العظيم العزيز الكريم معهم فيها! تعالى الله عما يقوله أهل الزيغ والإلحاد علوًّا كبيرًا! وهل يزعمون أنه يحل أجواف العباد وأجسادهم، وأجواف الكلاب والخنازير، والحشوش والأماكن القذرة التي يربأ النظيف الطريف من المخلوقين أن يسكنها أو يجلس فيها، أو قال له: إن أحدًا ممن يكرمه ويحبه ويعظمه يحل فيها وبها! والمعتزلي يزعم أن ربه في هذه الأماكن كلها، ويزعم أنه في كمه، وفي فمه، وفي جيبه،

وفي جسده، وفي كوزه، وفي قدره، وفي ظروفه، وآنيته، وفي الأماكن التي نجل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن ننسبه إليها! فقد قال عبد الله بن المبارك: إنا لنستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية!

وزعم الجهمي أن الله لا يخلو منه مكان، وقد أكذبه الله تعالى، ألم تسمع إلى قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فيقال للجهمي: أرأيت الجبل حين تجلى له؟ وكيف تجلى للجبل وهو في الجبل؟

وقال الله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

فيقال للجهمي: هل الله نور؟

فيقول: هو نور كله.

قيل له: فالله في كل مكان؟

قال: نعم.

قلنا: فما بال البيت المظلم لا يضيء من النور الذي هو فيه! ونحن نرى سراجًا فيه فتيلة يدخل البيت المظلم فيضيء! فما بال الموضع المظلم يحل الله تعالى فيه - بزعمكم - فلا يضيء!

فعندها يتبين لك كذب الجهمي وعظيم فريته على ربه.

ويقال للجهمي: أليس قد كان الله ولا خلق؟

فيقول: نعم.

فيقال له: فحين خلق الخلق أين خلقهم، وقد زعمت أنه لا يخلو منه مكان؟ أخلقهم في نفسه أو خارجًا من نفسه؟

فعندها يتبين لك كفر الجهمي، وأنه لا حيلة له في الجواب؛ لأنه إن قال: خلق الخلق في نفسه، كفر وزعم أن الله خلق الجن، والإنس، والأبالسة، والشياطين، والقردة، والخنازير، والأقذار، والأنتان في نفسه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وإن زعم أنه خلقهم خارجًا من نفسه فقد اعترف أن هاهنا أمكنة قد خلت منه.

ويقال للجهمي في قوله (إن الله في كل مكان): أخبرنا؛ هل تطلع عليه الشمس إذا طلعت؟ وهل يصيبه الريح والثلج والبرد؟ ولو أن رجلًا أراد أن يبني بناء، أو يحفر بئرًا، أو يلقي قذرًا، لكان إنما يلقي ذلك ويصنعه في ربه؟

فجل ربنا وتعالى عما يصفه به الملحدون وينسبه إليه الزائغون. لكنا نقول: إن ربنا تعالى في أرفع الأماكن وأعلى عليين، قد استوى على عرشه فوق سماواته، وعلمه محيط بجميع خلقه، يعلم ما نأى كما يعلم ما دنا، ويعلم ما بطن كما يعلم ما ظهر، كما وصف نفسه تعالى، فقال: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩] .

فقد أحاط علمه بجميع ما خلق في السماوات العلا، وما في

الأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى، يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم الخطرة والهمة، ويعلم جميع ما توسوس النفوس به، يسمع ويرى، وهو بالنظر الأعلى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرضين إلا وقد أحاط علمه به، وهو على عرشه سبحانه العليّ الأعلى، ترفع إليه أعمال العباد، وهو أعلم بها من الملائكة الذين شهدوها وكتبوها ورفعوا إليه بالليل والنهار، فجل ربنا وتعالى عما ينسبه إليه الجاحدون، ويشبهه به الملحدون!

أوما سمع الحلولي الملحد قول الله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ [الملك: ١٦-١٧] وقوله لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] وقال: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج: ٣ - ٤] وقال: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ [غافر: ١٥] ومثل هذا كثير في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم ذم ربنا تعالى ما سفل، ومدح ما علا، فقال: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨] يعني السماء السابعة، والله تعالى فيها، وقال: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ﴾ [المطففين: ٧] يعني الأرض السفلى.

فزعم الجهمي الحلولي أن الله هناك حيث يكون كتاب الفجار الذي ذمه الله وسفله، تعالى الله عما يزعم هؤلاء علوًّا.

وقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] فذم

الأسفل. وقال: ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩] وعاقب الله آدم وحواء حين عصيا بأن أهبطهما وأنزلهما.

فأما قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] فهو كما قال العلماء: علمه، وأما قوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] كما قال: ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] ومعناه أيضًا أنه هو الله في السماوات، وهو الله في الأرض، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] وقد قرأها بعضهم: {وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله}.

واحتج الجهمي بقول الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧] فقالوا: إن الله معنا وفينا. واحتجوا بقوله: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤] وقد فسر العلماء هذه الآية: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧] إنما عنى بذلك علمه، ألا ترى أنه قال في أول الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] فرجعت الهاء والواو من «هو» على علمه لا على ذاته، ثم قال في آخر الآية: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧] فعاد الوصف على العلم، وبين أنه إنما أراد بذلك العلم، وأنه عليم بأمورهم كلها...

حدثنا أبو حفص عمر بن محمد بن رجاء، قال: ثنا أبو نصر عصمة بن أبي عصمة قال: ثنا الفضل بن زياد، قال: ثنا أبو

عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل قال: ثنا نوح بن ميمون قال: ثنا بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان، عن الضحاك ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ قال: هو على العرش وعلمه معهم. قال أحمد: هذه السُّنّة.

حدثنا أبو حفص قال: ثنا أبو نصر عصمة قال: ثنا الفضل ابن زياد قال: سمعت أبا عبد الله [أحمد بن حنبل] يقول: قال مالك بن أنس: الله تعالى في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه مكان. فقلت لأبي عبد الله: من أخبرك عن مالك بهذا؟ قال: سمعته من سريج بن النعمان، عن مالك..

حدثنا أبو حفص عمر بن محمد بن رجاء قال: ثنا أبو جعفر محمد بن داود البصروي قال: ثنا أبو بكر المروذي قال: سمعت أبا عبد الله، وقيل له: روى علي بن الحسن بن شقيق، عن ابن المبارك أنه قيل له: كيف نعرف الله؟ قال: على العرش بحد. فقال: بلغني ذلك عنه وأعجبه. ثم قال أبو عبد الله [أحمد بن حنبل]: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] ثم قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

وقال يوسف بن موسى القطان: قيل لأبي عبد الله [أحمد بن حنبل]: والله تعالى فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه، وقدرته، وعلمه بكل مكان؟ قال: نعم، على عرشه، لا يخلو شيء من علمه.

قال أبو طالب: سألت أبا عبد الله، عن رجل قال: إن الله معنا. وتلا هذه الآية: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ قال أبو عبد الله: قد تجهم هذا! يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ العلم معهم، وقال في ق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] فعلمه معهم.

وقيل لأبي عبد الله [أحمد بن حنبل]: فرجل قال: أقول كما قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ أقول هكذا ولا أجاوزه إلى غيره؟ فقال أبو عبد الله: هذا كلام الجهمية! قالوا: كيف نقول؟ قال: علمه معهم، وأول الآية يدل على أنه علمه، ثم قرأ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ﴾ [المجادلة: ٦].

وقيل لإسحاق بن راهويه: قول الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ كيف تقول فيه؟ قال: وحيث ما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه.

قال حرب: قلت لإسحاق بن راهويه: العرش بحد؟ قال: نعم. وذكر عن ابن المبارك قال: هو على عرشه بائن من خلقه بحد.

قال حرب: وأملى عليّ إسحاق [ابن راهويه]: إن الله وصف نفسه في كتابه بصفات استغنى الخلق أن يصفوه بغير ما وصف به نفسه، ومن ذلك قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]

وقوله: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥] في آيات كلها تصف العرش، وقد ثبتت الروايات في العرش، وأعلى شيء فيه، وأثبته قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥])[١].

وهذا النص المطول عند ابن بطة يتطابق في أكثر ألفاظه وعباراته مع ما في كتاب «الرد على الجهمية» للإمام أحمد، إلا أنه مختصر منه، وحين وجد ابن بطة نصًّا للإمام أحمد عزاه إليه، فكان ما قبله وما بعده هو كالشرح لنصوص أحمد، ثم اختُصر هذا الشرح لاحقًا ونسب لأحمد بعد عصر ابن بطة!

(١) الإبانة (٧/ ١٣٦ - ١٥٨).

القسم الثالث من موضوعات الكتاب

إنكار الجهمية لرؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة

وهو الموضوع الثالث من موضوعات كتاب الإمام أحمد «الرد على الجهمية» وفيه:

(بيان ما جحدت الجهمية من قول الله سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣].

قال أحمد: فقلنا لهم: لم أنكرتم أن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم؟

فقالوا: لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى الله؛ لأن المنظور إليه معلوم موصوف، لا يُرى إلا شيء يفعله.

فقلنا: أليس الله يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾؟

فقالوا: إن معنى ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أنها تنتظر الثواب من ربها، وإنما ينظرون إلى فعله وقدرته.

وتلوا آية من القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] فقالوا: إنه حين قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أنهم لم يروا ربهم، ولكن المعنى: ألم تر إلى فعل ربك!

فقلنا: إن فعل الله لم يزل العباد يرونه، وإنما قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

فقالوا: إنما تنتظر الثواب من ربها!

فقلنا: إنها مع ما تنتظر الثواب هي ترى ربها.

فقالوا: إن الله لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة، وتلوا آية من

المتشابه من قول الله جل ثناؤه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرف معنى قول الله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ وقال: «إِنَّكُمْ سترون ربّكُمْ»[١] وقال لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] ولم يقل: لن أُرى. فأيهما أولى أن نتبع؛ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال: «إِنَّكُمْ سترون ربّكُمْ» أو قول الجهمي حين قال: لا ترون ربكم!

والأحاديث في أيدي أهل العلم عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أهل الجنة يرون ربهم، لا يختلف فيها أهل العلم.

ومن حديث سفيان، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد في قول الله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: النظر إلى وجه الله[٢].

ومن حديث ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا استقر أهل الجنة في الجنة ونادى مناد: يا أهل الجنة إن الله قد أذن لكم في الزيادة» قال: فيكشف الحجاب فيتجلى لهم» وذكر الحديث[٣].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فينظرون إلى الله لا إله إلا هو، وإنا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر (رقم ٥٥٤) ومسلم في كتاب المساجد، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر (رقم ٦٣٣).

(٢) الزهد لابن المبارك (٢/ ١٢٧).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم (رقم ١٨١).

لنرجو أن يكون الجهم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم ويحجبون عن الله، لأن الله قال للكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] فإذا كان الكافر يحجب عن الله، والمؤمن يحجب عن الله، فما فضل المؤمن على الكافر! والحمد لله الذي لم يجعلنا مثل جهم وشيعته، وجعلنا ممن اتبع، ولم يجعلنا ممن ابتدع، والحمد لله وحده)(١).

وهذا النص مطابق من حيث المعنى والاستدلال لما في كتاب «الإبانة» فصل الرد على الجهمية، باب: الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، وفيه:

(وقد أكذب الله الجهمية فيما ردوه من كتاب الله وقول نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ .

فأما ما نزل به القرآن.

قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ وقال الله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٥] وكفرت الجهمية بآيات ربهم ولقائه قالوا: إن الله لا يرى، ولا يلقى، ولا يتكلم..

ومدح الله أهل الجنة وذم أهل النار، فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦﴾ [المطففين: ١٥-١٦] ثم وصف أهل الجنة فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤﴾ [المطففين: ٢٢-٢٤] مضاهئًا لقوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾.

فزعم الجهمي بكفره وجرأته على تكذيبه بكتاب ربه أن

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٢٥٩).

الأبرار والفجار جميعًا محجوبون عن ربهم، وقد أكذبه كتاب الله حين فرق بين الأبرار والفجار، ولو كان الخلق كلهم محجوبين لما كان على الفجار في احتجاب ربهم نقص، ولا كان ذلك بضائرهم ولا بصائرهم إلى حال مكروهة ولا مذمومة؛ إذ هم والنبيون والشهداء والصالحون كلهم عن ربهم محجوبون...

ثم جاءت السنة بصحيح الآثار وعدالة أهل النقل والرواية بما يوافق ظاهر الكتاب وتأويله...

عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا لم تروه. قال: فيقولون: ما هو؟ ألم تبيض وجوهنا؟ وتزحزحنا عن النار؟ وتدخلنا الجنة؟ قال: فيكشف الحجاب، فينظرون إليه. قال: فوالله ما أعطاهم الله شيئًا هو أحب إليهم منه» قال: ثم قرأ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[١].

عن جرير بن عبد الله قال: كنا عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة البدر فقال لنا: «**أما إِنّكُمْ سترَوْن ربّكُمْ كما ترَوْن هذا القمر، لا تُضامُّون فِي رُؤْيتِهِ، فإِنِ اسْتطعْتُمْ ألّا تُغْلبُوا على صلاةٍ قبْل طُلُوعِ الشّمْسِ وقبْل غُرُوبِها فافْعلُوا**»[٢])[٣].

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم (رقم ١٨١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر (رقم ٥٥٤) ومسلم في كتاب المساجد، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر (رقم ٦٣٣).

(٣) الإبانة (٢/ ٣).

ومن التطابق أيضًا بين الكتابين ما جاء في «الرد على الجهمية» في تأويل الجهمية أحاديث على غير وجهها:

(فقالوا: جاء الحديث «إن القرآن يجيء في صورة الشاب الشاحب، فيأتي صاحبه فيقول: هل تعرفني؟ فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا القرآن أظمأت نهارك وأسهرت ليلك. قال: فيأتي به الله فيقول: يا رب...»[1] فادعوا أن القرآن مخلوق من قبل هذه الأحاديث.

فقلنا لهم: القرآن لا يجيء إلا بمعنى أنه قد جاء من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فله كذا وكذا. ألا ترون أن من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ لا يجئه إلا بثوابه، لأننا نقرأ القرآن فيقول: يا رب. لأن كلام الله لا يجيء ولا يتغير من حال إلى حال. وإنما معنى أن القرآن يجيء، إنما يجيء ثواب القرآن)[2].

وجاء مثله عند ابن بطة في كتاب «الإبانة» باب الرد على الجهمية فيما تأولوه من متشابه القرآن، فقال:

(ثم إن الجهمية لجأت إلى المغالطة في أحاديث تأولوها موّهوا بها على من لا يعرف الحديث، مثل الحديث الذي روي: «يجيء القرآن يوم القيامة في صورة الرجل الشاحب، فيقول له القرآن: أنا الذي أظمأت نهارك وأسهرت ليلك. فيأتي الله فيقول: أي رب

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب: ثواب القرآن (رقم ٣٧٨١).

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة (٣٢٠).

تـلاني ووعـاني وعمـل بي»[1] والحديـث الآخـر: «تجـيء البقـرة وآل عمـران كأنهـما غمامتـان»[2].

فأخطـأ في تأويلـه، وإنـما عنـى في هـذه الأحاديـث في قولـه: يجـيء القـرآن، وتجـيء البقـرة، وتجـيء الصـلاة، ويجـيء الصيـام، يجـيء ثـواب ذلـك كلـه، وكل هـذا مبـين في الكتـاب والسـنة.

قـال الله تعـالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨] فظاهـر اللفـظ مـن هـذا أنـه يـرى الخـير والـشر، وليـس يـرى الخـير والـشر وإنـما ثوابهـما والجـزاء عليهـما مـن الثـواب والعقـاب، كـما قـال: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠] وليـس يعنـي أنهـا تلـك الأعـمال التـي عملتهـا بهيئتهـا وكـما عملتهـا مـن الـشر، وإنـما تجـد الجـزاء عـلى ذلـك مـن الثـواب والعقـاب، كـما قـال تعـالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] فيجـوز في الـكلام أن يقـال: يجـيء القـرآن، تجـيء الصـلاة، وتجـيء الـزكاة، يجـيء الصـبر، يجـيء الشـكر، وإنـما يجـيء ثـواب ذلـك كلـه، يجـزى مـن عمـل السـيئ بالسـوء، ألا تـرى إلى قولـه تعـالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ أفـيرى يـرى السرقـة والزنـا وشرب الخمـر وسـائر أعـمال المعـاصي! إنـما يـرى العقـاب والعـذاب عليهـما. وبيـان هـذا وأمثالـه في القـرآن كثـير.

وأمـا مـا جـاءت بـه السـنة فقـول النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ظـل المؤمن

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب: ثواب القرآن (رقم ٣٧٨١).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب المسافرين، باب: فضل قراءة القرآن (رقم ٨٠٤).

صدقته»[١] فلا شيء أبين من هذا، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صدقةٌ»[٢])[٣].

ومثل ذلك أيضًا الاحتجاج بعيسى، وخلقُه بالكلمة، على خلق القرآن، فجاء في «الرد على الجهمية»:

(ثم إن الجهمي ادعى أمرًا آخر فقال: إنا وجدنا آية في كتاب الله تدل على أن القرآن مخلوق.

فقلنا: أي آية؟

فقال: قول الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ﴾ [النساء: ١٧١] وعيسى مخلوق.

فقلنا: إن الله منعك الفهم في القرآن، عيسى تجرى عليه ألفاظ لا تجري على القرآن، لأنه يسميه مولودًا وطفلًا وصبيًّا وغلامًا، يأكل ويشرب، وهو مخاطب بالأمر والنهي، يجري عليه اسم الخطاب والوعد والوعيد، ثم هو من ذرية نوح، ومن ذرية إبراهيم، ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى، هل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسى! ولكن المعنى من قول الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٨/ ٥٦٨ رقم ١٧٣٣٣) بلفظ: «كُلُّ امْرِئٍ في ظِلِّ صدقتِهِ».

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: كل معروف صدقة (رقم ٦٠٢١) من حديث جابر، ومسلم في كتاب الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل ما نوع من المعروف (رقم ١٠٠٤) من حديث حذيفة.

(٣) الإبانة (٣/ ٢٠١).

[١٧١] فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له «كن» فكان عيسى بـ«كُن» وليس عيسى هو الـ«كُن» ولكن بالـ«كُن» كان، فالـ«كُن» من الله قول، وليس الـ«كُن» مخلوقًا.

وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى؛ وذلك أن الجهمية قالوا: عيسى روح الله وكلمته، لأن الكلمة مخلوقة. وقالت النصارى: عيسى روح الله من ذات الله، وكلمته من ذات الله، كما يقال: إن هذه الخرقة من هذا الثوب! وقلنا نحن: إن عيسى بالكلمة «كُن» وليس عيسى هو الكلمة.

وأما قول الله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ يقول: من أمره كان الروح فيه، كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] يقول: من أمره. وتفسير روح الله إنما معناها أنها روح بكلمة الله خلقها الله، كما يقال: عبد الله، وسماء الله، وأرض الله)(١).

وكذا قال مثله ابن بطة في «الإبانة»:

(ثم إن الجهمي ادعى أمرًا آخر ابتغاء الفتنة، فقال: إن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ فعيسى كلمة الله وعيسى مخلوق.

فقيل للجهمي: جهلك بكتاب الله وقبيح تأويلك قد صار بك إلى صنوف الكفر، وجعلك تتقلب في فنون الإلحاد، فكيف ساغ لك أن تقيس عيسى بالقرآن! وعيسى قد جرت عليه ألفاظ

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٢٤٩).

وتقلبت به أحوال لا يشبه شيء منها أحوال القرآن!

منها: أن عيسى حملته أمه ووضعته وأرضعته، فكان وليدًا ورضيعًا وفطيمًا، وصبيًّا وناشئًا وكهلًا، وحيًّا ناطقًا وماشيًا، وذاهبًا وجائيًا، وقائمًا وقاعدًا، ويصوم ويصلي، وينام ويستيقظ، ويأكل الطعام ويشرب، ويكون منه ما يكون من الحيوان إذا أكل وشرب.

وبذلك أخبرنا الله تعالى عنه تكذيبًا للنصارى حين قالوا فيه القول الذي يضاهي قولك - أيها الجهمي - فقال: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ فكنى بالطعام عن خروج الحدث، وهو مع هذا مخاطب بالتعبد وبالسؤال والوعد والوعيد، ومحاسب يوم القيامة، وأخبرنا أنه حي وميت ومبعوث، فهل سمعت الله عَزَّوَجَلَّ وصف القرآن بشيء مما وصف عيسى!

فأما قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ فالكلمة التي ألقاها إلى مريم قوله: ﴿كُن﴾ فكان عيسى بقوله: ﴿كُن﴾ وكذا قال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] ثم أتبع ذلك بما يزيل عنه وهم المتوهم فقال: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٦٠] فكلمة الله قوله: ﴿كُن﴾ والمكوّن عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

والجهمي حريص على إبطال صفات ربه لإبطال آنيّته، ومما يدعيه الجهمي أنه حجة له في خلق القرآن قوله: ﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ

بِٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ [الإسراء: ٨٦] فقال الجهمي: فهل يذهب إلا مخلوق؟ وكما قال: ﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ﴾ [الزخرف: ٤١] فالقرآن يذهب كما ذهب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فأفحش الجهمي في التأويل وأتى بأنجس الأقاويل.

لأن قول الله: ﴿ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ لم يرد أن القرآن يموت كما تموت، إنما يريد: ولئن شئنا لنذهبن بحفظه عن قلبك وتلاوته عن لسانك، أما سمعت ما وعد به من حفظه للقرآن حين يقول: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعلى: ٦-٧] فلو أذهب الله القرآن من القلوب، لكان موجودًا محفوظًا عند من استحفظه إياه، ولئن ذهب القرآن في جميع الخلق وأمات الله كل قارئ له، فإن القرآن موجود محفوظ عند الله وفي علمه، وفي اللوح المحفوظ، أما سمعت قول الله: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وقوله: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٌ مَّجِيدٌ ٢١ فِى لَوۡحٍ مَّحۡفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢٢])[1].

ومثله أيضًا في التطابق بين الكتابين تفسير الجهمية الجعل بالخلق، وجواب الإمام أحمد المنسوب إليه في «الرد على الجهمية» وقوله:

(فمما يُسأل عنه يقال له: تجد في كتاب الله آية تخبر عن القرآن أنه مخلوق؟ فلا يجد.

فيقال له: فتجده في سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنه قال: إن القرآن مخلوق؟ فلا يجد.

(١) الإبانة (٣/ ١٩٨).

فيقال له: فمن أين قلت؟

فيقول من قول الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

وزعم أن «جعل» بمعنى «خلق» فكل مجعول هو مخلوق! فادعى كلمة من الكلام المتشابه يحتج بها من أراد أن يلحد في تنزيله ويبتغي الفتنة في تأويلها، وذلك أن «جعل» في القرآن من المخلوقين على وجهين: على معنى التسمية، وعلى معنى فعل من أفعالهم.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١] قالوا: هو شعر وأنباء الأولين وأضغاث أحلام، فهذا على معنى التسمية. قال: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩] يعني أنهم سمّوهم إناثًا. ثم ذكر «جعل» على معنى التسمية فقال: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩] فهذا على معنى فعل من أفعالهم. وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ [الكهف: ٩٦] هذا على معنى فعل، فهذا جعل المخلوقين.

ثم جعل من أمر الله على معنى غير خلق، لا يكون إلا خلق، ولا يقوم إلا مقام خلق خلقًا لا يزول عنه المعنى، وإذا قال الله «جعل» على غير معنى «خلق» لا يكون خلق، ولا يقوم مقام الخلق، ولا يزول عنه المعنى.

فمما قال الله «جعل» على معنى «خلق» قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] يعني: وخلق الظلمات والنور.

وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ [النحل: ٧٨] يقول: وخلق لكم السمع والأبصار.

وقال: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِ﴾ [الإسراء: ١٢] يقول: وخلقنا الليل والنهار آيتين.

وقال: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا﴾ [نوح: ١٦].

وقال: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] يقول: خلق منها زوجها. يقول: وخلق من آدم حواء.

وقال: ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ﴾ [النمل: ٦١] يقول: وخلق لها رواسي، ومثله في القرآن كثير، فهذا وما كان مثله لا يكون إلا على معنى «خلق».

ثم ذكر «جعل» على غير معنى «خلق».

قوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ﴾ [المائدة: ١٠٣] لا يعني: ما خلق الله من بحيرة ولا سائبة.

وقال الله لإبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا﴾ [البقرة: ١٢٤] لا يعني: إني خالق للناس إمامًا؛ لأن خلْق إبراهيم كان متقدمًا.

وقال إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وقال إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [إبراهيم: ٤٠] لا يعني: اخلقني مقيم الصلاة.

وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٧٦].

وقال لأم موسى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧] لا يعني: وخالِقوه من المرسلين؛ لأن الله وعد أم موسى أن يرده إليها ثم يجعله بعد ذلك رسولًا.

وقال: ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

وقال: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

وقال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] لا يعني: وخلقه دكًّا.

ومثله في القرآن كثير، فهذا وما كان على مثاله لا يكون على معنى «خلق» فإذا قال الله «جعل» على معنى «خلق» وقال «جعل» على غير معنى «خلق» فبأي حجة قال الجهمي: جعل على معنى خلق!

فإن رد الجهمي الجعل إلى المعنى الذي وصفه الله فيه، وإلا كان من الذين يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.

فلما قال الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣] وقال: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٤-١٩٥] وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [الدخان: ٥٨] فلما جعل الله القرآن عربيًّا ويسره بلسان نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ذلك فعلًا من أفعال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جعل القرآن به

عربيًّا، يعني: هذا بيان لمن أراد هداه الله مبينًا، وليس كما زعموا معناه: أنزلناه بلسان العرب. وقيل: بيناه)[(١)].

وهذه الشبهة، والرد عليها، وبهذا الترتيب للآيات، وتفسيرها على النحو المذكور، يتطابق تمام المطابقة مع ما قال ابن بطة في كتابه «الإبانة» في باب الرد على الجهمية فيما تأولوه من متشابه القرآن، حيث يقول:

(وأنت فليس تجد ما قلته من أن القرآن مخلوق في كتاب الله، ولا في سنة نبيه، ولا مأثورًا عن صحابته، ولا عن أحد من أئمة المسلمين، فحينئذ لجأ الجهمي إلى آيات من المتشابه جهل علمها فقال: قلت: ذلك من قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] وقوله: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] وزعم أن كل مجعول مخلوق، فنزع بآية من المتشابه يحتج بها من يريد أن يلحد في تنزيلها ويبتغي الفتنة في تأويلها!

فقلنا: إن الله عَزَّوَجَلَّ قد منعك - أيها الجهمي - الفهم في القرآن حين جعلت كل مجعول مخلوقًا، وأن «جعل» في كتاب الله هو بمعنى «خلق» فمن هاهنا بليت بهذه الضلالة القبيحة حين تأولت كتاب الله بجهلك وهوى نفسك وما زينه لك شيطانك وألقاه على لسانك إخوانك.

وذلك أنا نجد الحرف الواحد في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ على لفظ

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٢١٤ - ٢٢٠).

واحد ومعانيه مختلفة في آيات كثيرة، تركنا ذكرها لكثرتها وقصدنا لذكر الآية التي احتججت بها، فـ«جعل» في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ على غير معنى «خلق» فـ«جعل» من المخلوقين على معنى وصف من أوصافهم وقسم من أقسامهم، و«جعل» أيضًا على معنى فعل من أفعالهم لا يكون خلقًا ولا يقوم مقام الخلق، فتفهموا الآن ذلك واعقلوه.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١] وإنما «جعل» هاهنا بمعنى: وصفوه بغير وصفه، ونسبوه إلى غير معناه حين عضوه وميزوه فقالوا: إنه شعر، وإنه سحر، وإنه قول البشر، وإنه أساطير الأولين.

وقال في مثل ذلك: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

وقال: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩].

وقال: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢].

وقال: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [النحل: ٥٧].

وقال: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤] لا يعني ذلك: ولا تخلقوا!

وقال: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [فصلت: ٩].

وقال: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا﴾ [النحل: ٥٦].

وقال: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣].

فهذا كله «جعل» لا يجوز أن يكون على معنى «خلق».

و«جعل»من بني آدم على «فعل».

قال الله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩] لا يجوز أن يكون: يخلقون أصابعهم في آذانهم.

وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ [الكهف: ٩٦] لا يجوز أن يكون: خلقه نارًا.

وقال: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا﴾ [الأنبياء: ٥٨] أفيجوز أن يكون خلقهم جذاذًا!

و«جعل» في معنى «خلق» في معنى ما كان من الخلق موجودًا محسوسًا، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] فجعل هاهنا في معنى «خلق» لا ينصرف إلى غيره، وذلك أن الظلمات والنور يراهما الناس.

وكذلك قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [النحل: ٧٨] وهما موجودان في بني آدم.

وقال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء: ١٢] يعني: خُلقتا، وهما موجودان معروفان بإقبالهما وإدبارهما، فهل يعرف القرآن بإقبال وإدبار!

وقال: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦] معناه «خلق» والشمس نور وحرّ، وهي ترى، فهل يمكن ذلك في القرآن!

وقال: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ [المدثر: ١٢] يعني: خلقت، والمال

موجود يوزن ويعد ويحصى ويعرف، فهل يوزن القرآن!

وقال: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [نوح: ١٩] وهي موجودة، يُمشى عليها وتُحرث، فهل يمكن مثل ذلك في القرآن!

فهذا كله على لفظ «جعل» ومعناه معنى الخلق، وقد ذكر معنى الجعل منه في مواضع كثيرة على غير معنى الخلق.

من ذلك قوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ﴾ [المائدة: ١٠٣] لا يعني: ما خلق الله من بحيرة، لأنه هو خلق البحيرة والسائبة والوصيلة، ولكنه أراد أنه لم يأمر الناس باتخاذ البحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

فهذا لفظ «جعل» على غير معنى «خلق».

وقال تعالى لإبراهيم خليله عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] لا يعني: خالقك، لأن خلْقُه قد سبق إمامته.

وقال لأم موسى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصص: ٧] لا يعني: وخالِقوه، لأنه قد كان مخلوقًا، وإنما جعله مرسلًا بعد خلقه.

وقال إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] لا يعني: رب اخلُق هذا البلد؛ لأن البلد قد كان مخلوقًا، ألا تراه يقول: ﴿هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ﴾!

وقال: ﴿فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٥]

لا يريـد: حتـى خلقناهـم حصيـدًا.

وقـال إبراهيـم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [إبراهيم: ٤٠] لا يعنـي: رب اخلُقنـي.

وقـال إبراهيـم وإسـماعيل: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] ولم يريـدا: واخلُقنـا مسـلمين لـك؛ لأن خلقهـما قـد تقـدم قبـل قولهـما.

فهـذا ونحـوه في القـرآن كثـير، ممـا لفظـه «جعـل» عـلى غـير معنـى « خلق » .

وكذلـك قولـه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] إنـما جعلـه عربيًّـا ليُفهـم ويُبـيّن للذيـن نـزل عليهـم مـن العـرب.

ألم تسمع إلى قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [الدخان: ٥٨].

وقـال في موضـع آخـر: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤] يقـول: أعـربي محمـد، وعجمـي كلامـه بالقرآن! فجعـل الله القـرآن بلسـان عـربي مبـين.

كذلك ألم تسمع قوله: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وقال: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣].

وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

وأمـا قولـه: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] فإنـما يعنـي: أنزلنـاه نـورًا.

تصديـق ذلـك في الآيـة الأخـرى، قولـه: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ

ﭐلَّذِىٓ أَنزَلۡنَا﴾ [التغابن: ٨] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٧٤] وقال: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١].

فقد بين لمن عقل وشرح الله صدره للإيمان أن «جعل» في كتاب الله على غير معنى «خلق» و«جعل» أيضًا بمعنى «خلق» وأن قوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ [الزخرف: ٣] هو على غير معنى «خلق».

فبأي حجة وفي أي لغة زعم الجهمي أن كل «جعل» على معنى «خلق»!

ألم يسمع إلى قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥] أفترى الجهمي يظن أن قوله: ﴿وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾ إنما يريد: أن نخلقهم أئمة! أفتراه يخلقهم خلقًا آخر بعد خلقهم الأول!

فهل يكون معنى «الجعْل» هاهنا معنى «الخلْق»!

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾ [الإسراء: ١٨] لا يعني: ثم خلقنا له جهنم، لأن جهنم قد تقدم خلقها، ولم يرد أنها تخلق حين يفعل العبد ذلك، ولكنه إذا فعل العبد ذلك جعلت داره ومسكنه بعدما تقدم خلقها.

وقال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

وقال: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

ﵟٱلصَّٰلِحَٰتِﵞ [الجاثية: ٢١].

وقال: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

وقال: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ [النحل: ١٢٤] يعني: بني إسرائيل. أفيظن الجهمي الملحد أنما أراد: إنما خلق السبت على بني إسرائيل!

فقد علم العقلاء أن السبت مخلوق في مبتدأ الخلق قبل كون بني إسرائيل وقبل نوح وقبل إبراهيم، ولكن معناه: إنما جعل على هؤلاء أن يسبتوا السبت خاصة، فهذا على غير معنى «خلق» وهذا كثير في القرآن، ولكن الجهمي من الصم البكم الذين لا يعقلون، من الذين ﴿يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾.

ألم تسمع إلى قوله: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ١٩٨ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٨-١٩٩] فإنما جعل الله القرآن بلسان عربي مبين، وأنزله عربيًّا لتفقه العرب ولتتخذ بذلك عليهم الحجة، فذلك معنى قوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ ولم يرد عربيًّا في أصله ولا نسبه، وإنما أراد عربيًّا في قراءته.

ومن أوضح البيان من تفريق الله بين الخلق وبين القرآن أن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن: ١-٣] ألا تراه يفصل بين القرآن وبين الإنسان، فقال: ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ

ﵟٱلۡإِنسَٰنَﵞ ولو شاء تعالى لقال: خلق الإنسان والقرآن، ولكنه تكلم بالصدق ليفهم وليفصل كما فصله.

فخالف ذلك الجهمي وكفر به، وقال على الله تعالى ما لم يجده في كتاب أنزل من السماء، ولا قاله أحد من الأنبياء، ولا روي عن أحد من العلماء.

بل وُجد ورُوي خلاف قول الجهمي، حيث عاب الله أقوامًا بمثل فعل الجهمي في هذا، فقال لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: ﵟقُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖﵞ فلما علم أنهم لا يقدرون على أن يروه لمن عبدوا خلقًا في الأرض ولا شرك لهم في السموات قال: ﵟٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآﵞ يعني: من قبل القرآن، أي: ائتوني بكتاب من قبل هذا تجدون فيه ما أنتم عليه من عبادة الأوثان ﵟأَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍﵞ [الأحقاف: ٤] أي: رواية عن بعض الأنبياء ﵟإِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَﵞ [الأحقاف: ٤].

فسلك الجهمي في مذهبه طريق أولئك وقال في الله وتقوّل عليه البهتان بغير برهان، وافترى على الله الكذب، وتعدى ما أخذه الله من الميثاق على خلقه حين قال: ﵟأَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّﵞ [الأعراف: ١٦٩] وقال: ﵟٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّﵞ [الأنعام: ٩٣].

ومن أبين البيان وأوضح البرهان من تفريق الله بين الخلق والقرآن قوله: ﵟأَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗﵞ [الأعراف: ٥٤] فتفهموا هذا المعنى.

هل تشكون أنه قد دخل في ذلك الخلق كله!

وهـل يجـوز لأحـد أن يظـن أن قولـه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ أراد أن لـه بعـض الخلـق! بـل قـد دخـل الخلـق كلـه في الخلـق، ثـم أخـبر أن لـه أيضًـا غـير الخلـق ليـس هـو خلقًـا لم يدخـل في الخلـق، وهـو ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ فبـين أن الأمـر خـارج مـن الخلـق، فالأمـر أمـره وكلامـه.

وممـا يوضـح ذلـك عنـد مـن فهـم عـن الله وعقـل أمـر الله أنـك تجـد في كتـاب الله ذكـر الشـيئين المختلفـين إذا كانـا في موضـع فصـل بينهـما بالـواو، وإذا كانـا شـيئين غـير مختلفـين لم يفصـل بينهـما بالـواو، فمـن ذلـك مـا هـو شيء واحـد، وأسـماؤه مختلفـة، ومعنـاه متفـق، فلـم يفصـل بينهـما بالـواو، وقولـه عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [يوسف: ٧٨] فلـم يفصـل بالـواو حـين كان ذلـك كلـه شـيئًا واحـدًا، ألا تـرى أن الأب هـو الشـيخ الكبـير؟)[١].

فـكل مـا ورد في «الـرد عـلى الجهميـة» المنسـوب للإمـام أحمـد خطأ، مختـصر بتـصرف مـن كتـاب «الإبانـة» لابـن بطـة الحنبلي!

شبهة: هل القرآن هو الله أم غيره؟

وكذلـك تطابـق الكتابـان أيضًـا في شـبهة الجهميـة هـل القـرآن هـو الله أم غـير الله، كـما في كتـاب الإمـام أحمـد «الـرد عـلى الجهميـة» ففيـه:

(ثـم إن الجهـم ادعـى أمـرًا آخـر، وهو مـن المحـال، فقـال: أخبرونا عـن القـرآن أهـو الله أو غـير الله؟ فادعـى في القـرآن أمـرًا يوهـم الناس!

---

(١) الإبانة (٣/ ١٥٦).

فإذا سئل الجاهل عن القرآن: هو الله أو غير الله؟

فلا بد له من أن يقول بأحد القولين.

فإن قال: هو الله.

قال له الجهمي: كفرت.

وإن قال: هو غير الله.

قال: صدقت، فلم لا يكون غير الله مخلوقًا؟

فيقع في نفس الجاهل من ذلك ما يميل به إلى قول الجهمي.

وهذه المسألة من الجهمي من المغاليط!

فالجواب للجهمي إذا سأل فقال: أخبرونا عن القرآن؛ هو الله أو غير الله؟

قيل له: إن الله - جل ثناؤه - لم يقل في القرآن: إن القرآن أنا، ولم يقل: غيري، وقال: هو كلامي، فسميناه باسم سماه الله به، فقلنا: كلام الله، فمن سمى القرآن باسم سماه الله به كان من المهتدين، ومن سماه باسم غيره كان من الضالين.

وقد فصل الله بين قوله وبين خلقه، ولم يسمه قولًا، فقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فلما قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ لم يبق شيء مخلوق إلا كان داخلًا في ذلك، ثم ذكر ما ليس بخلق، فقال: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ فأمره هو قوله، تبارك رب العالمين أن يكون قوله خلقًا.

وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ

﴿حَكِيمٍ﴾ ثم قال القرآن ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ [الدخان: ٣-٥].

وقال: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] يقول لله القول من قبل الخلق، ومن بعد الخلق، فالله يخلق ويأمر وقوله غير خلقه.

وقال: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: ٥].

وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود: ٤٠].

وذلك أن الله - جل ثناؤه - إذا سمى الشيء الواحد باسمين أو ثلاثة أسامٍ فهو مرسل غير منفصل، وإذا سمى شيئين مختلفين لا يدعهما مرسلين حتى يفصل بينهما.

من ذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [يوسف: ٧٨] فهذا شيء واحد سماه بثلاثة أسام، وهو مرسل، ولم يقل: إن له أبًا وشيخًا وكبيرًا.

وقال: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ﴾ [التحريم: ٥] ثم قال: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥] فلما كانت البكر غير الثيب لم يدعه مرسلًا حتى فصل بينهما، فذلك قوله: ﴿وَأَبْكَارًا﴾.

وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾ ثم قال: ﴿وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ فلما كان البصير غير الأعمى فصل بينهما، ثم قال: ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ [فاطر: ١٩-٢١] فلما كان كل واحد من هذا الشيء غير الشيء الآخر فصل بينهما.

ثـم قـال: ﴿هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ... ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣-٢٤] فهـذا كلـه شيء واحـد، فهـو مرسـل ليـس بمفصـل.

فكذلـك إذا قـال الله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ لأن الخلـق غـير الأمـر، فهـو منفصـل)[١].

ولـو كان هـذا النـص موجـودًا في كتـاب الإمـام أحمـد «الـرد عـلى الجهميـة» لـرواه عبـدالله عـن أبيـه كـما هـي عادتـه في كتـاب «السـنة» وقـد تتبـع كلام أبيـه وردوده عليهـم، وشرحـه، وأكـده بأقـوال غـيره مـن أئمـة السـنة، وقـد قـال:

(حدثنـي أبـو بكـر محمـد بـن إسـحاق الصاغـاني قـال: رأيـت في كتـاب أبي عبيـدٍ القاسـم بـن سـلام بخطـه:

إذا قال لك الجهمي: أخبرني عن القرآن؛ أهو الله أم غير الله؟

فـإن الجـواب أن يقـال لـه: أحلـت في مسـألتك؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ وصفه بوصـف لا يقـع عليـه شيء من مسـألتك!

قـال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة: ١-٢] فهـو مـن الله عَزَّوَجَلَّ ولم يقـل: هـو أنـا، ولا هـو غـيري، إنـما سـماه كلامـه، فليـس لـه عندنـا غـير مـا حـلاه بـه، وننفـي عنـه مـا نفـى.

فـإن قالـوا: أرأيتـم قولـه عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فالقـرآن شيء، فهـو مخلـوق!

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٢٢٢).

فقيل له: ليس قول الله عَزَّوَجَلَّ يقال له (شيء) ألا تسمع كلامه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ فأخبرك أن القول كان منه قبل الشيء، فالقول من الله عَزَّوَجَلَّ سبق الشيء، ومعنى قوله «كن» أي كان في علمه أن يكونه)[١].

وهذا النص لأبي عبيد يكاد يكون كله منسوبًا للإمام أحمد في الكتاب المطبوع من «الرد على الجهمية» وكأن الناسخ نقله من كتاب «السنة» لعبدالله بن أحمد، وعزاه خطأ للإمام أحمد، بينما يرويه عبدالله من كلام أبي عبيد القاسم بن سلام في الرد على الجهمية في الشبهتين:

شبهة: هل القرآن الله أم غيره؟

وشهبة: هل القرآن شيء أم لا؟

ولو كان للإمام أحمد كلام في ذلك لرواه عنه عبدالله والمروذي والخلال، فقد اطلعوا على كتاب «الرد على الجهمية» بخط الإمام أحمد نفسه، ومن رواية الخضر بن المثنى نفسه عن عبدالله، فلم يذكروا شيئًا من ذلك كله! فدل ذلك على أن النسخة التي يرويها الخلال عن الخضر بن المثني عن عبدالله ليس فيها شيء من ذلك كله! وأن الخضر بن المثني بريء من عهدتها، وأن ما رواه الخلال عنه غير ما وقع في النسخ المتأخرة التي يُدّعى أنها من طريق الخلال عنه!

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١/ ١٦٣ المسألة ١٧٧).

وكذا ما جاء في «الرد على الجهمية» (ص ٢٢٦) من الفرق بين الفصل بالعطف بالواو والعطف بدونها، ورد مثله عند ابن بطة في «الإبانة» في باب الرد على الجهمية فيما تأولوه من متشابه القرآن مع تقديم وتأخير، فقال:

(ومما يوضح ذلك عند من فهم عن الله وعقل أمر الله، أنك تجد في كتاب الله ذكر الشيئين المختلفين إذا كانا في موضع فصل بينهما، فهذا كله شيء واحد، فهو مرسل ليس بمنفصل.

فلذلك إذا قال الله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ لأن الخلق غير الأمر، فهو منفصل بالواو، وإذا كانا شيئين غير مختلفين لم يفصل بينهما بالواو، فمن ذلك ما هو شيء واحد، وأسماؤه مختلفة ومعناه متفق، فلم يفصل بينهما بالواو، قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [يوسف: ٧٨] لم يفصل بالواو حين كان ذلك كله شيئًا واحدًا، ألا ترى أن الأب هو الشيخ الكبير.

وقال: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥] فلما كان هذا كله نعت شيء واحد لم يفصل بعضه عن بعض بالواو، ثم قال: ﴿وَأَبْكَارًا﴾ فلما كان الأبكار غير الثيبات فصل بالواو، لأن الأبكار والثيبات شيئان مختلفان.

وقال أيضًا فيما هو شيء واحد بأسماء مختلفة ولم يفصله بالواو: ﴿هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ... هُوَ

﴿ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣-٢٤] فلما كان هذا كله شيئًا واحدًا لم يفصل بالواو، وكان غير جائز أن يكون هاهنا واو، فيكون الأول غير الثاني، والثاني غير الثالث.

وقال فيما هو شيئان مختلفان: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ إلى آخر الآية [الأحزاب: ٣٥] فلما كان المسلمون غير المسلمات فصل بالواو، ولا يجوز أن يكون المسلمون المسلمات، لأنهما شيئان مختلفان.

وقال: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي﴾ [الأنعام: ١٦٢] فلما كانت الصلاة غير النسك، والمحيا غير المات، فصل بالواو.

وقال: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ٢١﴾ [فاطر: ١٩-٢١] ففصل هذا كله بالواو لاختلاف أجناسه ومعانيه.

وقال في هذا المعنى أيضًا: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا﴾ [عبس: ٢٧- ٣٠] فلما كان كل واحد من هذه غير صاحبه فصل بالواو، ولما كانت الحدائق غُلبًا شيئًا واحدًا أسقط بينهما الواو.

وقال أيضًا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ﴾ [الفرقان: ٦٢] فلما كان الليل غير النهار فصل بالواو، كما قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ [إبراهيم: ٣٣] فلما كان الشمس غير القمر فصل بالواو.

وهذا في القرآن كثير، وفي بعض ما ذكرناه كفاية لمن تدبره وعقله وأراد الله توفيقه وهدايته.

فكذلك لما كان الأمر غير الخلق فصل بالواو، فقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ فالأمر أمره وكلامه، والخلق خلقه، وبالأمر خلق الخلق، لأن الله عَزَّوَجَلَّ أمر بما شاء، وخلق بما شاء، فزعم الجهمي أن الأمر خلق، والخلق خلق، فكأن معنى قول الله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ إنما هو: ألا له الخلق والخلق، فجمع الجهمي بين ما فصله الله!

ولو كان الأمر كما يقول الجهمي لكان قول جبريل للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وما نتنزل إلا بخلق ربك، والله يقول: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤].

ومما يدل على أن أمر الله هو كلامه قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: ٥] فيسمي الله القرآن أمره، وفصل بين أمره وخلقه. فتفهموا رحمكم الله.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ [سبأ: ١٢] ولم يقل: عن خلقنا.

وقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ ولم يقل (بخلقه) لأنها لو قامت بخلقه لما كان ذلك من آيات الله، ولا من معجزات قدرته، ولكن من آيات الله أن يقوم المخلوق بالخالق، وبأمر الخالق قام المخلوق، وقال: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥] فبدعوة الله يخرجون.

واحتج الجهمي بآية انتزعها من المتشابه فقال: أليس قد قال الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [السجدة: ٥] فهل يدبر إلا مخلوق؟

فهذا أيضًا مما يكون لفظه واحدًا بمعان مختلفة، وجاء مثله في

القرآن كثير، فإنما يعني: يدبر أمر الخلق، ولا يجوز أن يدبر كلامه، لأن الله تعالى حكيم عليم، وكلامه حكم، وإنما تدبير الكلام من صفات المخلوقين الذين في كلامهم الخطأ والزلل، فهم يدبرون كلامهم مخافة ذلك، ويتكلمون بالخطأ ثم يرجعون إلى الصواب، والله عَزَّوَجَلَّ لا يخطئ ولا يضل ولا ينسى ولا يدبر كلامه.

وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ﴾ [الروم: ٤] يقول: لله الأمر من قبل الخلق ومن بعد الخلق.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡ﴾ [الطلاق: ٥] يعني: هداية هداكم الله بها، والهداية علمه، والعلم منه ومتصل به، كما أن شعاع الشمس متصل بعين الشمس، فإذا غابت عين الشمس ذهب الشعاع، ولله المثل الأعلى، والله عَزَّوَجَلَّ هو الدائم الأبدي الأزلي، وعلمه أزلي، وكلامه دائم لا يغيب عن شيء ولا يزول.

ثم إن الجهمي ادعى أمرًا آخر ليضل به الضعفاء ومن لا علم عنده، فقال: أخبرونا عن القرآن؛ هل هو شيء أوْ لا شيء؟

فلا يجوز أن يكون جوابه: لا شيء، فيقال له: هو شيء، فيظن حينئذ أنه قد ظفر بحجته ووصل إلى بغيته، فيقول: فإن الله يقول: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢] والقرآن شيء يقع عليه اسم شيء، وهو مخلوق، لأن الكل يجمع كل شيء.

فيقال له: أما قولك: إن الكل يجمع كل شيء، فقد رد الله عليك ذلك وأكذبك القرآن، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾

[الأنبياء: ٣٥] ولله عَزَّوَجَلَّ نفس لا تدخل في هذا الكل، وكذلك كلامه شيء لا يدخل في الأشياء المخلوقة، كما قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

فإن زعمت أن الله لا نفس له فقد أكذبك القرآن ورد عليك قولك، قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقال: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١] وقال فيما حكاه عن عيسى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

فقد علم من آمن بالله واليوم الأخر أن كتاب الله حق، وما قاله فيه حق، وأن لله نفسًا، وأن نفسه لا تموت، وأن قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ لا تدخل في هذا نفس الله.

وكذلك يخرج كلامه من الكلام المخلوق، كما تخرج نفسه من الأنفس التي تموت، وقد فهم من آمن بالله وعقل عن الله أن كلام الله، ونفس الله، وعمل الله، وقدرة الله، وعزة الله، وسلطان الله، وعظمة الله، وحلم الله، وعفو الله، ورفق الله، وكل شيء من صفات الله أعظم الأشياء، وأنها كلها غير مخلوقة؛ لأنها صفات الخالق ومن الخالق، فليس يدخل في قوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا كلامه، ولا عزته، ولا قدرته، ولا سلطانه، ولا عظمته، ولا جوده، ولا كرمه، لأن الله تعالى لم يزل بقوله وعلمه وقدرته وسلطانه وجميع صفاته إلهًا واحدًا، وهذه صفاته قديمة بقدمه، أزلية بأزليته، دائمة بدوامه،

باقية ببقائه، لم يخْلُ ربنا من هذه الصفات طرفة عين، وإنما أبطل الجهمي صفاته يريد بذلك إبطاله)[١].

وهذا الاستطراد والتعليل الذي ذكره ابن بطة عن عموم لفظ الكلية ورد مثله في الكتاب المنسوب للإمام أحمد «الرد على الجهمية» من احتجاج الجهمية بلفظ الكلية في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾:

(فقلنا: إن الله في القرآن لم يسم كلامه شيئًا، إنما سمى شيئًا الذي كان بقوله، ألم تسمع إلى قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾ [النحل: ٤٠] فالشيء ليس قوله: إنما الشيء الذي كان بقوله. وفي آية أخرى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ [يس: ٨٢] فالشيء ليس هو أمره، إنما الشيء الذي كان بأمره.

ومن الأعلام والدلالات أنه لا يعني كلامه مع الأشياء المخلوقة قال الله للريح التي أرسلها على عاد: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] وقد أتت تلك الريح على أشياء لم تدمرها؛ منازلهم ومساكنهم والجبال التي بحضرتهم، فأتت عليها تلك الريح ولم تدمرها، وقال: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فكذلك إذا قال: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] لا يعني نفسه ولا علمه ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة.

وقال لملكة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] قد كان ملك سليمان شيئًا ولم تُؤتهُ، وكذلك إذا قال: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا يعني

---

(١) الإبانة (٣/ ١٦٥).

كلامه مع الأشياء المخلوقة.

وقال الله لموسى: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه: ٤١] وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] وقال: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] ثم قال: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فقد عرف من عقل عن الله أنه لا يعني نفسه مع الأنفس التي تذوق الموت، وقد ذكر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كل نفس، فكذلك إذا قال: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ لا يعني نفسه ولا علمه ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة)[1].

وجاء أيضًا في «الإبانة»:

(ويقال للجهمي فيما احتج به من قوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢] أن قوله: ﴿كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يجمع كل شيء، لأن الكل يجمع كل شيء، أليس قد قال الله: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] فهل يهلك ما كان من صفات الله؟ هل يهلك علم الله فيبقى بلا علم؟ هل تهلك عزته؟ تعالى ربنا عن ذلك! أليس هذه من الأشياء التي لا تهلك؟

وقد قال الله: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] فقد قال: ﴿فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ فهل فتح عليهم أبواب التوبة، وأبواب

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٢٣٢ - ٢٣٤).

الرحمة، وأبواب الطاعة، وأبواب العافية، وأبواب السعادة، وأبواب النجاة مما نزل بهم؟ وهذه كلها مما أغلق أبوابها عنهم، وهي شيء، وقد قال: ﴿فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾.

وقد قال أيضًا في بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [النمل: ٢٣] ولم تؤت ملك سليمان، ولم تسخر لها الريح ولا الشياطين، ولم يكن لها شيء مما في ملك سليمان، فقد قال: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾.

وقال في قصص يوسف: ﴿مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [يوسف: ١١١] وإنما كان ذلك تفصيلًا لكل شيء من قصة يوسف.

وقال: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] ولم يخلق آدم من الماء، وإنما خلقه من تراب، ولم يخلق إبليس من الماء، قال: ﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧] والملائكة خلقت من نور.

وقال في الريح التي أرسلت على قوم عاد: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾ وقد أتت على أشياء لم تدمرها، ألم تسمع إلى قوله: ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡ﴾ [الأحقاف: ٢٥] فلم تدمر مساكنهم.

ولو أنصف الجهمي الخبيث من نفسه واستمع كلام ربه وسلم لمولاه وأطاعه لتبين له، ولكنه من الذين قال الله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا﴾ [النمل: ١٤] فالجهمي الضال، وكل مبتدع ضال أعمى أصم، قد حرمت عليه البصيرة، فهو لا يسمع إلا ما يهوى، ولا يبصر إلا ما اشتهى.

ألم يسمع قول الله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فأخبر أن القول قبل الشيء، لأن إرادته الشيء يكون قبل أن يكون الشيء، فأخبر أن إرادة الشيء يكون قبل قوله، وقوله قبل الشيء، إذا أراد شيئًا كان بقوله، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ [يس: ٨٢] فالشيء ليس هو أمره، ولكن الشيء كان بأمره سبحانه ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩] فأخبرنا أنه شيء، وهو تبارك اسمه وتعالى جده أكبر الأشياء، ولا يدخل في الأشياء المخلوقة.

فإذا وضح للعقلاء كفر الجهمي وإلحاده ادّعى أمرًا ليفتن به عباد الله الضعفاء من خلقه، فقال: أخبرونا عن القرآن؛ هل هو الله أو غير الله؟ فإن زعمتم أنه الله فأنتم تعبدون القرآن، وإن زعمتم أنه غير الله فما كان غير الله فهو مخلوق، فيظن الجهمي الخبيث أن قد فلجت حجته وعلت بدعته، فإن لم يجبه العالم ظن أنه قد نال بعض فتنته!

فالجواب للجهمي في ذلك أن يقال له: القرآن ليس هو الله، لأن القرآن كلام الله، وبذلك سماه الله قال: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وبحسب العاقل العالم من العلم أن يسمي الأشياء بأسمائها التي سماها الله بها، فمن سمى القرآن بالاسم الذي سماه الله به كان من المهتدين، ومن لم يرض بالله ولا بما سماه به كان من الضالين

وعلى الله من الكاذبين.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١] فهذا من الغلو ومن مسائل الزنادقة، لأن القرآن كلام الله، فمن قال: إن القرآن هو الله، فقد جعل الله كلامًا وأبطل من تكلم به.

ولا يقال إن القرآن غير الله، كما لا يقال إن علم الله غير الله، ولا قدرة الله غير الله، ولا صفات الله غير الله، ولا عزة الله غير الله، ولا سلطان الله غير الله، ولا وجود الله غير الله، ولكن يقال: كلام الله، وعزة الله، صفات الله، وأسماء الله.

وبحسب من زعم أنه من المسلمين، ولله من المطيعين، وبكتاب الله من المصدقين، ولأمر الله من المتبعين، أن يسمي القرآن بما سماه الله به، فيقول: القرآن كلام الله، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥] ولم يقل: يريدون أن يبدلوا الله، ولم يقل: يريدون أن يبدلوا غير الله.

وقال: ﴿بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] ولم يقل: إن القرآن أنا هو، ولا هو غيري، فالقرآن كلام الله فيه أسماؤه وصفاته، فمن قال: هو الله، فقد قال إن ملك الله، وسلطان الله، وعزة الله غير الله! ومن قال: إن سلطان الله، وعزة الله مخلوق، فقد كفر لأن ملك الله لم يزل ولا يزول، ولا يقال: إن ملك الله هو الله، فلا يجوز أن يقول: يا ملك الله اغفر لنا، يا ملك الله ارحمنا، ولا يقال: إن ملك الله غير الله، فيقع

عليه اسم المخلوق، فيبطل دوامه، ومن أبطل دوامه أبطل مالكه، ولكن يقال: ملك الله من صفات الله، قال الله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١] وكذلك عزة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠] يقول: من كان يريد أن يعلم لمن العزة فإن العزة لله جميعًا، فلا يجوز أن يقال: إن عزة الله مخلوقة، من قال ذلك فقد كفر؛ لأن الله لم تزل له العزة، ولو كانت العزة مخلوقة لكان بلا عزة قبل أن يخلقها حتى خلقها فعز بها، تعالى ربنا وجل ثناؤه عما يصفه به الملحدون علوًّا كبيرًا.

ولا يقال: إن عزة الله هي الله، ولو جاز ذلك لكانت رغبة الراغبين ومسألة السائلين أن يقولوا: يا عزة الله عافينا، ويا عزة الله أغنينا!

ولا يقال: عزة الله غير الله، ولكن يقال: عزة الله صفة الله، لم يزل ولا يزال الله بصفاته واحدًا، وكذلك علم الله، وحكمة الله، وقدرة الله، وجميع صفات الله تعالى، وكذلك كلام الله عَزَّوَجَلَّ فتفهموا حكم الله، فإن الله لم يزل بصفاته العليا وأسمائه الحسنى عزيزًا، قديرًا، عليمًا، حكيمًا، ملكًا، متكلمًا، قويًّا، جبارًا، لم يخلق علمه ولا عزه، ولا جبروته، ولا ملكه، ولا قوته، ولا قدرته، وإنما هذه صفات المخلوقين)[1].

فلا يعقل أن يأخذ ابن بطة كل هذه النصوص كاملة من كلام

---

(١) الإبانة (٣/ ١٧٦).

الإمام أحمد دون أن يعزوها له، ويضعها تحت عنوان فرعي في كتابه «الإبانة» مطابق لاسم كتاب الإمام أحمد «الرد على الجهمية»! فهذا أسلوب غير معهود منه، ولا من غيره من أتباع الأئمة الذين خدموا مذاهبهم فروعًا وأصولًا!

ومن الأمثلة أيضًا على التطابق بين الكتابين ما جاء في كتاب «الرد على الجهمية»:

(ثم إن الجهم ادعى أمرًا آخر فقال: إن الله يقول: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ [السجدة: ٤] فزعم أن القرآن لا يخلو أن يكون في السموات أو في الأرض أو فيما بينهما! فشبّه على الناس ولبّس عليهم!

فقلنا له: أليس إنما أوقع الله -جل ثناؤه- الخلق والمخلوق على ما في السموات والأرض وما بينهما؟

فقالوا: نعم.

فقلنا: هل فوق السموات شيء مخلوق؟

قالوا: نعم.

فقلنا: فإنه لم يجعل ما فوق السموات مع الأشياء المخلوقة، وقد عرف أهل العلم أن فوق السموات السبع الكرسي، والعرش، واللوح المحفوظ، والحجب، وأشياء كثيرة لم يسمها ولم يجعلها مع الأشياء المخلوقة، وإنما وقع الخبر من الله على السموات والأرض وما بينهما.

وقلنا فيما ادعوا: إن القرآن لا يخلو أن يكون في السموات أو في الأرض أو فيما بينهما.

فقلنا: الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الروم: ٨] فالذي خلق به السموات والأرض قد كان قبل السموات والأرض، والحق الذي خلق به السموات والأرض هو قوله؛ لأن الله يقول الحق، و﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ﴾ [ص: ٨٤] ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣] فالحق الذي خلق به السموات والأرض قد كان قبل السموات والأرض، والحق قوله، وليس قوله مخلوقًا)[1].

وهو مطابق لقول ابن بطة في «الإبانة»:

(ثم إن الجهمي ادعى أمرًا آخر فقال: إن الله يقول: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦] فزعم أن القرآن لا يخلو أن يكون في السموات، أو في الأرض، أو فيما بينهما!

فيقال له: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ فالحق الذي خلق به السموات والأرض وما بينهما هو قوله وكلامه، لأنه هو الحق وقوله الحق ﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ﴾ وقال: ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّ﴾ فأخبر بأن الخلق كله كان بالحق، والحق قوله وكلامه، وقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [إبراهيم: ١٩] وقال: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [يونس: ٥] يعني قوله وكلامه، فقوله

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٢٥٦).

وكلامه قبل السماوات والأرض وما بينهما)[(١)].

فهذا النص كاملًا بألفاظه وحروفه وأدلته متطابق تطابقًا تامًّا مع كلام أحمد المنسوب إليه، لا يمكن فيه الادعاء بأنه توافق بين الكتابين دون نقل أحدهما من الآخر! فإما أن ابن بطة قد أخذه من كتاب أحمد، أو أن كتاب أحمد ليس سوى مختصر من كتاب ابن بطة، منسوب لأحمد خطأ! أو نسب إليه باعتبار أنه شرح لمذهبه وأصوله!

كما لا توجد هذه النصوص المطابقة لكلام الإمام أحمد عند غير ابن بطة، بل حتى نسخة ابن تيمية وابن القيم من هذا الكتاب خلت من كثير مما ورد فيه منسوبًا للإمام أحمد في المطبوع! مما يؤكد أنها من كلام ابن بطة وشرحه لنصوص أحمد ومذهبه!

(١) الإبانة (٣/ ١٩٠).

الفصل الثالث

في تحديد النص الأصلي للإمام أحمد

إذا ثبت بـما لا يـدع مجـالًا للشـك أن هنـاك علاقـة وثيقـة تصـل إلى حـد التطابـق الحـرفي في الفقـرات بـين كتـاب «الـرد عـلى الجهميـة» المنسـوب للإمـام أحمـد، وكتـاب ابـن بطـة «الإبانـة» في فصـل الـرد عـلى الجهميـة فيـما تأولـوه مـن متشـابه القـرآن، وهـي كـما يبـدو علاقـة شرح لنصـوص أحمـد ومذهبـه في كتـاب ابـن بطـة، ثـم جـرى اختصـار هـذه النصـوص وشرحهـا ودمجهـا لاحقًـا في نـص واحـد بـلا تمييـز في كتـاب «الـرد عـلى الجهميـة» للإمـام أحمـد!

فمن أين وقع الخلل؟

وأين النص الأصلي لكتاب أحمد؟

الـذي يظهـر أن الخلـل وقـع بعـد عـصر ابـن بطـة، وأن هنـاك مـن اختـصر مـن كتـاب ابـن بطـة «الإبانـة» فصـل الـرد عـلى الجهميـة، وظـن بعـض الـرواة والوراقـين والنسـاخ المتأخريـن أنـه هـو كتـاب الإمـام أحمـد «الـرد عـلى الجهميـة»!

وقد قال ابن أبي يعلى عما رواه الخضر بن المثنى:

(منهـا «الـرد عـلى الجهميـة» فيـما قرأتـه عـلى المبـارك بـن عبـد الجبـار، عـن إبراهيـم، عـن عبدالعزيـز غـلام أبي بكـر الخـلال، عـن الخـلال، أخـبرني خـضر بـن مثنـى الكنـدي قـال: حدثنـا عبـد الله بـن أحمـد بـن حنبـل)[1].

والمبـارك بـن عبـد الجبـار البغـدادي الطيـوري المحـدث المعمّـر،

---

(١) طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨).

ولـد سـنة ٤١٠هــ وتـوفي سـنة ٥٠٠ هــ.

قـال عنـه الذهبـي: (جمـع وخـرج، وسـمع مـا لا يوصـف كثـرة ... وقـال السـلفي: هـو محـدث مفيـد ورع كبـير، لم يشـتغل قـط بغـير الحديـث، وحصـل مـا لم يحصلـه أحـد مـن كتـب التفاسـير، والقـراءات، واللغـة، والمسـانيد، والتواريـخ، والعلـل، والأدبيـات، والشـعر، كلهـا مسـموعة ... قـال ابـن سـكّرة: ذكـر لي شـيخنا أبـو الحسـين أن عنـده نحـو ألـف جـزء بخـط الدارقطنـي، أو أخـبرت عنـه بذلـك، وأخـبرني أن عنـده أربعـة وثمانـين مصنفًـا لابـن أبي الدنيـا)[١].

وشـيخه في هـذا الإسـناد إبراهيـم بـن عمـر بـن أحمـد البرمكـي، تـوفي سـنة ٤٤٥هــ قـال عنـه الذهبـي: (الشـيخ الإمـام المفتـي، بقيـة المسـندين.. تفقـه عـلى ابـن بطـة، وابـن حامـد، ولـه إجـازة مـن أبي بكـر عبـد العزيـز غـلام الخـلال)[٢].

فهـو مـن تلاميـذ ابـن بطـة وتفقـه عليـه، ولا يبعـد أن يكـون ابـن بطـة قـد اختـصر فصـل «الـرد عـلى الجهميـة» مـن كتابـه «الإبانـة» كـما فعـل في اختصـاره «الإبانـة الصغـرى» أو اختـصره تلميـذه إبراهيـم البرمكـي، فـرواه عنـه بعضهـم عـلى أنـه كتـاب الإمـام أحمـد، أو يكـون الطيـوري المشـهور بجمـع الكتـب والأجـزاء، حتـى لم يجمـع أحـد مـن الكتـب كجمعـه، قـد رواه ووهـم في نسـبته للإمـام أحمـد، فقـد وقـع منـه شيء مـن ذلـك.

(١) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٢١٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٠٦).

فقد جاء في «ذيل تاريخ بغداد المستفاد» لابن الدمياطي:

(وقال محمد بن علي بن فولاذ الطبري: سألت أبا غالب الذهلي عن ابن الطيوري فقال: لا أقول إلا خيرًا، اعفِني عن هذا! فألححت عليه وقلت له: رأينا سماعه أنا والسمعاني بكتاب «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد ملحقًا على رقعة ملصقًا بالكتاب، وكتاب «الفصل» لداود بن المجير [لعله المحبر] كان سماعه إلى البلاغ بخط ابن خيرون، فأتم هو السماع للجميع بخطه؟ فقال: نعم، وغير ذا! وذكر المجلس عن الحفري فقال: قط لم يسمع منه، وأخرجه في جزازة له بخطه، قالوا له: فأين كان إلى الساعة؟ قال: كان قد ضاع، وجدته الآن. وقال الأسدي أيضًا قريب منه.

وذكره السلفي وأثنى عليه، ثم قال بعد كلام له: كتبت عنه فأكثرت، وأخرج لي في جملة ما أخرج في سنة أربع وتسعين جزءًا من حديث ما روى الخطابي، كان يرويه عن أبي بكر بن النمط المقرر عنه، فكتبته، وكان سماعا ملحقًا بخطه، فحضرنا المجلس للقراءة على العادة، فأعطيته المؤتمن الساجي، فنظر فيه فرأى الإلحاق، فقال لي: رأيت هذا التسميع؟ قلت: نعم، والشيخ ثقة جليل القدر، ربما نقله من نسخة أخرى، وما ذكره ولا أحال عليه، فقال: نعم، يحتمل منه لأنه ثقة كبير.

ثم رأيت بعد ذلك من هذا الخط غير جزء ابن النمط.، أراني المؤتمن ومحمد بن منصور السمعاني، وكان أبو نصر محمود الأصبهاني حاضرًا، فذكر أنه وقف على مثل هذا، قال: والعلة

فيه أنه صاحب كتب كثيرة، تنقل من نسخة إلى نسخة أخرى، ولا يذكر الطبقة، وكذا التسميع، اتكالًا على ثقته. وحلف أبو نصر بالله أنه رأى مثل ذلك في أجزائه، ثم وجد في كتبه الأصول التي نقل منها. وأنا بعد وقفت على مثل ما ذكره أبو نصر، فالله أعلم)[1].

فقوله: (والعلة فيه أنه صاحب كتب كثيرة تنقل من نسخة إلى نسخة أخرى) قد يفسر أيضًا ما تعرض له كتاب «الرد على الجهمية» من خلل وخلط!

ولم يقتصر الأمر كما يبدو على هذا الخلل، بل ضُم أيضًا إلى هذا المختصر لاحقًا فصل من كتاب «متشابه القرآن» لمقاتل بن سليمان في تفسير ما استشكله الزنادقة وادعوا فيه تعارض آيات القرآن، مما نقله عنه أبو حسين الملطي! وهذا الخلط لا يكون إلا من صنيع الوراقين ونساخ الكتب!

ولا يقوي رواية الطيوري هذه رواية الأزجي كما في نسخة محمد المقدسي؛ لأن أكثر رواتها رووها بالإجازة حال الصغر، فلم يقرأوها على شيوخهم، بل حصلوا على إجازة عامة بكتاب «الرد على الجهمية» فوقعت لهم هذه النسخة السقيمة بهذا الاسم المختصرة من كتاب ابن بطة، فرووها ظنًّا منهم أنها للإمام أحمد التي أُجيزوا بروايتها!

(١) ذيل تاريخ بغداد لابن الدمياطي (١٧٠).

قال صاحب النسخة: (أخبرنا أبو طاهر المبارك بن المبارك ابن المعطوش، في كتابه، أن أبا الغنائم محمد بن محمد بن أحمد بن المهتدي بالله أجاز لهم، أن أبا القاسم عبدالعزيز بن علي الأزجي أجاز لهم، عن أبي بكر عبد العزيز المعروف بغلام الخلال، أداء، قال: أخبرني الخضر بن المثنى الكندي، أنبأنا عبد الله بن أحمد بن حنبل)[١].

فالمعطوش ولد سنة ٥٠٧ هـ وتوفي سنة ٥٩٩هـ وقد سمع صغيرًا من شيخه أبي الغنائم الذي ولد سنة ٤٣٦هـ وتوفي سنة ٥١٧هـ والمعطوش ابن عشر سنين!

كما سمع أبو الغنائم، وهو ابن ثمان سنين، من شيخه الأزجي الذي ولد سنة ٣٥٦هـ وتوفي سنة ٤٤٤هـ.

وكذا سمع الأزجي من شيخه عبدالعزيز غلام الخلال (الذي توفي سنة ٣٦٣ هـ) وهو صغير ابن ست أو سبع سنين!

وكل ذلك على فرض أن كل شيخ منهم أجاز تلميذه في السنة التي توفي فيها، وربما كانت الإجازة قبل ذلك وهم أصغر سنًّا، كما هي العادة باستجازة الأباء لأبنائهم وهم صغار ليحصلوا علو الإسناد، وإن لم يثبت لهم سماع من شيوخهم لما أجازوهم به من كتب، بناء على أنهم إذا تأهلوا لاحقًا حصلوا الكتب وقرأوها على شيوخهم الآخرين، وفازوا بعلو الإسناد بالإجازة، وهذا صحيح في

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (لوحة ٢).

الكتب المشهورة المتواترة عن مؤلفيها، وليس كذلك الكتب التي لا تعرف إلا أسماؤها، دون الوقوف على نسخ صحيحة مقروءة على الشيوخ، وشيوخهم، إلى مؤلفيها، كهذا الكتاب المنسوب لأحمد!

وعلى غلام الخلال هذا تفقه ابن بطة، وعلى ابن بطة تفقه إبراهيم البرمكي رواي هذه النسخة بالإجازة عن غلام الخلال!

كما أن المبارك الطيوري أخذ عن الأزجي وروى عنه!

وبين هذين الإسنادين وقع الخلل والوهم في رواية هذه النسخة المختصرة من كتاب ابن بطة وروايتها على أنها هي كتاب «الرد على الجهمية» الذي يرويه الخلال، عن الخضر بن المثنى، عن عبدالله بن أحمد، عن أبيه أحمد!

ومما يؤكد الخلل والاختلاف بين نسخ هذا الكتاب المنسوب للإمام أحمد أن المتقدمين من أئمة الحنابلة إلى القرن الرابع لم ينقلوا شيئًا من هذه النسخة الموضوعة، مع أن الخلال ذكر الكتاب ورواه عن الخضر نفسه، ومع ذلك لا يوجد في كتاب الخلال نص واحد منه! وإنما روى عنه الخلال شيئًا آخر في «الرد على الجهمية» كما سيأتي بيانه! وهذا شيء غريب لا نظير له!

فكيف يروي الخلال عن الخضر بن المثنى هذه النسخة من «الرد على الجهمية» للإمام أحمد، ثم لا يروي منها ولو نصًّا واحد في كتابه «السنة» الذي جمع فيه كل كلام أحمد في مسائل الاعتقاد، وكل حججه في الرد على الجهمية حتى لا يكاد يفوته شيء منه!

ثـم يـصرح ابـن تيميـة وابـن القيـم بـأن الخـلال ذكـر هـذه النسـخة في كتابـه، ثـم لا يوجـد منهـا شيء في كتابـه «السـنة» بـل وجدنـاه يـروي عـن الخـضر مـا رواه عبـدالله عـن أبيـه مـن الاحتجـاج عـلى الجهميـة بآيـات القـرآن فقـط!

ثـم بـدأ النقـل مـن هـذه النسـخة في القـرن الخامـس الهجـري بعـد عـصر ابـن بطـة، وذلـك في طبقـة أبي يعـلى الحنبـلي وابـن عقيـل، وقـد نقلـوا منهـا أشـياء يسـيرة، ثـم لا يـكاد يوجـد مـن نقـل عنهـا، حتـى جـاء عـصر ابـن تيميـة وابـن القيـم حيـث وجـدت نسـخة منـه حكـم الذهبـي بأنهـا موضوعـة، وقـد نقـل منهـا ابـن تيميـة وابـن القيـم في مواطــن عــدة، وأعـرض أيضًـا ابــن تيميــة عــن أكثـر مـا في هــذه النسـخة السـقيمة، وهـذا يؤكـد صحـة كلام الذهبـي عـن هـذه النسـخة الموضوعـة!

وسـنحاول تمييـز كلام الإمـام أحمـد في «الـرد عـلى الجهميـة» مـن كلام ابـن بطـة الشـارح لـه، لمعرفـة أسـلوب كل منهـا، والوقـوف عـلى النـص الأصـلي للإمـام أحمـد.

المبحث الأول

تمييز ابن بطة في كتابه «الإبانة» بين كلامه وكلام الإمام أحمد

كل ما سبق من حجج في مباحث هذا الكتاب هي في أصلها حجج الإمام أحمد واستدلالاته بالقرآن على المعتزلة الجهمية في محنة وفتنة خلق القرآن، حين جادلوه بين يدي الخليفة المعتصم في خلق القرآن، ثم حين رفع المتوكل الفتنة، وسأل الإمام أحمد عن السنة في القول بالقرآن وأنه كلام الله، فألف جوابًا في مجلسه بما حضره من الأدلة، وتلك الحجج والأجوبة تمثل نواة الكتاب الأصلي للإمام أحمد في «الرد على الجهمية»!

وهذه هي حجج أحمد التي أدار عليها ابن بطة مباحثه وشرحه في فصل الرد على الجهمية فيما تأولوه، واختصر بعد ذلك في «الرد على الجهمية» المنسوب للإمام أحمد، وهي:

١- مسألة

علم الله الأزلي، وأن القرآن من علم الله، فهو أزلي كالعلم

وقد وردت هذه المسألة في «الرد على الجهمية» للإمام أحمد المطبوع بتحقيق العجمي[(١)].

وقد رواه ابن بطة بإسناده في «الإبانة» في باب «الرد على الجهمية» في ذكر محنة الإمام أحمد، بإسناده عن أبي طالب قال:

(قال لي أحمد بن حنبل: يا أبا طالب ليس شيء أشد عليهم مما أدخلت عليهم حين ناظروني!

قلت لهم: علم الله مخلوق؟

قالوا: لا.

قلت: فإن علم الله هو القرآن، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١] وقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥] هذا في القرآن في غير موضع من العلم)[(٢)].

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٢٤٢ - ٢٤٧).

(٢) الإبانة (٣/ ٢٤٩).

٢- مسألة

عدم دخول القرآن في الكلية في قوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾

وهي في كتاب «الرد على الجهمية»[(١)] المنسوب للإمام أحمد.

ورواها ابن بطة بإسناده عن صالح بن الإمام أحمد:

(قال: حدثني أبي، قال: قال لهم المعتصم: كلموه!

فقال لي عبد الرحمن: ما تقول في القرآن؟

فقلت: ما تقول في علم الله؟

فسكت.

قال: فقال لي بعضهم: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٦] فالقرآن أليس هو شيئًا؟

فقلت: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ﴾ [الأحقاف: ٢٥] فهل دمرت إلا ما أتت عليه؟)[(٢)].

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٢٣٢ - ٢٣٤).

(٢) الإبانة (٣/ ٢٤٩).

٣- مسألة

إحداث الذكر وأنه يقتضي خلق القرآن

وهي في كتاب «الرد على الجهمية»[١].

ورواه ابن بطة في «الإبانة» بإسناده عن صالح عن أبيه كما في النص السابق عنه:

(فقال لي بعضهم: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] أفيكون محدث إلا مخلوقًا؟

قال: فقلت لهم: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِي ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١] فالذكر هو القرآن، وتلك ليس فيها ألف ولا لام).

ورواه عن حنبل وقال في روايته: (فقلت لهم: هذا نكرة، فقد يكون على جميع الذكر، والذكر معرفة وهو القرآن).

ورواه ابن بطة بإسناده عن محمد بن الحكم سأل الإمام أحمد قال: (سألته عما احتج به حين دخل على هؤلاء؟

فقال: احتجوا عليّ بهذه الآية ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ أي: أن القرآن محدث، فاحتججت عليهم بهذه الآية ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِي ٱلذِّكْرِ﴾ قلت: فهو سماه الذكر. وقلت: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ فهذا يمكن أن يكون غير القرآن محدثًا، ولكن ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِي ٱلذِّكْرِ﴾ فهو القرآن، ليس هو محدثًا).

قال: فبهذا احتججت عليهم.

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٢٤٢ - ٢٤٧).

واحتجوا عليّ: «ما خلق الله من سماء ولا أرض ولا كذا أعظم من آية الكرسي»[١].

قال: فقلت له: إنه لم يجعل آية الكرسي مخلوقة، إنما هذا مثل ضربه، أي: هي أعظم من أن تخلق، ولو كانت مخلوقة لكانت السماء أعظم منها، أي: فليست بمخلوقة.

قال: واحتجوا علي بقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾.

فقلت: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] فخلق من القرآن زوجين! ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النمل: ٢٣] فأوتيت القرآن! فأوتيت النبوة! أوتيت كذا وكذا! وقال الله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ﴾ [الأحقاف: ٢٥] فدمرت كل شيء! إنما دمرت ما أراد الله من شيء.

قال: وقال لي ابن أبي دؤاد: أين تجد أن القرآن كلام الله؟

قلت: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧] فسكت. وقلت له: بين يدي الرئيس، وجرى كلام بيني وبينه، فقلت له: اجتمعت أنا وأنت أنه كلام، وقلت: إنه مخلوق، فهاتوا الحجة من كتاب الله أو من السنة؟

فما أنكر ابن أبي دؤاد ولا أصحابه أنه كلام.

قال: وكانوا يكرهون أن يظهروا أنه ليس بكلام فيشنع عليهم!)[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، باب: من سورة آل عمران (رقم ٢٨٨٤) من قول ابن مسعود.
(٢) الإبانة (٣/ ٢٤٩).

٤- مسألة

التفريق بين الخلق والأمر

وقد وردت في كتاب «الرد على الجهمية»[١].

وقد روى ابن بطة بإسناده عن عبدالله بن أحمد عن أبيه الإمام قوله:

(وكان فيما احتججت عليهم يومئذ قلت لهم: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] وذلك أنهم قالوا لي: أليس كل ما دون الله مخلوق؟

فقلت لهم: فرق بين الخلق والأمر، فما دون الله مخلوق، فأما القرآن فكلامه ليس بمخلوق)[٢].

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٢٢٤ - ٢٢٧).
(٢) الإبانة (٣/ ٢٤٩).

٥- مسألة

حدوث الشيء بلا قول من الله «كن» فيكون

وهي في «الرد على الجهمية»[١].

ورواه ابن بطة عن عبدالله عن أبيه في محاجّة أحمد للمعتزلة:

(فقالوا: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]

فقلت لهم: قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١] فأمره كلامه واستطاعته ليس بمخلوق، فلا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فقد نهينا عن ذلك.

قال حنبل: وقال أبو عبد الله: واحتججت عليهم فقلت: زعمتم أن الأخبار تردونها باختلاف أسانيدها، وما يدخلها من الوهم والضعف، فهذا القرآن نحن وأنتم مجمعون عليه، وليس بين أهل القبلة فيه خلاف، وهو الإجماع.

قال الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه تصديقًا منه لقول إبراهيم غير دافع لمقالته ولا لما حكى عنه فقال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢] فذم إبراهيم أباه أن عبد ما لا يسمع ولا يبصر، فهذا منكر عندكم؟ فقالوا: شبَّهْ شبَّهْ، يا أمير المؤمنين! فقلت: أليس هذا القرآن؟ هذا منكر عندكم مدفوع)[٢].

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٢٣٣).

(٢) الإبانة (٣/ ٢٤٩).

٦-مسألة

ادعاء القرآن الربوبية لنفسه لو كان مخلوقًا

ووردت في «الرد على الجهمية»[١].

وهي عند ابن بطة، استكمالا للنص السابق في محاجّة الإمام أحمد للمعتزلة الجهمية، حيث يقول:

(وهذه قصة موسى، قال الله عَزَّوَجَلَّ لموسى في كتابه حكاية عن نفسه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ [النساء: ١٦٤] فأثبت الله الكلام لموسى كرامة منه لموسى، ثم قال: يا موسى ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤] فتنكرون هذا؟ فيجوز أن يكون هذه الياء راجعة ترد على غير الله، أو يكون مخلوق يدعي الربوبية؟ وهل يجوز أن يقول هذا غير الله؟ وقال له: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ﴾ [النمل: ١٠] ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه: ١٢] فهذا كتاب الله - يا أمير المؤمنين - فيجوز أن يقول لموسى: أنا ربك مخلوق؟ وموسى كان يعبد مخلوقًا؟ ومضى إلى فرعون برسالة مخلوق يا أمير المؤمنين؟

قال: فأمسكوا، وأداروا بينهم كلامًا لم أفهمه!

قال أبو عبد الله: والقوم يدفعون هذا وينكرونه، ما رأيت أحدًا طلب الكلام واشتهاه إلا أخرجه إلى أمر عظيم، لقد تكلموا بكلام واحتجوا بشيء ما يقوى قلبي ولا ينطق لساني أن أحكيه، والقوم يرجعون إلى التعطيل في أقاويلهم، وينكرون الرؤية والآثار كلها، ما ظننت أنه هكذا حتى سمعت مقالاتهم!)[٢].

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٢٢٦).

(٢) الإبانة (٣/ ٢٤٩).

٧-مسألة

شبهة: كان الله ولا قرآن، فأحدثه وجعله، فهو مجعول مخلوق

ووردت في «الرد على الجهمية»[١].

وهي عند ابن بطة حيث يستكمل النص السابق:

(قال أبو عبد الله [أحمد بن حنبل]: قيل لي يومئذ: كان الله ولا قرآن؟

فقلت له: كان الله ولا علم؟

فأمسك!

ولو زعم غير ذلك أن الله كان ولا علم لكفر بالله.

قال أبو عبد الله: وقلت له ،يعني لابن الحجام: يا ويلك! لا يعلم حتى يكون [يعني حتى يحدث الشيء]؟ فعلمه وعلمك واحد؟ كفرت بالله عالم السر وأخفى، عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب!

ويلك! يكون علمه مثل علمك؟ تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟

قال أبو عبد الله: فهذه أليست مقالته؟

قال أبو عبد الله: وهذا هو الكفر بالله، ما ظننت أن القوم هكذا!

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٢١٥ - ٢٢٠).

لقد جعل برغوث يقول يومئذ: الجسم، وكذا، وكلام لا أفهمه.

فقلت: لا أعرف ولا أدري ما هذا، إلا أنني أعلم أنه أحد صمد، لا شبه له ولا عدل، وهو كما وصف نفسه. فيسكت عني.

قال: فقال لي شعيب: قال الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] أفليس كل مجعول مخلوقًا؟

قلت: فقد قال الله: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ [الأنبياء: ٥٨] أفخلقهم!

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥] أفخلقهم!

أفكل مجعول مخلوق!

كيف يكون مخلوقًا وقد كان قبل أن يخلق الجعل!

قال: فأمسك)[١].

---

(١) الإبانة (٣/ ٢٤٩).

٨-مسألة

شبهة كون القرآن شيئًا فهو مخلوق

ووردت مشروحة في «الرد على الجهمية»[(١)].

وهي عند ابن بطة، في المصدر السابق، عن محمد بن يوسف ابن سرية المروزي قوله:

(دخلت على أبي عبد الله، والجبائر على ظهره، قال لي: يا أبا جعفر، أشاط القوم بدمي، فقالوا له، يعني المعتصم: يا أمير المؤمنين سله عن القرآن، أشيء هو أو غير شيء؟

قال: فقال لي المعتصم: يا أحمد أجبهم.

قال: فقلت له: يا أمير المؤمنين إن هؤلاء لا علم لهم بالقرآن، ولا بالناسخ والمنسوخ، ولا بالعام والخاص، قد قال الله عَزَّوَجَلَّ في قصة موسى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٥] فما كتب له القرآن!

وقال في قصة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النمل: ٢٣] وما أوتيت القرآن! فأخرسوا).

ثم روى عن ابنه صالح بن أحمد عن أبيه الأمام قال:

(قال لي رجل منهم: أراك تذكر الحديث وتنتحله؟

قال: فقلت له: ما تقول في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٢٣٢ - ٢٣٤).

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[النساء: ١١]؟

فقال: خص الله بها المؤمنين.

قال: قلت: فما تقول إن كان قاتلًا أو عبدًا أو يهوديًّا أو نصرانيًّا؟ فسكت).

ثم روى عن أبي بكر المروذي عن الإمام قوله:

(لما قلت: لا أتكلم إلا ما كان في كتاب أو سنة، احتج الأعمى الشافعي بحديث عمران بن حصين «خلق الله الذكر».

قال: فقلت له: هذا خطأ، رواه الثوري وأبو معاوية، وإنما وهم فيه محمد بن عبيد، وقد نهيته أن يحدث به.

قال: فقال أبو إسحاق [المعتصم]: أراه فقيهًا).

ثم روى ابن بطة بإسناده عن بكر بن محمد، عن أبيه، عن الإمام أحمد قوله:

(وقال لي آخر: «ما خلق الله من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي»؟

فقلت: إنما هذا مثل. فسكت.

واحتج عليّ آخر بحديث الطنافسي، عن الأعمش، عن جامع حديث عمران بن حصين «إن الله خلق الذكر».

فقلت: هذا وهم فيه - يعني الطنافسي - وأبو معاوية يقول: «كتب الله الذكر».

قال: وكنت أصيح عليهم وأرفع صوتي، وكان أهون علي من كذا وكذا، ذهب الله بالرعب من قلبي، حتى لم أكن أبالي بهم ولا أهابهم، فلما يئسوا مني واجتمعوا علي قال لي عبد الرحمن: ما رأيت مثلك قط من صنع ما صنعت!

قلت له: القرآن، قد اجتمعت أنا وأنتم على أنه كلام الله، وزعمتم أنه مخلوق، فهاتوه من كتاب أو سنة! فقال لي ابن أبي دؤاد: وأنت تجد في كل شيء كتابًا وسنة؟..)[1].

(١) الإبانة (٣/ ٢٤٩).

٩-مسألة

خلق الأسماء ومنها أسماء الله

وردت مشروحة في «الرد على الجهمية»[١].

وقد روى ابن بطة في باب (من زعم أن الإيمان مخلوق) عن حنبل عن الإمام أحمد قوله:

(الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله، و«لا إله إلا الله» مخلوق هو؟ قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

فهذه صفاته وأسماؤه غير مخلوقة وصف الله بها نفسه، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله» فمن قال: «لا إله إلا الله» مخلوق، فقد قال بقول الجهمية، يحذر عن صاحب هذه المقالة، وصفات الله وأسماؤه غير مخلوقة، وهذه من صفات الله تعالى، ولم يزل الله عالمًا، فمن قال: «لا إله إلا الله» مخلوق، فقد قال مقالة الجهمية)[٢].

وكل ما سبق من تفصيل هي زيادات ابن بطة وشرحه لكلام أحمد وبيانه مذهبه.

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٣١٥).

(٢) الإبانة (٣/ ٢٩٩).

١٠-مسألة

تكليم الله موسى

وقد وردت في «الرد على الجهمية»[١].

وقد ذكرها ابن بطة بعد أن فرغ من هذه الروايات بأسانيده عن الإمام أحمد في كتابه «الإبانة» في فصل (الرد على الجهمية) - وهو كله شرح لنصوص أحمد في الرد على الجهمية - عقد بابًا بعنوان (التصديق بأن الله كلم موسى وبيان كفر من جحده) فقال شارحًا ومبينًا مذهب أحمد:

(باب: التصديق بأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كلم موسى، وبيان كفر من جحده وأنكره.

اعلموا - رحمكم الله - أنه من زعم أنه على ملة إبراهيم ودين محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأنه من أهل شريعة الإسلام، ثم جحد أن الله كلم موسى فقد أبطل فيما ادعاه من دين الإسلام، وكذب في قوله إنه من المسلمين، ورد على الله قوله، وكذب بما جاء به جبريل إلى محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ورد الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقال: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] وقال: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤] وقال: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [النمل: ٩] وقال:

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٢٦٥ - ٢٧٥).

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] وقال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه: ١٢] وقال: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ [النازعات: ١٦].

فأنكر الجهمي الخبيث الملعون هذا كله ورده وجحد به، وقال: إن الله ما تكلم قط ولا يتكلم، وزعم أن ربه كالحجارة الصم البكم الجماد الخرس التي كانت تعبدها الجاهلية، لا تسمع، ولا تبصر، ولا تنطق، ولا تنفع، ولا تضر، وهو مع هذا يزعم أنه يريد أن ينزه الله ويرفعه عن التشبيه ببني آدم يتكلمون، ويسمعون، ويبصرون!

ويقول: إن الكلام لا يجوز أن يكون إلا من جوف بلسان وشفتين وحلق ولهوات، فينفون عن الله القدرة، ويزعمون أنه لا يقدر أن يتكلم إلا بآلات الكلام.

وقالوا: إن الله كوّن شيئًا فعبّر عنه، وخلق صوتًا فأسمع موسى ذلك الكلام!

قلنا: هل شاهدتموه وعاينتموه حتى علمتم أن هذا هكذا كان؟

قالوا: لا.

قلنا: بلغكم أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال ذلك؟

قالوا: لا.

قلنا: فهل أنزل الله عَزَّوَجَلَّ ذلك في كتبه السالفة، أو قاله نبي من الأنبياء المتقدمين؟

قالوا: لا، ولكن المعقول يدل على ما قلناه.

قلنا: فهل يجوز لمخلوق خلقه الله وكوّنه أن يقول: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]؟ فمن زعم أن المكلِّم لموسى كان غير الله فقد زعم أن الله خلق خلقًا ادعى الربوبية، وأن موسى أجابه وعبده من دونه، ومضى إلى فرعون برسالة مخلوق، وأمر فرعون أن يعبد غير الله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا!

قال الله عَزَّوَجَلَّ فيما وصف به كتابه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: ١٩٥] وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤] فقد علم أهل العلم بكلام العرب وفصيح اللسان أنه لا يكون كلام إلا من متكلم، كما لا يكون رسول إلا من مرسل، ولا عطاء إلا من معطٍ، وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] فأدخل ﴿تَكۡلِيمٗا﴾ تأكيدًا للكلام ولنفي المجاز، فإنه لا جائز أن يقول إنسان: كلمت فلانًا في كتابي وعلى لسان رسولي تكليمًا.

فأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم ولسان وشفتين!

أفترى الجوارح التي تشهد على أهلها يوم القيامة بما كانوا يعلمون، حتى تنطق بكلام مفهوم وأمر معلوم، فهل كان لها جوف وألسنة وشفاه ولهوات!

فإن الله تعالى قد أخبرنا بذلك فقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [فصلت: ٢٠].

فالذي أنطق كل شيء من غير الحيوان الناطق، من غير جوف ولا لسان ولا شفتين، قادر أن يتكلم هو بما شاء كيف شاء لمن شاء، ولا نقول بلسان ولا بجوف ولا شفتين.

قد أخبرنا أن الملائكة صمد روحانيون لا أجواف لهم ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] وقال: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣] وقد أخبرنا عن الجبال أنها تسبح فقال: ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] وقد قال: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَ﴾ [سبأ: ١٠] وقد أخبرنا عن السماء والأرض كذلك فقال: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

ومثل هذا في كتاب الله كثير، ولكن الجهمية الملحدة تجحده كله وتنكره، فتجحد القرآن وترد الآثار، فمن أنكر أن الله كلم موسى كلامًا بصوت تسمعه الأذنان وتعيه القلوب، لا واسطة بينهما ولا ترجمان ولا رسول، فقد كفر بالله العظيم وجحد بالقرآن)[١].

---

(١) الإبانة (٣/ ٣٠٣).

١١- مسألة

الاستدلال بالإسرائيليات في تكليم الله موسى

وقد ورد في «الرد على الجهمية»[١] الاستدلال بقصص كعب الأحبار في صفة كلام الله لموسى.

وقد رواه ابن بطة بإسناده من حديث جابر مرفوعًا:

(«لما كلم الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم الطور كلمه بغير الكلام الذي ناداه، قال موسى: يا رب، هذا كلامك الذي كلمتني به؟ قال: يا موسى كلمتك بقوة عشرة آلاف لسانٍ، ولي قوة الألسن كلها، وأنا قويٌّ من ذلك. فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا: يا موسى صف لنا كلام الرحمن. قال: سبحان الله، إذًا لا أستطيع. قالوا: يا موسى فشبهه. قال: ألم تروا إلى أصوات الصواعق التي تقبل في أجلى جلاوةٍ، وسمعتوه قط، فإنه قريبٌ منه وليس به»)[٢].

ثم روى بعده حديث الزهري عن كعب قال: (قال له موسى: يا رب هذا كلامك؟ قال: يا موسى: أنا أكلمك بقدر ما يستطيع بدنك احتماله، ولو كلمتك بأشد من هذا لمت)[٣].

ثم روى بعده: (حدثنا أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا سريج بن النعمان، قال: حدثنا عبد الله بن نافع، قال: كان مالك

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٢٧٠ - ٢٧١).

(٢) الإبانة (٣/ ٣١٠).

(٣) الإبانة (٣/ ٣١١).

ابن أنس يقول: كلم الله موسى بن عمران)[١].

وروى بعده: (حدثنا أبو عمر حمزة بن القاسم قال: حدثنا حنبل بن إسحاق قال: وسمعت أبا عبد الله [أحمد بن حنبل] يقول: من زعم أن الله لم يكلم موسى، فهو كافر بالله، وكذب بالقرآن، ورد على رسول الله ﷺ يستتاب من هذه المقالة، فإن تاب وإلا ضربت عنقه

وسمعت أبا عبد الله قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] فأثبت الكلام لموسى كرامةً منه لموسى، ثم قال بعد كلامه: ﴿تَكۡلِيمٗا﴾ قلت لأبي عبد الله: يكلم عبده يوم القيامة؟ قال: نعم، فمن يقضي بين الخلق إلا الله! يكلم الله عبده ويسأله، الله متكلمٌ، لم يزل الله يأمر بما شاء ويحكم، وليس لله عدلٌ ولا مثلٌ، كيف شاء وأنى شاء)[٢].

ثم روى ابن بطة بإسناده عن أبي الحارث عن الإمام أحمد قوله: (إذا قال: إن الله لم يكلم موسى، فقد كفر بقول الله تعالى في كتابه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ وهو يقول: لم يكلمه، يستتاب فإن تاب، وإلا ضربت عُنُقُهُ. وقال النبي ﷺ: «ما مِنْكُمْ مِنْ أحدٍ إلّا سيُكلِّمُهُ الله، ليْس بيْن الله وبيْنهُ تُرْجُمانٌ»[٣] فمن زعم أن

(١) الإبانة (٣/ ٣١٩).

(٢) الإبانة (٣/ ٣٢٠ – ٣٢١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: من نوقش الحساب عذّب (رقم ٦٥٣٩) ومسلم في كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة (رقم ١٠١٦) كلاهما من طريق الأعمش به.

الله ليس بمتكلِّم فقد ردّ القرآن، ومن ردّ آيةً مِن كتاب الله فقد كفر)[١].

فميز ابن بطة في هذا الفصل كله بين كلامه هو وما رواه قبله عن الإمام أحمد من أقواله، وقد صار هذا الفصل كله بعد عصر ابن بطة كلامًا للإمام أحمد في كتابه «الرد على الجهمية»!

وهذا لفظه كما في النسخ المخطوطة والمطبوعة من «الرد على الجهمية» للإمام أحمد، مطابق تمام المطابقة لكلام ابن بطة في ألفاظه واستدلالته مع شيء من الاختصار، حيث جاء فيه:

(بيان ما أنكرت الجهمية من أن يكون الله كلم موسى:

فقلنا: لم أنكرتم ذلك؟

قالوا: إن الله لم يتكلم، ولا يتكلم، إنما كوّن شيئًا فعبّر عن الله، وخلق صوتا فأسمع، وزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف ولسان وشفتين!

فقلنا: هل يجوز لمكوّن أو غير الله أن يقول: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢] أو يقول: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]؟

فمن زعم ذلك فقد زعم أن غير الله ادعى الربوبية، ولو كان كما زعم الجهم أن الله كوّن شيئًا كان يقول ذلك المكوّن: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] وقد قال جل ثناؤه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ

(١) الإبانة (٣/ ٣٢١).

﴿مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقال: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

فهذا منصوص القرآن.

فأما ما قالوا: إن الله لا يتكلم، فكيف يصنعون بحديث الأعمش، عن خيثمة عن عدي بن حاتم الطائي: قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «ما مِنْكُمْ مِنْ أحدٍ إلّا سيُكلِّمُهُ الله، ما بيْنه وبيْنهُ تُرْجُمانٌ».

وأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان وأدوات [عند ابن بطة: لهوات]! أليس الله قال للسموات والأرض: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] تراها أنها قالت بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات!

وقال: ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] أتراها سبحت بجوف وفم ولسان وشفتين! والجوارح إذ شهدت على الكفار فقالوا: ﴿لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [فصلت: ٢٠] أتراها أنها نطقت بجوف وفم ولسان! ولكن الله أنطقها كيف شاء.

وكذلك الله تكلم كيف شاء من غير أن يقول بجوف ولا فم ولا شفتين ولا لسان.

قال أحمد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: فلما خنقته الحجة قال: إن الله كلم موسى إلا أن كلامه غيره.

فقلنا: وغيره مخلوق؟

قال: نعم.

فقلنا: هذا مثل قولكم الأول، إلا أنكم تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون.

وحديث الزهري قال: لما سمع موسى كلام ربه قال: يا رب هذا الذي سمعته هو كلامك؟ قال: نعم يا موسى هو كلامي، إنما كلمتك على قدر ما يطيق بدنك، ولو كلمتك بأكثر من ذلك لمت. قال: فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له: صف لنا كلام ربك، قال: سبحان الله، وهل أستطيع أن أصفه لكم! قالوا: فشبهه. قال: هل سمعتم أصوات الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها، فكأنه مثله.

وقلنا للجهمية: من القائل يوم القيامة: ﴿يَـٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] أليس الله هو القائل؟

قالوا: فيكون الله شيئًا فيعبر عن الله، كما كوّن شيئًا فعبر لموسى.

قلنا: فمن القائل: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٍ﴾ [الأعراف: ٦-٧]؟ أليس الله هو الذي يسأل؟

قالوا: هذا كله إنما يكون شيئًا، فيعبر عن الله.

قلنا: قد أعظمتم على الله الفرية، حين زعمتم أنه لا يتكلم فشبهتموه بالأصنام التي تعبد من دون الله؛ لأن الأصنام لا تتكلم، ولا تتحرك، ولا تزول من مكان إلى مكان.

فلما ظهرت عليه الحجة قال: إن الله قد يتكلم، ولكن كلامه مخلوق، قلنا: وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق، فقد شبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق، ففي مذهبكم قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق الكلام، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق الله لهم كلامًا، وقد جمعتم بين كفر وتشبيه.

وتعالى الله عن هذه الصفة، بل نقول: إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء.

ولا نقول: إنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام.

ولا نقول: إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علمًا فعلم.

ولا نقول: إنه قد كان ولا قدرة له حتى خلق لنفسه القدرة.

ولا نقول: إنه كان قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نورًا.

ولا نقول: إنه قد كان ولا عظمة له حتى خلقه لنفسه عظمة.

فقالت الجهمية لما وصفنا الله بهذه الصفات: إن زعمتم أن الله ونوره، والله وقدرته، والله وعظمته، فقد قلتم بقول النصارى حين زعموا أن الله لم يزل ونوره، ولم يزل وقدرته.

قلنا: لا نقول: إن الله لم يزل وقدرته، ولم يزل ونوره، ولكن نقول: لم يزل بقدرته ونوره، لا متى قدر، ولا كيف قدر.

فقالوا: لا تكونون موحدين أبدًا حتى تقولوا: قد كان الله ولا

شيء.

فقلنا: نحن نقول: قد كان الله ولا شيء، ولكن إذا قلنا: إن الله لم يزل بصفاته كلها، أليس إنما نصف إلهًا واحدًا بجميع صفته!

وضربنا لهم في ذلك مثلًا: فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة، أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار، واسمها اسم شيء واحد، وسميت نخلة بجميع صفاتها!

فكذلك الله - وله المثل الأعلى - بجميع صفاته إله واحد، لا نقول: إنه قد كان في وقت من الأوقات. ولا يقدر حتى خلق له قدرة، والذي ليس له قدرة هو عاجز.

ولا نقول: قد كان في وقت من الأوقات، ولا يعلم حتى خلق له علمًا فعلم، والذي لا يعلم هو جاهل، ولكن نقول: لم يزل الله عالمًا قادرًا، لا متى ولا كيف. وقد سمى الله رجلًا كافرًا، اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي، فقال: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ [المدثر: ١١] وقد كان هذا الذي سماه الله وحيدًا له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان، وجوارح كثيرة، قد سماه الله وحيدًا بجميع صفاته. فكذلك الله، وله المثل الأعلى، هو بجميع صفاته إله واحد)[1].

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (١٣٥ - ١٤٠).

المبحث الثاني

الاحتجاج بالأخبار الموضوعة والمنكرة

ومما يلاحظ على كتاب «الرد على الجهمية» للإمام أحمد:

١- احتجاجه بالموضوع والمتروك من الأخبار، مما لا يتوافق مع منهجه الذي صرح به، واشتهر عنه، وأنه لا يحتج خاصة في صفات الله إلا بالصحيح، بخلاف احتجاجه هنا بحديث (إن الله كلم موسى بعشرة آلاف لسان) وهو حديث منكر، راويه متروك، وكذا الاحتجاج بحديث الزهري من قول كعب الأحبار!

وبعيد جدًّا أن يحتج الإمام أحمد في مقام الجدل والمناظرة على خصمه بحديث منكر أو خبر إسرائيلي، فليس هو ممن يستحل رواية المنكرات فضلًا عن الاحتجاج بها، بلْه الاستدلال بها على صفات الله، وإنما هذه روايات رواها عنه ابنه عبدالله، لا على سبيل احتجاج الإمام بها بل الاستئناس بها والاستدلال بها على أن أهل الكتاب أنفسهم يثبتون تكليم الله لموسى، فانتقل هذا الحديث فجأة من دائرة الرواية والإخبار عن أهل الكتاب، فيما يروونه من تكليم الله لموسى كما يثبته القرآن، إلى دائرة الاحتجاج بها على الخصم في كتاب «الرد على الجهمية» كما فعل ابن بطة في كتابه «الإبانة» في فصل الرد على الجهمية الذي اختُصر ثم نُسب للإمام أحمد!

وإنما الصحيح عن الإمام أحمد احتجاجه هنا بحديث الأعمش عن عدي بن حاتم «ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه» فهذا الثابت

عنه عند ابن بطة وفي المصادر الأخرى، كما عند عبدالله بن أحمد في كتاب «السنة» تحت عنوان (ما جحدت الجهمية)[١] ورواه عن أبيه[٢] وعن غيره من شيوخه[٣] بينما لم يثبت عنه في أي من كتبه الأخرى الاحتجاج في المحنة بمثل هذه المنكرات، كحديث جابر والزهري عن كعب[٤].

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١/ ٢٤١ رقم ٤٣٩).

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١/ ٢٤١ رقم ٤٣٨).

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١/ ٢٤١ رقم ٤٤٠ - ٤٤٢).

(٤) روي هذا الخبر من حديث جابر مرفوعا، وهو منكر بل موضوع، وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات، ومن حديث الزهري مقطوعًا من كلام كعب الأحبار، وقد رواه عبدالله ابن ثابت التوزي في زياداته على «تفسير مقاتل» ٣/ ٢٨٣ في آخر سورة الشعراء قال: (حدثني أبي، عن الهذيل، عن على بن عاصم، عن الفضل بن عيسى الرقاشي، عن محمد ابن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «لما كلم الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ فوق الطور فسمع كلامًا فوق الكلام الأول فقال: يا رب هذا كلامك الذي كلمتني به؟ قال: لا يا موسى: إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولي قوة الألسن كلها، وأنا أقوى من ذلك، فلما رجع موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ إلى قومه قالوا: يا موسى، صف لنا كلام الرحمن. قال: سبحان الله! لا أستطيع. قالوا: فشبِّهه. قال: ألم تروا إلى أصوات الصواعق التي تقتل بأحلى حلاوة إن سمعتموه! فإنه قريب منه وليس به).

ورواه عبدالله في «السنة» (رقم ٥٣٩ - ٥٤٠): (حدثني أبي، ثنا عبد الرزاق، نا معمر، عن الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أخبرني جزء بن جابر الخثعمي، أنه سمع كعبًا يقول: «لما كلم الله موسى تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كلمه بالألسنة كلها قبل لسانه فطفق موسى يقول: يا رب، والله ما أفقه هذا. حتى كلمه آخر ذلك بلسان مثل صوته فقال موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: هذا يا رب كلامك؟ فقال الله عَزَّوَجَلَّ لو كلمتك كلامي لم تكن شيئًا. أو قال: لم تستقم له. قال: أي رب، فهل من خلقك شيء يشبه كلامك؟ قال: لا وأقرب خلقي شبهًا بكلامي أشد ما يسمع الناس من الصواعق».

ورواه الآجري في «الشريعة» (رقم ٦٨٩): (أخبرنا إبراهيم بن موسى الجوزي، ثنا يوسف بن موسى القطان، ثنا علي بن عاصم، عن الفضل بن عيسى الرقاشي، حدثني

محمد بن المنكدر، حدثني جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لما كلم **الله** عَزَّ وَجَلَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من الطور، كلمه بغير الكلام الذي كلمه به يوم ناداه، فقال له موسى: يا رب، هذا كلامك الذي كلمتني به؟ قال: يا موسى، إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولي قوة الألسنة كلها وأنا أقوى من ذلك).

ورواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (رقم ٦٢٨٦ - ٦٢٨٧) قال:(حدثنا أحمد بن منصور ابن بشار الرمادي، ثنا عبدالرزاق، أنبأ معمر، عن الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث، عن جزء بن جابر الخثعمي، عن كعب قال: إن الله تعالى لما كلم موسى بالألسنة كلها سوى كلامه، فقال له موسى: أي رب هذا كلامك؟ قال: لا، ولو كلمتك بكلامي لم تستقم له. قال: أي رب فهل من خلقك شيء يشبه كلامك؟ قال: لا. قال: وأشد خلقي شبها بكلامي أشد ما تسمعون من الصواعق. حدثنا أبي، ثنا عمرو بن الصلت، ثنا علي بن عاصم، عن الفضل بن عيسى الرقاشي، حدثني محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: لما كلم الله تعالى موسى يوم الطور كلمه بغير الكلام الذي كلمه يوم ناداه، فقال له موسى: يا رب هذا كلامك الذي كلمتني به؟ قال: لا يا موسى إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولي قوة الألسنة كلها، وأنا أقوى من ذلك، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل، قالوا: يا موسى، صف لنا كلام الرحمن. فقال: لا أستطيعه، قالوا: فشبه، قال ألم تروا إلى صوت الصواعق فإنها قريب منه وليس به).

ورواه ابن بطة في «الإبانة» باب الرد على الجهمية (رقم ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠): (حدثنا ابن مخلد قال: حدثنا عبدالله بن أيوب قال: حدثنا علي بن عاصم، قال: حدثنا الفضل ابن عيسى قال:حدثني محمد بن المنكدر قال: حدثنا جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لما كلم الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم الطور كلمه بغير الكلام الذي ناداه، قال موسى: يا رب هذا كلامك الذي كلمتني به؟ قال: يا موسى كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولي قوة الألسن كلها، وأنا قوي من ذلك. فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا: يا موسى صف لنا كلام الرحمن. قال: سبحان الله! إذًا لا أستطيع. قالوا: يا موسى فشبهه. قال: ألم تروا إلى أصوات الصواعق التي تقبل في أجلى جلاوة، وسمعتوه قط، فإنه قريب منه وليس به».

قال علي بن عاصم: فحدثت بهذا الحديث في مجلس الليثي، وفيه ختن سليمان بن علي، رجل من بني زهرة، فقال الزهري: حدثني ابن شهاب الزهري، عن كعب قال: قال له موسى: يا رب هذا كلامك؟ قال: يا موسى أنا أكلمك بقدر ما يستطيع بدنك احتماله،

ولو كلمتك بأشد من هذا لمت.

حدثنا إسماعيل بن محمد الصفار، قال: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، قال: حدثنا عبد الرزاق قال: حدثنا معمر، عن الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، عن جرير بن جابر الحمصي، عن كعب قال: إن الله تعالى لما كلم موسى وكلمه بالألسنة كلها سوى كلامه، فقال له موسى: أي رب هذا كلامك؟ قال: لا، ولو كلمتك بكلامي لم تستقم له. قال: يا رب فهل من خلقك شيء أشبه كلامك؟ قال: لا، وأشد شبهًا بكلامي أشد ما تسمعون من هذه الصواعق).

ورواه حرب الكرماني في «مسائله» (٣/ ١١٤٥) قال: (حدثنا الحسن بن الصباح، وعبد الرحمن بن محمد بن سلام، قالا: ثنا علي بن عاصم، قال: حدثنا الفضل بن عيسى الرقاشي قال: ثنا محمد بن المنكدر قال: سمعت جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لما كلم الله موسى يوم الطور كلمه بغير الكلام الذي كلمه به يوم ناجاه، فقال له موسى: هذا كلامك الذي كلمتني به؟ قال: يا موسى لقد كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولي قوة الألسنة كلها، وأنا أقوى من ذلك، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا: يا موسى صف لنا كلام الرحمن. قال: لا أستطيع. قالوا: ما يشبه؟ قال: ألم تروا إلى أصوات الصواعق التي تقبل بأحلى حلاوة سمعتموه! فإنه قريب منه، وليس به»).

ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢١٠) قال: (حدثنا عبد الله بن جعفر، ثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، ثنا يوسف القطان، ثنا علي بن عاصم، عن الفضل بن عيسى، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لما كلم الله تعالى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من الطور كلمه بغير الكلام الذي كلمه به يوم ناداه، فقال موسى: يا رب هذا كلامك الذي كلمتني به؟ قال: يا موسى إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولي قوة الألسنة كلها، فلما رجع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى بني إسرائيل قالوا له: صف لنا كلام الرحمن. قال: لا أستطيع، ألم تروا إلى أصوات الصواعق تقبل في أجلى جلاء يسمعونه! فإنه قريب منه وليس به». هذه الأحاديث مما تفرد بها الفضل عن محمد بن المنكدر، ولم يتابع عليه، وما رواه عنه أبو عاصم العباداني فمن مفاريده عن الفضل، واسمه عبد الله ابن عبيد الله المري بصري، سكن عبّادان، وفيه وفي الفضل ضعف ولين).

وقد أورده ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١١٣) وقال: (وهذا الحديث ليس بصحيح. قال أبوالسختياني: لو ولد الفضل أخرس كان خيرًا له. وقال ابن عيينة: الفضل بن عيسى لا شيء. وقال: هو رجل سوء قدري. قال: وعلي بن عاصم ليس

٢- عدم وجود أكثر هذه الاستدلالات الواردة في «الرد على الجهمية» للإمام أحمد في كتبه الأخرى، لا عند ابنه عبدالله كما في كتابه «السنة» وقد بث في ثناياه كتاب أبيه «الرد على الجهمية» ولا عند الخلال في كتابه «السنة» وهو أوسع كتاب تتبع كل رسائل الإمام عن أصحابه في مسائل الاعتقاد!

وكل حجج الإمام أحمد على الجهمية كان يقتصر فيها على الآية والحديث الصحيح وبيان وجه الاستدلال منهما، وقد نص في كتابه إلى أمير المؤمنين المتوكل العباسي على منهجه، وأنه لا يرى الجدل ولا الرأي ولا الخصومة، ولا يتجاوز ما ورد في الكتاب والسنة، وما ورد عن الصحابة والتابعين.

وسيأتي من كلامه عن القرآن، وأنه صفة لله، ومن علم الله - كما أورده ابنه عبدالله في «السنة» والخلال في «السنة» وهو متواتر عنه كما نقله عنه أصحابه - ما يتبين منه أسلوبه في البيان ومنهجه في الاستدلال، ما يؤكد عدم صحة نسبة الكتاب المطبوع باسم «الرد على الجهمية» وأنه ليس هو الكتاب الأصلي للإمام أحمد في «الرد على الجهمية»!

بشيء. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال يزيد بن هارون: مازلنا نعرفه بالكذب).

وقال البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣١): (فهذا حديث ضعيف؛ الفضل بن عيسى الرقاشي ضعيف الحديث، جرحه أحمد بن حنبل ومحمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُمَاٱللَّهُ وحديث كعب منقطع، وقد روي من وجه آخر موصولًا. وأما قول كعب الأحبار فإنه يحدث عن التوراة التي أخبر الله تعالى عن أهلها أنهم حرفوها وبدلوها، فليس من قوله ما يلزمنا توجيهه إذا لم يوافق أصول الدين. والله أعلم).

المبحث الثالث

في نصوص أحمد في «الرد على الجهمية» في المصادر الأخرى

وهنا لا بد من مقارنة نص «الرد على الجهمية» المطبوع المنسوب للإمام أحمد، مع نصوصه الأخرى التي تواترت عنه برواية أهل بيته؛ ابنيه عبدالله وصالح، وعمه إسحاق، وابن عمه حنبل بن إسحاق، وخاصة أصحابه كأبي بكر المروذي وغيرهم ممن روى عنه أقواله ورسائله وردوده على الجهمية في القضايا الثلاث التي هي موضوع «الرد على الجهمية» وهي:

١-قضية خلق القرآن وصفة الكلام.

٢-قضية الاستواء على العرش وصفة المعية.

٣-قضية رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة.

والتي يمكن من خلالها تصور لغة النص الأصلي للكتاب، وأسلوب مؤلفه، وما طرأ عليه من شروح تخالفه في الأسلوب، وإن وافقته في المضمون من حيث الجملة، لاستبعاد ما لا يتوافق مع مذهب الإمام في ترك الخوض في هذا الباب والوقوف مع النصوص حيث وقفت.

ومن ذلك:

١-ما رواه عبدالله بن أحمد:

قال عبدالله في كتابه «السنة» والمشهور أيضًا باسم «الرد على

الجهمية» والذي بوب أيضًا فيه باب (ما يحتج به على الجهمية) فقال في أول كتابه هذا:

(سمعت أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: من قال: القرآن مخلوق فهو عندنا كافر، لأن القرآن من علم الله عَزَّوَجَلَّ وفيه أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

سمعت أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إذا قال الرجل: العلم مخلوق، فهو كافر؛ لأنه يزعم أنه لم يكن له علم حتى خلقه!

سمعت أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: من قال: القرآن مخلوق، فهو عندنا كافر؛ لأن القرآن من علم الله عَزَّوَجَلَّ.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

قال أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والخلق غير الأمر.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ قال أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال سعيد ابن جبير: والأحزاب الملل كلها ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم

﴿بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۝٣٧﴾ [الرعد: ٣٦-٣٧])[١].

وقال عبدالله أيضًا:

(وجدت في كتاب أبي بخط يده: مما يحتج به على الجهمية من القرآن الكريم في سورة البقرة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤] إلخ)[٢].

وهذا النص من كتاب «السنة» لعبدالله بن أحمد، والمشهور أيضًا باسم «**الرد على الجهمية**» يبين بجلاء أسلوب الإمام أحمد ومنهجه في الاستدلال بالنصوص والاحتجاج بها على الجهمية، ولا يوجد فيها شيء مما ورد في كتاب «**الرد على الجهمية والزنادقة**» المنسوب للإمام أحمد الذي يروى من طريق الخضر عن عبدالله!

وكذا جاء في «السنة» لعبدالله بن أحمد (باب: مما جحدت الجهمية):

(حدثني أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ نا عبدالرحمن بن محمد المحاربي، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عبد الله: إذا تكلم الله عَزَّوَجَلَّ بالوحي سمع صوته أهل السماء فيخرون سجدًا، حتى إذا فزع عن قلوبهم - قال: سكن عن قلوبهم - نادى أهل السماء: ماذا قال ربكم؟ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الحق قال كذا وكذا..»)[٣].

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١/ ١٠٢ رقم ١ - ٣).

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢/ ٥١٢ رقم ١٢٠٢) وسيأتي هذا النص كاملاً في آخر فصل من هذا الكتاب، وفيه نحو ٣٠٠ آية.

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١/ ٢٨١ رقم ٥٣٦).

وقال: (حدثني أبي، ثنا عبد الرزاق، نا معمر، عن الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أخبرني جَزْءُ ابن جابر الخثعمي، أنه سمع كعبًا يقول: قال عبد الله: لما كلم الله موسى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كلمه بالألسنة كلها قبل لسانه، فطفق موسى يقول: يا رب والله ما أفقه هذا! حتى كلمه آخر ذلك بلسان مثل صوته، فقال موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: هذا يا رب كلامك؟ فقال الله عَزَّوَجَلَّ: لو كلمتك كلامي لم تكن شيئًا. **أو قال: لم تستقم له. قال: أي رب، فهل من خلقك شيء يشبه كلامك؟ قال: لا، وأقرب خلقي شبهًا بكلامي أشد ما يسمع الناس من الصواعق. والحديث على لفظ أبي، عن عبد الرزاق)**[١].

وقال: (حدثني محمد بن بكار، نا أبو معشر، عن محمد بن كعب قال: قالت بنو إسرائيل لموسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ**: بما شبهت صوت ربك** عَزَّوَجَلَّ **حين كلمك من هذا الخلق؟ قال: شبهت صوته بصوت الرعد حين لا يترجع)**[٢].

وقال: (حدثني محمد بن بكار، نا أبو معشر، عن أبي الحويرث قال: (إنما كلم الله عَزَّوَجَلَّ **موسى** عَلَيْهِٱلسَّلَامُ **بقدر ما يطيق موسى من كلامه، ولو تكلم بكلامه لم يطقه شيء)**[٣].

وقال: (حدثنا أبي، نا يحيى بن سعيد، عن ابن عجلان، سمعت أبي، عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **قال: «إِنَّ الله**

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١/ ٢٨٢ رقم ٥٣٩).
(٢) السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١/ ٢٨٤ رقم ٥٤٢).
(٣) السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١/ ٢٨٤ رقم ٥٤٤).

كتب على نفْسِهِ بِيدِهِ لمّا خلق الْخلْق: إِنّ رحْمتِي تغْلِبُ غضبِي»)[١].

وقال: (قرأت على أبي: نا إبراهيم بن الحكم بن أبان قال: حدثني أبي، عن عكرمة قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ لم يمس بيده شيئًا إلا ثلاثا: خلق آدم بيده، وغرس الجنة بيده، وكتب التوراة بيده)[٢].

وقال: (حدثني أبي، نا نوح بن ميمون قال: سمعت بكير ابن معروف أبا معاذ قاضي نيسابور، عن مقاتل بن حيان، عن الضحاك في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] قال: هو على العرش، وعلمه معهم)[٣].

وقال الخلال في «السنة»:

(أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي يُسأل عن الواقفة، قال أبي: من كان يخاصم ويعرف بالكلام فهو جهمي، ومن لم يعرف بالكلام يجانب حتى يرجع، ومن لم يكن له علم يسأل ويتعلم)[٤].

وقال: (وأخبرنا عبد الله قال: سمعت أبي مرة أخرى يُسأل عن الواقفة فقال: (من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي. وقال مرة أخرى: هو شر من الجهمية)[٥].

(١) السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١/ ٢٩٥ رقم ٥٧١).
(٢) السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١/ ٢٩٦ رقم ٥٧٣).
(٣) السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١/ ٣٠٤ رقم ٥٩٢).
(٤) السنة للخلال (٥/ ١٣٠ رقم ١٧٨٦).
(٥) السنة للخلال (٥/ ١٣٠ رقم ١٧٨٧)

وقال: (وأخبرنا عبد الله بن أحمد، في موضع آخر، قال: سمعت أبي يقول: من كان في أصحاب الحديث أو من أصحاب الكلام، فأمسك عن أن يقول: القرآن ليس بمخلوق، فهو جهمي)[١].

٢- ما رواه ابنه صالح بن أحمد:

وكذا روى صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه بعض رده على الجهمية، كما في «سيرة الإمام أحمد» قال:

(قال أبي: أسماء الله في القرآن، والقرآن من علم الله، وعلم الله ليس بمخلوق، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق على كل وجه، وعلى كل جهة، وعلى أي حال.

فقيل لأبي عبد الله: قوم يقولون: إذا قال الرجل: كلام الله ليس بمخلوق. يقولون: ما إمامك في هذا؟ ومن أين قلت: ليس بمخلوق؟

قال: الحجة قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١] فما جاءه غير القرآن.

قال: القرآن من علم الله، وعلم الله ليس بمخلوق، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق، ومثل هذا في القرآن كثير.

قيل له: يجزئ أن أقول: هذا قول جهم، وعلى كل حال هو كلام الله.

قال: نعم.

---

(١) السنة للخلال (٥/ ١٣٠ رقم ١٧٨٨)

قيل له: فأحد من العلماء قال: ليس بمخلوق؟

قال: جعفر بن محمد [الباقر].

قال صالح: فحدثني أبي، أملاه عليّ من كتابه، قال: حدثنا موسى بن داود قال: حدثنا أبو عبد الرحمن بن معبد، عن معاوية ابن عمار الدهني قال: قلنا لجعفر [الصادق]: إنهم يسألونا عن القرآن؛ أمخلوق هو؟ قال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله.

قال أبي: وقد رأيت معبدًا، وبلغني أنه كان يفتي برأي ابن أبي ليلى)[(١)].

وقال: (سمعت أبي يقول: افترقت الجهمية على ثلاثة فرق؛ فرقة قالوا: القرآن مخلوق، وفرقة قالوا: كلام الله، وتسكت، وفرقة قالوا: لفظنا بالقرآن مخلوق.

قال الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فجبريل سمعه من الله، وسمعه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ وسمعه أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من النبي، فالقرآن كلام الله غير مخلوق)[(٢)].

وذكر صالح رسالة أبيه إلى المتوكل وفيها:

(وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فأخبر بالخلق ثم قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ فأخبر أن الأمر غير مخلوق.

(١) سيرة الإمام أحمد، لابنه صالح (٦٩).

(٢) سيرة الإمام أحمد، لابنه صالح (٧٢).

وقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤] فأخبر تعالى أن القرآن من علمه.

وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ٣٧﴾ [الرعد: ٣٦].

فالقرآن من علم الله تعالى، وفي هذه الآيات دليل على أن الذي جاءه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو القرآن لقوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ وقد روى عن غير واحد، ممن مضى ممن سلفنا، أنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله ليس بمخلوق. وهو الذي أذهب إليه، لست بصاحب كلام، ولا أدري الكلام في شيء من هذا، إلا ما كان في كتاب الله أو حديث عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو عن أصحابه أو عن التابعين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود)[١].

٣- ما روى حنبل بن إسحاق عنه:

قال الخلال في «السنة»:

---

(١) سيرة الإمام أحمد، لابنه صالح (١٢٠).

(أخبرني عبيد الله بن حنبل قال: حدثني أبي حنبل قال: سمعت أبا عبد الله [الإمام أحمد] يقول: قال الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فجبريل سمعه من الله، وسمعه النبي من جبريل عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ وسمعه أصحاب النبي من النبي عَلَيْهِٱلسَّلَامُ والقرآن كلام الله غير مخلوق، ولا نشك ولا نرتاب فيه، وأسماء الله في القرآن وصفاته في القرآن من علم الله، وصفاته منه، فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر. والقرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. فقد كنا نهاب الكلام في هذا حتى أحدث هؤلاء ما أحدثوا وقالوا ما قالوا، ودعوا الناس إلى ما دعوهم إليه، فبان لنا أمرهم، وهو الكفر بالله العظيم.

ثم قال أبو عبد الله: لم يزل الله عالمًا متكلمًا، نعبد الله بصفاته غير محدودة ولا معلومة، إلا بما وصف بها نفسه: سميع، عليم، غفور، رحيم، عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب، فهذه صفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وصف بها نفسه، ولا تدفع ولا ترد، وهو على العرش بلا حد كما قال ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ كيف شاء.

والمشيئة إليه والاستطاعة له ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] لا يبلغ وصفه الواصفون وهو كما وصف نفسه.

نؤمن بالقرآن محكمه ومتشابهه ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ الآية [الأنعام: ٦٨] فنترك الجدال والمراء في القرآن، ولا نجادل ولا نماري

فيه، ونؤمن به كله، ونرده إلى عالمه؛ إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فهو أعلم به، منه بدأ وإليه يعود.

قال أبو عبد الله: وقال لي عبد الرحمن بن إسحاق: كان الله ولا قرآن؟

فقلت مجيبا: كان الله ولا علم؟

فالعلم من الله وله، وعلم الله منه، والعلم غير مخلوق، فمن قال إنه مخلوق فقد كفر بالله، وزعم أن الله مخلوق فهذا الكفر الصُّراح)[(١)].

وقال ابن ابن بطة في «الإبانة»:

(حدثنا أبو عمر حمزة بن القاسم، قال: حدثنا حنبل ابن إسحاق قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن الله لم يكلم موسى فهو كافر بالله، وكذّب بالقرآن، ورد على رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستتاب من هذه المقالة، فإن تاب وإلا ضربت عنقه)[(٢)].

وقال: (وسمعت أبا عبد الله قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] فأثبت الكلام لموسى كرامة منه لموسى، ثم قال بعد كلامه: ﴿تَكۡلِيمٗا﴾.

قلت لأبي عبد الله: يكلم عبده يوم القيامة؟

---

(١) السنة لأبي بكر الخلال (رقم ١٨٥٨).

(٢) الإبانة (٣/ ٣٢٣ رقم ٤٩٥).

قال: نعم، فمن يقضي بين الخلق إلا الله! يكلم الله عبده ويسأله، الله متكلم، لم يزل الله يأمر بما شاء ويحكم، وليس لله عدل ولا مثل، كيف شاء، وأنى شاء)[١].

وقال: (حدثنا أبو عمر حمزة بن القاسم الهاشمي قال: حدثنا حنبل قال: سمعت أبا عبد الله، وسئل عمن قال: الإيمان مخلوق، فقال: هذا كلامُ سوءٍ رديء، وأي شيء بقي والنبي ﷺ يقول: «الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله» فـ«لا إله إلا الله» مخلوق! من قال هذا فهو قول سوء، يدعو إلى كلام جهم، يحذّر عن صاحب هذا الكلام، ولا يجالس ولا يكلّم حتى يرجع ويتوب، وهذا عندي يدعو إلى كلام جهم.

الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله، و«لا إله إلا الله» مخلوق هو! قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾ [الحشر: ٢٣] فهذه صفاته وأسماؤه غير مخلوقة وصف الله بها نفسه، قال النبي ﷺ: «الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله» فمن قال: «لا إله إلا الله» مخلوق، فقد قال بقول الجهمية، يحذر عن صاحب هذه المقالة، وصفات الله وأسماؤه غير مخلوقة، وهذه من صفات الله تعالى، ولم يزل الله عالمًا، فمن قال: «لا إله إلا الله» مخلوق، فقد قال مقالة الجهمية)[٢].

---

(١) الإبانة (٣/ ٢٩٩ رقم ٤٦٩).
(٢) الإبانة (٣/ ٣٢٥ رقم ٤٩٧).

وروى حنبل بن إسحاق في «المحنة» عن أبيه:

(وقال أبو عبد الله: واحتججت عليهم فقلت: زعمتم أن الأخبار تردونها باختلاف أسانيدها، وما يدخلها من الوهم والضعف، فهذا القرآن نحن وأنتم مجمعون عليه، وليس بين أهل القبلة فيه خلاف، وهو الإجماع.

قال الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه تصديقًا منه لقول إبراهيم، غير دافع لمقالته ولا لما حكى عنه، فقال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢] فذم إبراهيم أباه أن عبد ما لا يسمع ولا يبصر، فهذا منكر عندكم!

فقالوا: شبّه، شبّه يا أمير المؤمنين!

فقلت: أليس هذا القرآن! هذا منكر عندكم مدفوع!

وهذه قصة موسى، قال الله عَزَّوَجَلَّ لموسى في كتابه حكاية عن نفسه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ [النساء: ١٦٤] فأثبت الله الكلام لموسى كرامة منه لموسى، ثم قال: يا موسى ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤] فتنكرون هذا! فيجوز أن تكون هذه الياء راجعة ترد على غير الله، أو يكون مخلوق يدعي الربوبية؟ وهل يجوز أن يقول هذا غير الله؟ وقال له: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ [النمل: ١٠] ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه: ١٢] فهذا كتاب الله يا أمير المؤمنين، فيجوز أن يقول لموسى: أنا ربك مخلوق؟ وموسى كان يعبد مخلوقًا؟ ومضى إلى فرعون برسالة مخلوق يا أمير المؤمنين؟

قال: فأمسكوا، وأداروا بينهم كلامًا لم أفهمه.

قال أبو عبد الله: والقوم يدفعون هذا وينكرونه، ما رأيت أحدًا طلب الكلام واشتهاه إلا أخرجه إلى أمر عظيم، لقد تكلموا بكلام، واحتجوا بشيء ما يقوى قلبي ولا ينطق لساني أن أحكيه، والقوم يرجعون إلى التعطيل في أقاويلهم، وينكرون الرؤية والآثار كلها، ما ظننت أنه هكذا حتى سمعت مقالاتهم.

قال أبو عبد الله: قيل لي يومئذ: كان الله ولا قرآن.

فقلت له: كان الله ولا علم؟

فأمسك، ولو زعم غير ذلك أن الله كان ولا علم لكفر بالله.

قال أبو عبد الله: وقلت له، يعني لابن الحجام: يا ويلك! لا يعلم حتى يكون، فعلمه وعلمك واحد، كفرت بالله عالم السر وأخفى، عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب، ويلك! يكون علمه مثل علمك، تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور!

قال أبو عبد الله: فهذه أليست مقالته!

قال أبو عبد الله: وهذا هو الكفر بالله، ما ظننت أن القوم هكذا.

لقد جعل برغوث يقول يومئذ: الجسم، وكذا، وكلام لا أفهمه!

فقلت: لا أعرف، ولا أدري ما هذا، إلا أنني أعلم أنه أحد

صمد، لا شبه له ولا عدل، وهو كما وصف نفسه. فيسكت عني.

قال: فقال لي شعيب: قال الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] أفليس كل مجعول مخلوقًا؟

قلت: فقد قال الله: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ [الأنبياء: ٥٨] أفخلقهم!

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل: ٥] أفخلقهم؟

أفكل مجعول مخلوق؟ كيف يكون مخلوقًا وقد كان قبل أن يخلق الجعْل؟ قال: فأمسك)[١].

وقال الخلال في باب (مقالة الجهمية وما افترقت عليه):

(أخبرني حنبل بن إسحاق بن حنبل، بواسط، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: الجهمية على ثلاث ضروب؛ فرقة قالوا: القرآن مخلوق. وفرقة قالوا: كلام الله. وتقف. وفرقة قالوا: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة. فهم عندي في المقالة واحد)[٢].

وروى حنبل عنه:

(سئل عن قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] قال: علمه، عالم بالغيب والشهادة، علمه محيط بالكل، وربنا على العرش، بلا حد ولا صفة، وسع كرسيه السماوات والأرض بعلمه)[٣].

---

(١) محنة الإمام أحمد، لحنبل بن إسحاق (١١١).

(٢) السنة للخلال (٥/ ١٢٥ رقم ١٧٧٨).

(٣) شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٤٤٦ رقم ٧٦٥).

٤-ما روى أبو بكر المروذي:

وقال الخلال أيضًا:

(وأخبرنا أبو بكر المروذي قال: سمعت أبا عبد الله يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: القرآن مخلوق، فهو كافر بالله واليوم الآخر، والحجة فيه: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ٦١] ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠] ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥] وقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧].

والذي جاء النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآنُ، والذي جاءه العلم غير مخلوق، والقرآن من العلم، وهو كلام الله.

وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن: ٣]

وقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فأخبر أنه خلق الخلق، والأمر غير الخلق، وهو كلام الله، وأن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يخْلُ من العلم.

وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] والذكر هو القرآن، وأن الله لم يخْلُ منها، ولم يزل الله متكلمًا عالمًا.

وقال في موضع آخر: وأن الله لم يخْلُ من العلم والكلام، وليسا من الخلق؛ لأنه لم يخْلُ منهما، فالقرآن من علم الله، وهو كلامه)[(١)].

---

(١) السنة للخلال (رقم ١٨٨٢).

وأخرج المروذي الفعل من الكلام.

وزاد المروذي عن أبي عبد الله قال: (وقال ابن عباس: أَوَّلُ ما خلق الله الْقلم، فقال لهُ: اكْتُبْ. قال: يا ربِّ، وما أَكْتُبُ؟ قال: اكْتُبْ القدر. فجرى بما هُو كائِنٌ مِنْ ذلِك الْيوْمِ إِلى قِيامِ السّاعةِ.

رواه الأعمش، عن أبي طبيان، عن ابن عباس.

وأبو الضحى، عن ابن عباس.

ورواه منصور بن زاذان، ورواه مجاهد، عن ابن عباس.

ورواه عروة بن عامر، عن ابن عباس.

وحدث به الحكم، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس: كان أول ما خلق الله عَزَّوَجَلَّ القلم.

وفي هاتين الآيتين الرد على الجهمية: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: ٢٢].

وقال: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥] وهؤلاء يقولون إنه مخلوق! وفي هذه الآيات أيضًا دليل على أن الذي جاء هو القرآن لقوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [البقرة: ١٤٥])[1].

وقال الخلال:

(وأخبرنا أبو بكر المروذي قال: سألت أبا عبد الله عمن وقف؛ لا يقول: غير مخلوق. قال: أنا أقول: كلام الله. قال: يقال

(١) السنة للخلال (رقم ١٨٨٢).

لـه: إن العلـماء يقولـون: غـير مخلـوق، فـإن أبـى فهـو جهمـي)[١].

وقال أبو بكر المروذي:

(سـمعت أبـا عبـد الله، وقيـل لـه: روى عـلي بـن الحسـن بـن شـقيق عـن ابـن المبـارك أنـه قيـل لـه: كيـف نعـرف الله؟ قـال: عـلى العـرش بحـدٍّ. فقـال: بلغنـي ذلـك عنـه. وأعجبـه، ثـم قـال أبـو عبـد الله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] ثـم قـال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

وقـال يوسـف بـن موسـى القطـان: قيـل لأبي عبـد الله: والله تعـالى فـوق السـماء السـابعة، عـلى عرشـه، بائـن مـن خلقـه، وقدرتـه وعلمـه بـكل مـكان. قـال: نعـم، عـلى عرشـه، لا يخلـو شيء مـن علمـه)[٢].

وقال الخلال أيضًا في «السنة»:

(أخبرنـا أبـو بكـر المـروذي قـال: هـذا مـا احتـج بـه أبـو عبـد الله عـلى الجهميـة في القـرآن، وكتبـه بخطـه وكتبتـه مـن كتابـه. فذكـر المـروذي آيـات كثـيرة دون مـا ذكـر الخـضر بـن أحمـد عـن عبـد الله، وقـال: وفيـه: سـمعت أبـا عبـد الله يقـول: في القـرآن عليهـم مـن الحجـج في غـير موضـع يعنـي الجهميـة.

وأخبرنـا الخـضر بـن أحمـد بـن المثنـى الكنـدي، قـال: سـمعت عبـد الله بـن أحمـد بـن حنبـل قـال: وجـدت هـذا الكتـاب بخـط أبي فيـما

(١) السنة للخلال (رقم ١٧٨٥).
(٢) الإبانة (٣/ ١٥٦).

يحتج به على الجهمية، وقد ألف الآيات إلى الآيات من السورة، وأول ما ذكر عبد الله:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا راحم، يا مالك، يا مِلِك، يا مليك، يا حي، يا قيوم، يا غفار، يا تواب، يا حكيم، يا عزيز، يا وهاب، يا ودود، يا محيط، يا فاطر، يا فاصل، يا فالق، يا مولى، يا بصير، يا واسع، يا قابض، يا باسط، يا محيي، يا مميت، يا مغيث، يا حسيب، يا رقيب، يا شهيد، يا برّ، يا علي، يا ولي، يا فتاح، يا منان، يا جواد، يا متين، يا قدوس، يا سلام، يا مؤمن، يا مهيمن، يا عزيز، يا جبار، يا متكبر، يا بارئ، يا مصور، يا من له الأسماء الحسنى، يا خير الحاسبين، يا أرحم الراحمين، يا أحكم الحاكمين، يا أحسن الخالقين، يا كبير، يا متعال، [يا علي: مكرر] يا عظيم، يا حليم، يا قيوم، يا ذا الطول لا إله إلا أنت، يا ذا الجلال والإكرام، يا قيوم، يا قائم على كل نفس بما كسبت، يا ذاري، يا رفيع، يا ماجد، [يا جواد: مكرر] يا مدبر، يا خير الرازقين، يا إله العالمين.

ثم ولّفت ما روى المروذي وعبد الله من ها هنا:

في سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢]

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥].

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥].

﴿مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٧٤]..)[١].

أخبرنا أحمد بن محمد بن الحجاج أبو بكر المروذي قال: أمرني أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل أن أكتب إلى رجل بلغه عنه الشك. قال: وكتبت ما يقوله وبينت ما جرى فيه[٢].

وأخبرنا قال: أمرني أبو عبد الله أن أكتب إلى محمد بن حمدون الأنطاكي مواعظ في بعض الكتاب. وكتبت الكتاب فعرضته عليه، فصححه بيده. قال: وكانت له معرفة بالحديث، وكان يحتاب أبي، فهو ذا:

أكتب أنا، وانظر ما عندك من المشيخة ممن قال القرآن: غير مخلوق، فصيّره معه واكتب به أنت إليه، اكتبها نسختين؛ فإني لا آمن إن لم يقبل أن يكتمها، واكتب إلى عيسى الفتاح نسخة، وإليه نسخة.

قال أبو بكر المروذي: وزاد أبو عبد الله فيه ونقص، ثم أمرني أن أوجه به إليه، وهذه نسخته:

(١) السنة للخلال (رقم ١٨٩٦).
(٢) السنة للخلال (رقم ١٨٩٩).

أحسن الله إلينا وإليك في الأمور كلها برحمته، وأعاذنا وإياك من الأهواء المردية والفتن المضلة بقدرته، ومنّ علينا وعليك بالتمسك بكتابه والعمل بطاعته.

الذي حملني على الكتاب إليك، وإن لم يجر بيني وبينك خلطة، ما أوجبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على المؤمنين من النصح بعضهم لبعض، وما رأيته من اغتمام أبي عبد الله بأمرك؛ للمكان الذي كنت فيه من قلبه، ومذهبك في اتباعك الآثار وتركك من خالفها ومجانبتهم.

بلغه عنك الشك في القرآن وأنك لا تقول: القرآن غير مخلوق.

وأبو عبد الله يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه من الله، ويحتج لذاك بغير شيء.

قال الله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠] ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧].

وقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩-٦٠]

وقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ الآية [البقرة: ١٤٥] فالقرآن من العلم الذي جاء.

وقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فأخبر أن الخلق غير الأمر.

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥].

وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وقال: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فأخبره أن أمره هو القول.

وفرق بين خلقه وأمره فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤].

وقال أبو ذر عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «عطائِي كلامٌ، وعذابِي كلامٌ»[(١)].

فأخبر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن الخلق يكون بكلامه، وفرق بين الخلق والأمر.

وقال ابن عباس: إنّ أوّل ما خلق اللهُ الْقلم، فقال لهُ: اكْتُبْ. فقال: يا ربِّ، وما أكْتُبُ؟ قال: اكْتُبْ القدر. فجرى بما هُو كائِنٌ إلى قِيامِ السّاعةِ.

ورواه الأعمش، عن أبي طبيان، عن ابن عباس.

ورواه وكيع، وأبو معاوية، والثوري، وشعبة، وحدث به عن الحكم، عن أبي ظبيان. رواه منصور بن زاذان. ورواه مجاهد عن ابن عباس. وعروة ابن عامر، عن ابن عباس. وأبو الضحى عن ابن عباس.

فكان أول ما خلق الله القلم.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة (رقم ٢٤٩٥) وحسنه.

فالله لم يَخْلُ من العلم والكلام، وليسا من الخلق؛ لأنه لم يَخْلُ منها. فالقرآن كلام الله، ومن علم الله، وليس بمخلوق، ولم يزل الله عالمًا متكلمًا.

وعند جماعة من العلماء أنهم قالوا: غير مخلوق.

فاتق الله وانظر لنفسك، فإن هذا أمر قد بان لأهل الإسلام أنه ضلالة، وأنه أحيا رأي جهم، وإنما يضلكم في هذه المقالة رجلان، وهما القائلان بها:

أحدهما قد عرف الناس أمره كيف كان، وأنه قد كان تجهم وصحب بشر المريسي، ثم جاء إلى الناس فأظهر تكفير الجهمية بالنفاق منه، عدو الله، لما رأى من الذلة، حتى إذا ظن أنه قد تمكن أظهرها ثانية.

وآخر قد عرف الناس جهله، وإن كان قد سمع الحديث فقد عرف أهل العلم بأنه ليس من أهل المعرفة بمعاني الأخبار، ولا بأحكامها، ولا بالتفقه فيها، ولا بالتمييز لضعيفها من قويها، وأنه صاحب لجاج وخفة وقلة فهم، بحمد الله ونعمته، وإلا فهل يشتبه أمر هؤلاء على أحد له في الله عَزَّوَجَلَّ نصيب.

إن قومًا قصدوا إلى جعل جهم وضِرار وأبي بكر الأصم وبشر المريسي رؤساء الضلالة والكفر، وإلى مثل عبد الله بن المبارك وابن عيينة ووكيع ويزيد بن هارون، فقالوا: هؤلاء وهؤلاء سواء، أحكامهم واحدة.

هؤلاء فيما أحدثوا من التكذيب بكتاب الله وقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ جحدوا كلام الله وصفاته وقالوا: إن أسماءه مخلوقة، فلم يثبتوا شيئًا، حتى قال حماد بن زيد: إنما يحاولون أنْ لا شيء في السماء. رواه عنه سليمان بن حرب. ورواه إبراهيم بن سعد. إنما يعبدون صنمًا. ورواه عنهم هارون بن معروف.

فسووا بينهم وبين الذين قاموا بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد بين الله لنا أمرهم بأئمتنا الذين أدركناهم وبما نقل إلينا الثقات عمن مضى من سلفنا، مثل جعفر بن محمد، وحماد بن زيد، وابن عيينة، وإبراهيم بن سعد، ووكيع، ويزيد ابن هارون، وابن المبارك، ويحيى بن عبد الرحمن، وأبو بكر بن عياش، وحفص، وابن إدريس، وخلق من خلق الله كثير، ممن أكفرهم وضللهم، فبين الله لنا بهم، وبما بين في كتابه، أنه متكلم عالم سميع بصير، كل هذه صفاته.

وقد بين ذلك أيضًا على لسان نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ أخبر أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم في القيامة ويكلمونه ويسائلهم ويضحك إليهم، وأنهم يعاينون ذلك منه وينظرون إليه ويسمعون منه، ولقد أكد ذلك فقال: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان ولا حاجب».

رواه أبو أسامة قال: ثنا الأعمش قال: ثنا خيثمة، عن عدي ابن حاتم قال: «ليس بينهم وبينه ترجمان».

وحدثناه الحكم بن موسى قال: ثنا عيسى بن يونس قال: ثنا الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان»[1].

وحدّثونا عن عبد الواحد أيضًا عن الأعمش.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يدنو المؤمن من الله عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة فيضع عليه كنفه فيقول: هل تعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: رب أعرف. فيقول: هل تعرف؟ فيقول رب أعرف. فيقول: أنا سترتها عليك في الدنيا وانا أغفرها لك اليوم».

حدثناه أبو المنهال الضرير [محمد بن منهال] قال: ثنا يزيد بن زريع قال: ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن صفوان بن محرز قال: بينا ذات يوم مع ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذ عرض له شيخ فقال له: يا بن عمر، هل سمعت من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النجوى شيئًا؟ قال: نعم، سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول. وذكر القصة، حتى قال عبد الله بن مسعود: وليس أحد إلا يخلو الله به.

حدثونا به عن شريك، عن هلال الوزان، عن عبد الله بن عكيم، عن عبد الله بن مسعود.

ثم ما بينه من الزيادة والدنو والقرب على قدر التسارع إلى الجماعات.

---

(١) السنة للخلال (رقم ١٨٩٩).

وفي ذلك من الأخبار أمر عظيم لا يجهلها أحد من أهل العلم، رد على أعداء الله المكذبة الرادة على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله أنهم يعاينون ذلك من ربهم ويسمعون.

ولقد قال محمد بن عبد الله بن نمير: من شك في القرآن فهو شر من الجهمية. وقال: هذا الوقف زندقة. ولقد أخبرني شيخ أنه سمع ابن عيينة يقول: القرآن خرج من الله.

وقد أخبرتك من ينصب في هذا الأمر، ويقوم به في تكفير من مضى لهم بيان ذلك، حتى تكلموا في استتابتهم ومواريثهم، ولو كان هذا الأمر الذي جاءت به الجهمية أمرًا يرتاب فيه أو يشك فيه لما وسع أهل العلم التكذيب به، ولا إخراج أهله من الحق، ولا إثبات ما جحدوه من صفات الله عَزَّوَجَلَّ وأسمائه وانتحالهم خلق القرآن، ولا جاز لهم مباينتهم إذا استتابوا بِشْرًا وأصحابه، ولوجب عليهم الإمساك عنهم وترك الرد عليهم والخلاف لهم، ولكنهم كانوا - والله أعلم - أعلم بالله وأشد في أمره في أن يشكُّوا فيما قد وضح لهم من الحق وبان لهم من الباطل.

فاتق الله وانظر لنفسك، فإني قد نصحتك، وأحببت لك ما أحببت لنفسي، ودعوتك إلى ما عليه شيخ الإسلام أبو عبد الله وأهل العلم قبلنا، وما عليه أهل الثغور، وانقدْ للحق وتواضع عليه وعظِّم أمره وبيِّن ذلك واكشفه، فإني أرجو أن يُقبِل الله عَزَّوَجَلَّ إليك بقلوب المؤمنين، ويشرح صدرك بالذي شرح به صدورهم،

إذا علم منك الصدق والتواضع والاستكانة والتضرع إليه.

فإن كان قوم قد نازعوك هذا وأنكروه عليك، فألن لهم جانبك وتواضع للحق وألِّفهم وبيِّن ذلك، فقد كان من ابن عُليّة كلام في نبله ومجالسته أيوب ويونس وابن عون والتيمي، فما منعه ذلك أن كشفه على رؤوس الناس ورجع عنه فرفعه الله بذلك.

فإن الله عَزَّوَجَلَّ كافيك ما تحذر، فإني قد رأيت أبا عبد الله يحب أن يوفقك الله، ورأيته معنيًّا بأمرك، يحب أن يسددك الله للذي أجمع عليه أصحابك من أهل السنة وأهل الحديث، فإن هذا عنده مثل رأي الجهمية.

عصمنا الله وإياك، وبالله التوفيق، وجمع لنا ولك خير الدنيا والآخرة.

وقد بلغني أن زكريا أظهر كتابًا بحضرتك، حكى فيه حكايات في الوقف عن مشيخة عرفها الناس عندنا أنها كذب.

قال أبو بكر المروذي: هذا آخر الكتاب الذي سطر أبو عبد الله فيه، وصححه بخطه)[١].

وقال الخلال في باب (مقالة الجهمية وما افترقت عليه):

(أخبرنا أبو بكر المروذي قال: سمعت أبا عبد الله يقول: افترقت الجهمية على ثلاث فرق؛ الذين قالوا: مخلوق. والذين شكُّوا. والذين قالوا: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة. فقال أبو عبد الله:

---

(١) السنة للخلال (رقم ١٨٩٩).

ولا نقول: هؤلاء واقفة، نقول: هؤلاء شكاكة)[١].

وقال الخلال في باب (مقالة الجهمية وما افترقت عليه):

(أخبرني أحمد بن أصرم المزني قال: حدثني أحمد بن حازم، أنه سمع أبا عبد الله [أحمد بن حنبل].

وأخبرني أحمد بن يحيى الصفار قال: سمعت الحسن بن البزار قال: قال أبو عبد الله.

وأخبرني محمد بن علي قال: ثنا صالح بن أحمد، قال: سمعت أبي - والمعنى واحد - يقول: افترقت الجهمية على ثلاث فرق؛ فرقة قالوا: القرآن مخلوق. وفرقة قالوا: كلام الله، ونسكت. وفرقة قالوا: ألفاظنا مخلوقة.

زاد صالح بن أحمد عن أبيه قال: وقال الله في كتابه: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فجبريل سمعه من الله عَزَّوَجَلَّ وسمعه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جبريل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسمعه أصحاب النبي من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالقرآن كلام الله غير مخلوق)[٢].

وهؤلاء جميعًا كما يظهر من سياق رواياتهم يروُون عن أحمد نصًّا من كتاب «الرد على الجهمية».

وقال الخلال:

(وأخبرني محمد بن أحمد بن جامع الرازي قال: سمعت

---

(١) السنة للخلال (٥/ ١٢٥ رقم ١٧٧٧).

(٢) السنة للخلال (٥/ ١٢٦ رقم ١٧٧٩).

محمد بن مسلم أن أبا عبد الله قيل له: فالواقفة؟ قال: أما من كان لا يعقل فإنه يبصّر، وإن كان يعقل ويبصر الكلام فهو مثلهم. قال: والقرآن حيثما تصرف كلام الله غير مخلوق)[1].

وقال الخلال أيضًا:

(وأخبرني علي بن عيسى أن حنبلًا حدثهم قال: قلت لأبي عبدالله: إن يعقوب بن شيبة وزكريا الشركي بن عمار أنهما إنما أخذا عنك هذا الأمر الوقف!

فقال أبو عبد الله: كنا نأمر بالسكوت، ونترك الخوض في الكلام، وفي القرآن، فلما دُعِينا إلى أمرٍ ما كان بُدٌّ لنا من أن ندفع ذاك ونبين من أمره ما ينبغي.

قلت لأبي عبد الله: فمن وقف فقال: لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق؟

فقال: كلام سوء، هو ذا موضع السوء وقوفه، كيف لا يعلم! إما حلال وإما حرام، إما هكذا وإما هكذا، قد نزه الله عَزَّوَجَلَّ القرآن عن أن يكون مخلوقًا، وإنما يرجعون هؤلاء إلى أن يقولوا إنه مخلوق، فاستحسنوا لأنفسهم فأظهروا الوقف. القرآن كلام الله، غير مخلوق، بكل جهة، وعلى كل تصريف.

قلت: رضي الله عنك، لقد بينت من هذا الأمر ما قد كان تلبس على الناس.

---

(١) السنة للخلال (٥/ ١٣١ رقم ١٧٩٠).

قال: لا تجالسهم، ولا تكلم أحدًا منهم)[١].

٥- ما روى أبو داود السجستاني عنه:

وقال أبو داود في مسائله:

(ثنا أحمد قال: ثنا نوح بن ميمون قال: ثنا بكير بن معروف، عن مقاتل ابن حيان، عن الضحاك، في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] قال: هو على العرش، وعلمه معهم)[٢].

٦- ما روى أبو طالب عنه:

وقال أبو طالب، كما عند ابن بطة في «الإبانة» في الرد على الجهمية:

(سألت أبا عبدالله عن رجل قال: إن الله معنا. وتلا هذه الآية: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ قال أبو عبد الله: قد تجهّم هذا! يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ العلم معهم. وقال في ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]: فعلمه معهم)[٣].

٧- ما روى أبو بكر الأثرم وجماعة من أصحاب أحمد عنه:

قال الخلال:

---

(١) السنة للخلال (٥/ ١٣٤ رقم ١٧٩٧).

(٢) مسائل أبي داود (رقم ١٦٩٨).

(٣) الإبانة (٣/ ١٥٩).

(وأخبرنا محمد بن علي قال: ثنا أبو بكر الأثرم قال: أتينا أبا عبدالله أنا والعباس بن عبد العظيم، فقال لنا العباس.

وأخبرني موسى بن سهل قال: ثنا محمد بن أحمد الأسدي قال: حدثني إبراهيم بن الحارث العبادي قال: قمت من عند أبي عبد الله، فأتيت عباسًا العنبري، فأخبرته بما تكلم أبو عبد الله في أمر ابن معذل، فسُرّ به ولبس ثيابه، ومعه أبو بكر ابن هانئ، فدخل على أبي عبد الله، فابتدأ عباس فقال: يا أبا عبد الله، قوم هاهنا حدثوا يقولون: لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق؟

قال: هؤلاء أضر من الجهمية على الناس! ويلكم! فإن لم تقولوا ليس بمخلوق، فقولوا مخلوق.

فقال أبو عبد الله: كلام سوء.

فقال العباس: ما تقول يا أبا عبدالله؟

فقال: الذي أعتقده وأذهب إليه ولا أشك فيه أن القرآن غير مخلوق.

ثم قال: سبحان الله! ومن يشك في هذا!

ثم تكلم أبو عبد الله استعظامًا للشك في ذلك فقال: سبحان الله! في هذا شك! قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ففرّق بين الخلق والأمر.

قال أبو عبد الله: فالقرآن من علم الله، ألا تراه يقول: ﴿عَلَّمَ

ﭐلْقُرْءَانَ ﴾ [الرحمن: ٢] والقرآن فيه أسماء الله عَزَّوَجَلَّ! أي شيء تقولون! ألا تقولون إن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ غير مخلوقة! من زعم أن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ مخلوقة فقد كفر، لم يزل الله عَزَّوَجَلَّ قديرًا عليمًا عزيزًا حكيمًا سميعًا بصيرًا، لسنا نشك أن أسماء الله ليست بمخلوقة، ولسنا نشك أن علم الله عَزَّوَجَلَّ ليس بمخلوق، وهو كلام الله عَزَّوَجَلَّ ولم يزل الله عَزَّوَجَلَّ حكيمًا.

ثم قال أبو عبد الله: وأي كفر أبين من هذا! وأي كفر أكفر من هذا! إذا زعموا أن القرآن مخلوق فقد زعموا أن أسماء الله مخلوقة، وأن علم الله مخلوق، ولكن الناس يتهاونون بهذا ويقولون: إنما يقولون القرآن مخلوق، فيتهاونون ويظنون أنه هين ولا يدرون ما فيه من الكفر.

قال: فأنا أكره أن أبوح بهذا لكل أحد، وهم يسألوني، فأقول: إني أكره الكلام في هذا، فبلغني أنهم يدّعون علي أني أمسك.

قلت لأبي عبد الله: فمن قال القرآن مخلوق فقال: لا أقول أسماء الله مخلوقة ولا علمه، ولم يزد على هذا، أقول: هو كافر؟

فقال: هكذا هو عندنا.

قال أبو عبد الله: نحن نحتاج أن نشك في هذا! القرآن عندنا فيه أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وهو من علم الله، من قال مخلوق فهو عندنا كافر.

ثم قال أبو عبد الله: بلغني أن أبا خالد وموسى بن منصور

وغيرهم يجلسون في ذلك الجانب، فيعيبون قولنا ويدعون إلى هذا القول؛ ألا يقال: مخلوق ولا غير مخلوق، ويعيبون من يكفّر، ويزعمون أنا نقول بقول الخوارج. ثم تبسم أبو عبد الله كالمغتاظ ثم قال: هؤلاء قوم سوء!

ثم قال أبو عبد الله للعباس: وذاك السجستاني الذي عندكم بالبصرة، ذاك خبيث، بلغني أنه قد وضع في هذا يومًا يقول: لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق، وذاك خبيث، ذاك الأحول.

فقال العباس: كان يقول مرة بقول جهم، ثم صار إلى أن يقول هذا القول.

فقال أبو عبد الله: ما يعني أنه كان يقول بقول جهم إلا الشفاعة)[١].

وقال الخلال:

(وأخبرني محمد بن أبي هارون ومحمد بن جعفر، أن أبا الحارث حدثهم قال: سمعت أبا عبد الله يقول: قول ابن عباس حجة عليهم «أول ما خلق الله القلم» وكلام الله قبل أن يخلق القلم)[٢].

وقال ابن بطة في «الإبانة»:

(وحدثني أبو صالح محمد بن أحمد قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن داود قال: حدثنا أبو الحارث أنه سمع أبا عبد الله قال:

(١) السنة للخلال (٥/ ١٣٧ رقم ١٨٠٤).
(٢) السنة للخلال (رقم ١٨٨٣).

إذا قال إن الله لم يكلم موسى فقد كفر بقول الله تعالى في كتابه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] وهو يقول: لم يكلمه، يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان» فمن زعم أن الله ليس بمتكلم فقد رد القرآن، ومن رد آية من كتاب الله فقد كفر.

وأخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد القصباني، عن أبي بكر أحمد ابن هارون قال: حدثني عبد الملك الميموني أنه سمع أبا عبد الله يقول فيمن قال: إن الله لم يكلم موسى، قال: كافر لا شك فيه)[١].

٨- ما روى البخاري والحربي وغيره من الأئمة عنه:

وكذا نقل بعض كلام الإمام أحمد في الرد على الجهمية الإمامُ البخاري في كتابه «خلق أفعال العباد» في الرد على من اختلفوا من أصحاب أحمد في الرواية عنه قوله في اللفظ بالقرآن، قال:

(فأما ما احتج به الفريقان لمذهب أحمد ويدّعيه كلّ لنفسه فليس بثابت كثير من أخبارهم، وربما لم يفهموا دقة مذهبه، بل المعروف عن أحمد وأهل العلم أن كلام الله غير مخلوق، وما سواه مخلوق، وأنهم كرهوا البحث والتنقيب عن الأشياء الغامضة، وتجنبوا أهل الكلام والخوض والتنازع، إلا فيما جاء فيه العلم، وبيّنه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ)[٢].

---

(١) الإبانة (٣/ ٣٢١ رقم ٤٩٧ - ٤٩٨).
(٢) خلق أفعال العباد (٦٢).

وقال إبراهيم الحربي في رسالته:

(كنت جالسًا عند أحمد بن حنبل، إذ جاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله، إن عندنا قومًا يقولون إن ألفاظهم بالقرآن مخلوقة؟

فقال أحمد بن حنبل: يتوجه العبد بالقرآن إلى الله لخمسة أوجه كلها غير مخلوقة: حفظ بقلب، وتلاوة بلسان، وسمع بآذان، ونظر ببصر، وخط بيد، فالقلب مخلوق والمحفوظ غير مخلوق، والتلاوة مخلوقة والمتلو غير مخلوق، والنظر مخلوق والمنظور إليه غير مخلوق)[١].

روى عبدوس العطار عن الإمام أحمد في رسالة «أصول السنة»:

(والقرآن كلام الله وليس بمخلوق، ولا يصح أن يقول: ليس بمخلوق، فإن كلام الله ليس ببائن منه، وليس منه شيء مخلوقًا. وإياك ومناظرة من أخذل فيه، ومن قال باللفظ وغيره، ومن وقف فيه فقال: لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق، وإنما هو كلام الله! فهذا صاحب بدعة، مثل من قال: هو مخلوق. وإنما هو كلام الله ليس بمخلوق، والإيمان بالرؤية يوم القيامة، كما روي عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأحاديث الصحاح)[٢].

وكذا نقل غير أصحاب الإمام أحمد عنه بعض نصوص من كتابه «الرد على الجهمية» منهم ابن جرير الطبري في «صريح

(١) رسالة في أن القرآن غير مخلوق (٣٢).

(٢) أصول السنة (٢٢).

السنة» حيث قال:

(فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: اللفظية جهمية؛ لقول الله جل اسمه: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فممّن يسمع!

ثم سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يذكرون عنه أنه كان يقول: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي، ومن قال: هو غير مخلوق، فهو مبتدع)[(١)].

وكما نقله أبو الحسن الأشعري في «الإبانة»:

(قال أبو عبدالله [أحمد بن حنبل]: والقرآن علم الله، ألا تراه يقول: ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الرحمن: ٢] والقرآن فيه أسماء الله عَزَّوَجَلَّ أي شيء يقولون! ألا يقولون: إن أسماء الله غير مخلوقة، لم يزل الله قديرًا عليمًا عزيزًا حكيمًا سميعًا بصيرًا، لسنا نشك أن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ غير مخلوقة، لسنا نشك أن علم الله عَزَّوَجَلَّ غير مخلوق، فالقرآن من علم الله، وفيه أسماء الله، فلا نشك أنه غير مخلوق، وهو كلام الله عَزَّوَجَلَّ ولم يزل به متكلمًا.

ثم قال: وأي كفر أشد من هذا! وأي كفر أشر من هذا! إذا زعموا أن القرآن مخلوق فقد زعموا أن أسماء الله مخلوقة، وأن علم الله مخلوق، ولكن الناس يتهاونون بهذا ويقولون: إنما يقولون القرآن مخلوق، ويتهاونون به ويظنون أنه هين! ولا يدرون ما فيه

(١) صريح السنة (٢٦ رقم ٣١ - ٣٢).

وهـو الكفـر! وأنـا أكـره أن أبـوح بهـذا لـكل أحـد، وهـم يسـألون، وأنـا أكـره الـكلام في هـذا، فبلغنـي أنهـم يدّعـون أني أُمسِـك... وروى وكيـع، عـن الأعمـش، عـن خيثمـة، عـن عـدى بـن حاتـم قـال: قـال رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «مـا منكـم مـن أحـد إلا سـيكلمه ربـه ليـس بينـه وبينـه ترجمـان»..)[1].

٩- ما روى عبد الواحد التميمي عنه:

وقـال أبـو الفضـل عبـد الواحـد بـن عبدالعزيـز التميمـي (المتـوفى سـنة ٤١٠هــ) في «اعتقـاد أحمـد» وليـس هـو نـص أحمـد، بـل مذهبـه الاعتقـادي كـما رواه التميمـي:

(وكان يقـول: إن لله تعـالى علـمًا، وهـو عـالم بعلـم؛ لقولـه تعـالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] وبقولــه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وذلـك في القـرآن كثـير، وقـد بينـه الله عَزَّوَجَلَّ بيانًا شـافيًا بقوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦] وقـال: ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ١٤] وقـال: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖ﴾ [الأعراف: ٧] وهـذا يـدل عـلى أنـه عـالم بعلـم، وأن علمـه بخـلاف العلـوم المحدثـة...

وكان يقـول: إن لله تعـالى قـدرة، وهـي صفـة في ذاتـه، وأنـه ليـس بعاجـز، ولا ضعيـف؛ لقولـه: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [هود: ٤] وقولـه تعـالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الأنعام: ٦٥] وبقولــه: ﴿فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣] وبقولــه تعــالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾

(١) الإبانة للأشعري (١/ ٨٨ - ٩٢).

[فصلت: ١٥] وبقوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] فهو قدير وقادر، وعليم وعالم، ولا يجوز أن يكون قديرًا ولا قدرة له، ولا يجوز أن يكون عليمًا ولا علم له.

وكان يقول: إن الله تعالى لم يزل مريدًا، والإرادة صفة له في ذاته، خالف بها من لا إرادة له، والإرادة صفة مدح وثناء؛ لأن كل ذات لا تريد ما تعلم أنه كائن فهي منقوصة، والله تعالى مريد لكل ما علم أنه كائن، وليست كإرادات الخلق، وقد أثبت ذلك لنفسه فقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فلو كانت إرادته مخلوقة كانت مرادة بإرادة أخرى، وهذا ما لا يتناهى، وذلك في القرآن كثير، وقد دلت العبرة على أن من لا إرادة له فهو مكره.

وكان يقول: إن لله عَزَّوَجَلَّ كلامًا هو به متكلم، وذلك صفة له في ذاته خالف بها الخرس والبكم والسكوت وامتدح بها نفسه، فقال عَزَّوَجَلَّ في الذين اتخذوا العجل: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨] فعابهم لما عبدوا إلهًا لا يتكلم ولا كلام له، فلو كان إلهنا لا يتكلم ولا كلام له رجع العيب عليه، وسقطت حجته على الذين اتخذوا العجل من الوجه الذي احتج عليهم به، ويزيد ذلك أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّب أباه بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢].

وحكى عن ابن مسعود وابن عباس أنهما فسّرا قوله: ﴿قُرْءَانًا

عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٢٨] قالا: غير مخلوق.

وكان يقول: إن القرآن كيف تصرف غير مخلوق، وأن الله تعالى تكلم بالصوت والحرف.

وكان يقول: إن الله عَزَّوَجَلَّ مستو على العرش المجيد. وحكى جماعة عنه أن الاستواء من صفات الفعل، وحكى جماعة عنه أنه كان يقول: إن الاستواء من صفات الذات. وكان يقول في معنى الاستواء: هو العلو والارتفاع، ولم يزل الله تعالى عاليًا رفيعًا قبل أن يخلق عرشه، فهو فوق كل شيء، والعالي على كل شيء، وإنما خص الله العرش لمعنى فيه مخالف لسائر الأشياء، والعرش أفضل الأشياء وأرفعها، فامتدح الله نفسه بأنه على العرش استوى، أي عليه علا، ولا يجوز أن يقال: استوى بمماسة ولا بملاقاة، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، والله تعالى لم يلحقه تغير ولا تبدل، ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش.

وكان ينكر على من يقول إن الله في كل مكان بذاته؛ لأن الأمكنة كلها محدودة.

وحكي عن عبد الرحمن بن مهدي عن مالك: إن الله تعالى مستو على عرشه المجيد كما أخبر، وأن علمه في كل مكان، ولا يخلو شيء من علمه. وعظُم عليه الكلام في هذا واستبشعه.

فهو سبحانه عالم بالأشياء، مدبر لها من غير مخالطة ولا مواجلة، بل هو العالي عليها، منفرد عنها، وقرأ أحمد بن حنبل

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] وقرأ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] وقرأ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥] وقرأ: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقرأ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾ [النحل: ٥٠].

وذهب أحمد بن حنبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى أن الله عَزَّ وَجَلَّ يغضب ويرضى، وأن له غضبًا ورضًا، وقرأ أحمد قوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١] فأضاف الغضب إلى نفسه، وقال: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥] قال ابن عباس: يعني أغضبونا. وقوله أيضًا: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣] ومثل ذلك في القرآن كثير...

وذهب إلى أن لله نفسًا، وقرأ أحمد بن حنبل: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] وقال: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١] وليست كنفس العباد التي هي متحركة متصعدة مترددة في أبدانهم، بل هي صفة له في ذاته خالف بها النفوس المنفوسة المجعولة، ففارق الأموات، وحكى في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] قال: تعلم ما في النفس المخلوقة، ولا أعلم ما في نفسك الملكوتية.

وكان يذهب إلى أن الله تعالى يُرى في الآخرة بالأبصار، وقرأ:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] ولو لم يُرِد النظر بالعين ما قرنه بالوجه، وأنكر نظر التعطف والرحمة؛ لأن الخلق لا يتعطفون على الله تعالى ولا يرحمونه، وأنكر الانتظار من أجل ذكر الوجه، ومن أجل أنه تبعيض وتكرير، ولأنه أدخل فيه «إلى» وإذا دخلت «إلى» فسد الانتظار، قال الله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [يس: ٤٩] وقال: ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥] فلما أراد الانتظار لم يدخل «إلى» وروى الحديث المشهور في قوله: «ترَوْن ربكم...» إلى آخره.

وعظُم عليه الكلام في الاسم والمسمى، وتكلم أصحابه في ذلك، فمنهم من قال: الاسم للمسمى، ومنهم من قال: الاسم هو المسمى، والقول الأول قول جعفر بن محمد، والقول الثاني قول جماعة من متكلمي أصحاب الحديث، والذين طلبوا السلامة أمسكوا وقالوا: لا نعلم)[١].

فلم يذكر التميمي - مع أنه متأخر في وفاته عن ابن بطة - شيئًا مما ورد في «الرد على الجهمية» المطبوع المنسوب للإمام أحمد!

---

(١) اعتقاد أحمد للتميمي (١٠٤).

المبحث الرابع

فيما لم يوجد في كتاب ابن بطة «الإبانة» مما ورد في كتاب أحمد «الرد على الجهمية»

فإذا ثبت أن جل ما ورد في كتاب «الرد على الجهمية» المنسوب للإمام أحمد هو مختصر بتصرف من كتاب ابن بطة «الإبانة» باب الرد على الجهمية فيما تأولوه من متشابه القرآن، بألفاظه وحروفه، أو معناه وفحواه، فإن في كتاب أحمد المنسوب له خطأً بعض النصوص ليست في «الإبانة» فيحتمل أنها سقطت من الأصول المخطوطة لكتاب «الإبانة».

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في باب (ما تأولت الجهمية في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾ [الحديد: ٣]) في كتاب الإمام أحمد[١] وفيه الرد على قول الجهمية بفناء الجنة والنار، فقد سقط من «الإبانة» المطبوع، بدليل قول ابن بطة:

(وزعموا أن الجنة تفنى وتبيد ويزول نعيمها، وأن النار تزول وينقطع عذابها، ردًّا لما نص الله عليه في كتابه من الآيات التي تكثر على الإحصاء من دوام الدارين وبقاء أهلها فيهما، مثل قوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥] وكل ذلك يأتي ذكره في مواضعه وأبوابه)[٢].

فقد نص ابن بطة على هذه المسألة وجوابها في بابها، إلا أنه لا وجود لها في المطبوع منه في بابها!

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (ص ٣٢٥).
(٢) الإبانة (٣/ ١٣٣).

ومثله باب (بيان ما ذكر الله في القرآن: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾) في كتاب أحمد[١] في تأويل آيات المعية، فليست في «الإبانة» المطبوع، مع أنه مبثوث في تفسير مقاتل، فلا يبعد أن يكون في كتاب مقاتل المفقود «متشابه القرآن».

وقد جاء عند أحمد في تفسير ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] يقول: في الدفع عنكما[٢]. وهو كذلك في تفسير مقاتل: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ في الدفع عنكما[٣].

وعند أحمد في تفسير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] يقول: في الدفع عنا[٤]. وهو كذلك في تفسير مقاتل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ في الدفع عنا، وذلك حين خاف[٥].

وكذا ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩] فعند أحمد ومقاتل: في النصر لهم على عدوهم[٦]. وهو في الأصل من تفسير سعيد بن جبير وابن عباس.

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (ص ٣٠٧).
(٢) الرد على الجهمية والزنادقة (ص ١٥٨).
(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٢٨).
(٤) الرد على الجهمية والزنادقة (ص ١٥٨).
(٥) تفسير مقاتل (٢/ ١٧١).
(٦) الرد على الجهمية والزنادقة (ص ١٥٨) تفسير مقاتل (١/ ٢٠٩).

المبحث الخامس

إعادة إخراج النص الأصلي لكتاب «الرد على الجهمية» للإمام أحمد

بعد استخراج النصوص المبثوثة للإمام أحمد في رده على الجهمية، ومعرفة موضوعها، وتبين أسلوبه فيها، ومنهجه في المحاجّة بالنصوص، وتمييز كلامه من كلام غيره من شراح مذهبه العقائدي، وأشهرهم ابنه عبدالله في كتابه «السنة» والخلال في «السنة» وابن بطة العكبري في «الإبانة» - أمكن إعادة إخراج الكتاب في صورة أقرب للأصل، مع ملاحظة أن الإمام أحمد، كما يبدو، كان يُقرأ عليه هذا الكتاب، ويُسأل أثناء القراءة، ويجيب عن الأسئلة، فيحفظ أصحابه إجاباته وزياداته في نسخهم، فتختلف النسخ في بداياتها، وقد بدأت تستقر في نسخة ابنه صالح والمروذي والبزار وابن حازم، حيث اتفقوا جميعًا على لفظ واحد في بيان أقسام الجهمية، وهي إضافة مهمة يناسب البدء بها في كتاب في الرد عليهم.

ولم يسم الإمام أحمد كتابه بهذا الاسم، وإنما اشتهر به لموضوعه، وقد كان يعرف أيضًا باسم «رسالة في القرآن» كتبها في مجلسه، لا محبسه، كما وقع في بعض النسخ المخطوطة، أملاها على ابنه صالح، ثم أرسلها للوزير عبيدالله بن يحيى بن خاقان، فرغب الوزير بزيادة الدعاء للخليفة المتوكل في أولها، فزادوه، ثم أملاها الإمام أحمد ثانية على ولده عبدالله، فكان كل منهما يقول: «أملى عليّ أبي» وكلاهما صادق.

وقد قال صالح بن أحمد في مسائله:

(كتب عبيد الله بن يحيى إلى أبي، رحمة الله عليه، يخبره: إن أمير المؤمنين أمرني أن أكتب إليك أسألك عن أمر القرآن، لا مسألة امتحان ولكن مسألة معرفة وبصيرة. فأملى علي أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إلى عبيدالله: أحسن الله عاقبتك - أبا الحسن - في الأمور كلها، ودفع عنك مكاره الدنيا والآخرة برحمته، قد كتبت إليك - رضي الله عنك - بالذي سأل عنه أمير المؤمنين بأمر القرآن، بما حضرني)[1].

فقوله (بما حضرني) هو معنى قول صالح (كتبه في مجلسه) وقوله (بأمر القرآن) يعني ادعاء الجهمية أنه مخلوق، وهي القضية الرئيسة في الكتاب.

ورواه أيضًا عبد الله بن أحمد في «السنة» فقال:

(نحن كتبنا الصدر وقرأنا عليه، قال أبو عبدالرحمن [عبد الله ابن أحمد]:

وكان قال لنا الشيخ [الإمام أحمد]: اذهبوا بهذا الكتاب إلى أبي علي [الوزير عبيدالله] بن يحيى بن خاقان، وكان هو الرسول، فاقرأوه عليه، فإن أمركم أن تنقصوا منه شيئًا فانقصوا له، وإن زاد شيئًا فردوه إليّ حتى أعرف ذلك. فقرأته عليه [على الوزير] فقال:

(١) مسائل الإمام أحمد، لابنه صالح (٢/ ٤١٩ رقم ١١٠٤).

ورواه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٢١٦) من طريق صالح ومن طريق عبد الله، كليهما عن أبيهما، به، وقال فيه: (فنفى الله بأمير المؤمنين كل بدعة، وانجلى عن الناس ... فصرف الله ذلك كله، وذهب به أمير المؤمنين، ووقع ذلك من المسلمين موقعًا عظيمًا).

يحتاج أن يُزاد فيه دعاء للخليفة، فإنه يُسرّ بذلك. فزدنا فيه هذا الدعاء.

كتب عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى أبي يخبره: إن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه - يعني المتوكل - أمرني أن أكتب إليك أسألك عن أمر القرآن، لا مسألة امتحان ولكن مسألة معرفة وبصيرة.

وأملى عليّ أبي:

إلى عبيد الله بن يحيى: أحسن الله عاقبتك - أبا الحسن - في الأمور كلها، ودفع عنك مكاره الدنيا والآخرة برحمته، فقد كتبت إليك، رضي الله عنك، بالذي سأل عنه أمير المؤمنين، أيده الله، من أمر القرآن بما حضرني. وقال في أثنائه بعد ذكر الآثار:

قال عبد الله: قال أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإنما تركت ذكر الأسانيد لما تقدم من اليمين التي حلفت بها مما قد علمه أمير المؤمنين، أيده الله تعالى، لولا ذلك لذكرتها بأسانيدها..)[(١)].

فهذا هو الإملاء الثاني للرسالة، فكانت الأولى على ابنه صالح، فذهب بها عبدالله إلى الوزير، ثم عاد بها لوالده الإمام أحمد، برغبة الوزير بتقديمها بالدعاء للخليفة المتوكل، فأملاها الإمام ثانية على عبدالله.

ورواه أيضًا الخلال من أربعة طرق صحيحة في «السنة» نقلًا من رسالة الإمام أحمد للخليفة المتوكل[(٢)].

---

(١) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (١/ ١٣٣).

(٢) السنة للخلال (رقم ١٩٤٧ - ١٩٥٠).

وقد ضمّن الإمام أحمد رسالته هذه جزءًا من كتابه «الرد على الجهمية» وذلك من قوله: (قال الله جل ثناؤه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ ... ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾) وهو الجزء نفسه الذي ضمنه رسالته إلى ابن حمدون الأنطاكي، فدل على أن الإمام كان يرسل كتابه «الرد على الجهمية» أو يقتبس منه وينتسخه إلى من يسأله عن هذا الأمر، كما في رسالته لمسدد بن مسرهد، وكما هنا مع المتوكل.

وقد قدم الإمام هنا بمقدمة عن النهي عن الخوض في القرآن، أورد فيها كثيرًا من الآثار عن السلف، فإما أنها كانت جزءًا من الكتاب في الأصل، أو إضافة عليه بعد سؤال المتوكل، وفي كلتا الحالتين فقد أصبحت جزءًا منه.

وقد قرأها الإمام أحمد على أبي بكر المروذي، كما قرأها الخلال على عبدالله بن أحمد، ورواها أيضًا عن صالح بن أحمد وعن أبي مزاحم موسى، وهو ابن عبيدالله بن يحيى بن خاقان، وزير المتوكل، فكأنما اطلع الخلال على أربع نسخ من هذا الكتاب، هي:

(أخبرني أبو بكر المروذي قال: قال أبو عبد الله [أحمد بن حنبل]: قد كتب إليّ - يعني المتوكل - يسألني عن القرآن، فكتبت إليه إنه ليس بمخلوق، واحتججت من القرآن. فقرأه عليّ أبو عبد الله)[١].

(١) السنة للخلال (رقم ١٩٤٧).

وقال الخلال أيضًا:

(وأخبرنا المروذي في موضع آخر قال: قلت لأبي عبد الله أحمد ابن حنبل: أجبت في القرآن غير مخلوق في الرسائل التي وردت عليك من الخليفة؟ قال: نعم. قد كتبت إليه. يعني إلى عبيد الله ابن يحيى بن خاقان، فقرأ عليّ أبو عبد الله: كتبت إليك بالذي سأل عنه أمير المؤمنين من أمر القرآن بما حضرني، وقد كان الناس في خوض من الباطل واختلاف شديد ينغمسون فيه، فانجلى عن الناس ما كانوا فيه من الذل وضيق المحابس، فصرف الله ذلك وذهب به، ووقع على المسلمين موقعًا عظيمًا[1] ودعوا الله عَزَّوَجَلَّ لأمير المؤمنين. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض..)[2] وساق الخلال الكتاب كاملاً كما أثبتناه في الأعلى.

ثم قال الخلال:

(قال عبدالله: قال أبي: وإنما تركت ذكر الأسانيد لما تقدم من اليمين التي حلفت بها مما قد علمه أمير المؤمنين، ولولا ذلك لكتبتها بأسانيدها)[3].

وقال الخلال:

(١) وعند أبي نعيم في الحلية (٩/ ٢١٦) من طريق صالح ومن طريق عبد الله، كليهما عن أبيهما، به، وقال فيه: (ووقع ذلك من المسلمين موقعًا عظيمًا).

(٢) السنة للخلال (رقم ١٩٤٨).

(٣) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (١/ ١٣٣).

(أخبرنا عبد الله بن أحمد قال: أملى عليّ أبي إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان. وأخبرنا محمد بن علي قال: ثنا صالح قال: أملى عليّ أبي إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان.

قال أبو بكر الخلال: وهما صادقان، فأرجو أن يكون أملى عليهما جميعًا كما قالا، وذاك أن أبا بكر المروذي قرأ على أبي عبد الله: فكتبت إليك بالذي سأل عنه أمير المؤمنين، وأملى على صالح الكتاب الذي بين يدي أبيه الجواب، وعبد الله أملاها عليه على أبي بكر المروذي، وكان قال حنبل: قال إسحاق...

قال الخلال: فدل على أن القوم كلهم صدقوا فيما قالوا، وهم أهل صدق كلهم، والحمد لله، ولكنني بينت هذا لأن يعلم من يسمع قول واحد منهم فيشك فيه فيلبسه؛ لألّا يُشك في قلوبهم، وقد كانوا زادوا فيها الدعاء فعرضوه على أبي عبد الله، فوجدته عند أبي مزاحم موسى بن عبيد بن يحيى بن خاقان كيف كان، وجواب كتاب أبي عبد الله إلى عبيد الله خاصة.

فأخبرنا أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، قال: حدثني عبد الله بهذه الرسالة، قال: أملى عليّ أبي:

إلى عبيد الله بن يحيى: أحسن الله عاقبتك - أبا الحسن - في الأمور كلها، ودفع عنك مكاره الدنيا والآخرة برحمته. وقد كتبت إليك، رضي الله عنك، بالذي سأل عنه أمير المؤمنين أيده الله من أمر القرآن بما حضرني.. فذكر الكتاب.

قال أبو مزاحم: قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: جئنا بهذه الرسالة إلى أبي محمد بن العباس، المعروف بابن سارة، وكان صاحب أبي عبيد الله يحيى بن خاقان بغداد، فزاد فيها دعا لأمير المؤمنين. قال عبد الله: ثم عرضها على أبي فأجازها. قال أبو مزاحم: وهذه نسخة كتاب أحمد بن حنبل بجواب كتاب إليه في رسالة القرآن)[١].

فقد سماها أبو مزاحم «رسالة القرآن» وقد نقل فيها الإمام أحمد جزءًا كبيرًا من كتابه «الرد على الجهمية» وزاد في المقدمة النهي عن الجدل والخوض في القرآن.

وقد تكون الرسالة هذه إلى المتوكل وسؤاله عن القرآن هي أصل الكتاب الذي كتبه الإمام أحمد في مجلسه بما حضره من الأدلة والحجج في الرد على الجهمية وذلك سنة ٢٣٢هـ حين تولى المتوكل الخلافة ورفع الفتنة، ثم زاد عليها الإمام بعد ذلك كلما قرئت عليه، أو سئل أثناء القراءة عن قضية خلق القرآن والرد على شبه الجهمية، فتشكل النص الأصلي شيئًا فشيئًا إلى وفاة الإمام أحمد سنة ٢٤١هـ.

إذ لم تنته القضية برفع المتوكل للفتنة بها، بل ظلت قضية مثارة في الأوساط العلمية، وكثر حولها الجدل وتفرعت مسائلها، كما جرى مع حسين الكرابيسي الذي كان يقول بقول الإمام أحمد

---

(١) السنة للخلال (رقم ١٩٤٨).

وقول أهل السنة، ثم تكلم في قضية اللفظ بالقرآن سنة ٢٣٤هـ فرد عليه الإمام أحمد، وشغلت القضية أهل العلم، حتى ابتلي بها الإمام البخاري نفسه، وألف كتابه «خلق أفعال العباد» للرد على المعتزلة الذين ينفُون القدر، وإثبات أن الله خالق الإنسان وفعله، وأن أفعال العباد مخلوقة، بما في ذلك قراءتهم للقرآن وتلاوتهم له.

فليس «الرد على الجهمية» كتابًا ألفه الإمام دفعة واحدة في محبسه كما راج بعد ذلك، إذ يبعد - وهو في السجن حيث الأغلال والظلام، كما وصف حاله التي كان عليها ابنه صالح في سيرته، وابن عمه حنبل بن إسحاق في محنته - أن يكون قادرًا على تأليف مثل هذا الكتاب؛ إذ لم يكن يسمح له بذلك المعتصم ولا الواثق، وهما يهددانه بالقتل ليقول بأن القرآن مخلوق، فضلًا عن السماح له بأن يؤلف الكتب في الرد عليهما!

ولا هو ممن يرى أصلًا وضع مثل هذه الكتب وتأليفها، وكان ينهى عن ذلك أشد النهي، لولا طلب الخليفة المتوكل منه ذلك، فكان ذلك منه طاعة للمتوكل على خلاف رأي نفسه وكراهته ذلك، لما يراه من السمع والطاعة للخليفة.

ثم بعد رفع الفتنة صار الإمام أحمد يجادل كل من خالفه في هذه القضية، أو توقف فيها، أو من لم يستبن له الحق، وكان يراسل من يسأله، كما في رسالته إلى ابن حمدان الأنطاكي ورسالته إلى مسدد ابن مسرهد البصري، وفي كل هذه الرسائل قدر متفق عليه من

حججه على الجهمية، ورأيه في هذه القضية، تكرر في كل الرسائل، وزيادات زادها عليها اقتضتها حال من راسله وموضوع الرسالة.

كما في رسالته إلى مسدد التي زاد فيها الخطبة المشهورة في مقدمة كتاب «الرد على الجهمية» ثم قال:

(فآمركم ألا تؤثروا على القرآن شيئًا، فإنه كلام الله عَزَّوَجَلَّ وما تكلم الله به فليس بمخلوق، وما أخبر به عن القرون الماضية فغير مخلوق، وما في اللوح المحفوظ، وما في المصاحف، وتلاوة الناس، وكيفما قرئ، وكيفما يوصف، فهو كلام الله غير مخلوق، فمن قال: مخلوق، فهو كافر بالله العظيم، ومن لم يكفّره فهو كافر).

وشرع بعد ذلك في بيان أصول السنة في المسائل الأخرى.

ومما يؤكد أن موضوع الكتاب استغرق عشر سنوات حتى اكتمل في صورته النهائية، ما ذكره ابنه عبدالله أنه رأى كتاب أبيه فيما يحتج به على الجهمية، ونسخه من خطه، وهذا بعد وفاة أبيه، وكذا قال المروذي.

فقد قال عبدالله في «السنة»: (وجدت في كتاب أبي بخط يده: مما يحتج به على الجهمية من القرآن الكريم في سورة البقرة)[1] فذكره مطولًا.

وقد رواه عنه أيضًا الخلال عن عبدالله في «السنة» فقال:

(أخبرنا أبو بكر المروذي قال: هذا ما احتج به أبو عبد

(١) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (رقم ١٢٠٢).

الله على الجهمية في القرآن، وكتبه بخطه وكتبته من كتابه. فذكر المروذي آيات كثيرة دون ما ذكر الخضر بن أحمد عن عبد الله، وقال: وفيه: سمعت أبا عبد الله يقول: في القرآن عليهم من الحجج في غير موضع يعني الجهمية.

قال الخلال: وأخبرنا الخضر بن أحمد بن المثنى الكندي قال: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: وجدت هذا الكتاب بخط أبي فيما يحتج به على الجهمية، وقد ألف الآيات إلى الآيات من السورة، وأول ما ذكر عبد الله: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا راحم، يا مالك، يا مِلِك، يا مليك).

ثم ولّفت ما روى المروذي وعبد الله من ها هنا: في سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ [البقرة: ٢] ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ١١٥] ...)[(١)].

وقد تشعث كتاب الإمام أحمد «الرد على الجهمية» بعد ذلك في بطون الكتب التي اقتبست منه ونقلت عنه، كما في كتاب ابنه عبدالله «السنة» والخلال في «السنة» و«الجامع» وروى أصحاب الإمام بعض ما سمعوه منه سماعًا، دونما بقي وِجادة بخطه مما نسخه ابنه عبدالله وأبو بكر المروذي، وقاما بتأليف الآيات من كل سورة

(١) السنة للخلال (رقم ١٨٩٦).

وضـم بعضهـا إلى بعـض، وترتيـب السـور عـلى ترتيـب المصحـف.

وهذا هو نص كتابه من مجموع الروايات الصحيحة كلها.

- مع الإشارة لكل مصدر في الحاشية.

- وبيان السبب الذي ترجح به كون النص من هذا الكتاب.

- وإثبات أسماء أبوابه كما في النسخة المطبوعة.

- إلا ما لم يوجد له اسم من الأبواب فأزيده بين معكوفين [].

- وكـذا مـا زاده بعـض الـرواة عـلى بعـض ميزتـه بـين معكوفـين [].

- وشرحت في الحاشية ما يحتاج منه لشرح.

- وقد ميزت كلام الإمام أحمد بوضع دائرة أمامه (*).

- وحيثـما زاد بعـض الـرواة عـلى بعـض ميـزت زيادتـه بـين معكوفـين [] وبينـت ذلـك.

- فـإن زاد آخـر عـلى ذات النـص ميـزت زيادتـه بـين قوسـين () وبينـت ذلـك في الحاشـية.

لأهميـة ذلـك في كشـف حقيقـة أننـا أمـام نـص كتـاب تشـعث بالروايـة في بطـون الكتـب، حتـى غـدا كأنـما هـو نصـوص قوليـة شـفهية للإمـام يرويهـا أصحابـه عنـه، لا كتـاب يقتبسـون منـه مـا يريـدون الاستشـهاد بـه، ويروُونـه عنـه بأسـانيدهم كجـزء مـن روايتهـم للكتـاب نفسـه.

كتاب
«الرد على الجهمية»
أو «رسالة القرآن»
للإمام أحمد بن حنبل

بتحقيق وضبط وشرح

أ.د. حاكم المطيري

قرأت كتب المذهب الحنبلي أصولًا وفروعًا، وغيرها من العلوم الشرعية والعربية، على جماعة من الشيوخ الحنابلة الفقهاء الأعلام، منهم في الكويت:

١ - الشيخ المعمر الفقيه محمد بن سليمان الجراح الحنبلي.

٢ -وأخيه الشيخ الأديب المعمر إبراهيم بن سليمان الجراح.

وهما أخذا عن شيخهما قاضي الكويت العلامة عبدالله الخلف الدحيان الحنبلي، وقد أخذ الشيخ الدحيان عن شيوخه، فمنهم في بلدة الزبير الشيخ الفقيه صالح بن حمد المبيض الحنبلي، والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الحمود الحنبلي، والشيخ محمد بن عبدالله العوجان الحنبلي. ومنهم في نجد شيخه إبراهيم بن عيسى بإسناده المشهور بالفقه الحنبلي.

٣- الشيخ الفقيه د محمد بن سليمان الأشقر الحنبلي، محقق «نيل المآرب شرح دليل الطالب».

٤ -الشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق.

٥ -الشيخ د عجيل جاسم النشمي.

ومن قرأت عليهم أو حضرت دروسهم في نجد:

٦ -الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز.

٧ -الشيخ الفقيه محمد العثيمين.

٨ -الشيخ محمد بن صالح المنصور.

٩ -الشيخ عبد الله بن صالح الفالح.

١٠ -الشيخ عبد الله بن قعود.

وهؤلاء أخذوا المذهب الحنبلي أصولًا وفروعًا عن شيوخهم،

كالشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبد الرحمن السعدي، والشيخ ابن عتيق، وغيرهم من علماء نجد، وهؤلاء عن شيوخهم إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وقد أخذ الشيخ السعدي والشيخ الدحيان عن الشيخ إبراهيم ابن صالح بن عيسى الحنبلي المتوفى في عنيزة سنة ١٣٤٣هـ. وقد أجاز ابن عيسى الشيخ الدحيان بثبته المشهور، ومنه إسناده بالفقه الحنبلي عن ابن عمه الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى، وابن عمه القاضي علي بن عبدالله بن عيسى، كلاهما عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، وابنه عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، وعبدالله بن عبد الرحمن أبا بطين. وثلاثتهم عن الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالرهاب وغيره، عن أبيه الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان الحنبلي.

وكذا أدرك عبدالرحمن بن حسن جده الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأخذ عنه.

وقد أخذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب عن أبيه وغيره، عن جده سليمان، عن شيخيه محمد بن أحمد بن إسماعيل، وأحمد بن محمد بن مشرف، عن موسى الحجاوي الحنبلي المصري صاحب «متن الإقناع» «ومتن زاد المستقنع».

وكذا أخذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب عن الشيخ عبدالله بن سيف النجدي الحنبلي المدني، عن شيخه فوزان بن نصر الله، عن الشيخ عبدالقادر بن عمر التغلبي صاحب «نيل المآرب شرح دليل الطالب».

وكذا أخذ الشيخ إبراهيم بن عيسى الفقه الحنبلي عن الشيخ

صالح بن حمد المبيض الحنبلي قاضي الزبير، عن الشيخ عبدالله بن سليمان بن نفيسة، عن الشيخ عبدالجبار بن علي البصري الحنبلي، عن الشيخ محمد بن علي بن سلوم الحنبلي، عن الشيخ محمد بن عبدالله ابن فيروز، عن أبيه، عن فوزان بن نصر الله، عن الشيخ عبدالقادر التغلبي الحنبلي.

وقد أخذ الشيخ عبد القادر التغلبي، عن الشيخ عبدالباقي بن عبدالباقي البعلي، والشيخ شمس الدين محمد بن بدر الدين البلباني الأنصاري الخزرجي وغيرهما، وهما عن الشيخ الوفائي أحمد بن أبي الوفاء علي بن إبراهيم المفلحي، ثلاثتهم - الوفائي وابن مشرف ومحمد بن أحمد بن إسماعيل - عن الشيخ موسى الحجاوي الحنبلي، عن الشيخ أحمد الشوبكي، عن الشيخ أحمد بن عبدالله العُسكري، والجمال يوسف بن حسن بن عبدالهادي ابن المبرد الحنبلي، عن أبي بكر ابن قندس البعلي .

وكذا أخذ العسكري، عن الشيخ القاضي علاء الدين علي بن سليمان المرداوي المصري، عن أبي بكر تقي الدين بن قُندس البعلي. وأخذ ابن قندس، عن الشيخ علي بن محمد بن عباس ابن اللحام البعلي، عن الحافظ زين الدين عبدالرحمن بن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي، عن شمس الدين محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، عن شيخه شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبدالرحيم، ابن تيمية، عن شمس الدين عبدالرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، عن عمه الموفق عبدالله بن أحمد، ابن قدامة صاحب «المغني» عن ابن المنِّيّ والشيخ محي الدين عبدالقادر الجيلاني والحافظ عبدالرحمن ابن الجوزي، وأخذ هؤلاء الثلاثة - ابن المني والجيلاني وابن الجوزي

- عـن أبي الوفـاء عـلي بـن عقيـل الحنبـلي، وأبي الخطـاب الكلـواذي، وأبي بكـر الدينـوري، وأخـذ هـؤلاء الثلاثـة عـن أبي يعـلى ابـن الفـراء الحنبـلي.

كـما أخـذ شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة، عـن والـده، عـن جـده مجـد الدين أبي الـبركات ابـن تيميـة صاحـب «منتقـى الأخبـار» و«المحـرر» عـن الفخـر إسـماعيل بـن عـلي الأزجـي البغـدادي والعـماد أبي بكـر محمـد ابـن الحـلاوي، ثلاثتهـم - الموفـق والأزجـي والحـلاوي - عـن ابـن المنّـي أبي الفتـح نـصر ابـن فتيـان، عـن أبي بكـر أحمـد بـن محمـد الدينـوري، وأبي الخطـاب محفـوظ ابـن أحمـد الكلـواذي، عـن القـاضي أبي يعـلى محمـد بـن الحسـين ابـن الفـراء البغـدادي، عـن أبي عبـدالله الحسـن بـن حامـد البغـدادي، عـن أبي بكـر عبدالعزيـز بـن جعفـر غـلام الخـلال، عـن شـيخه أبي بكـر أحمـد بـن محمـد ابـن هـارون الخـلال صاحـب كتـاب «الجامـع لأقـوال الإمـام أحمـد».

وأخـذ ابـن حامـد أيضًـا عـن عبيـدالله بـن محمـد بـن حمـدان، المشـهور بابـن بطـة العكـبري الحنبـلي، عـن أبي القاسـم عمـر بـن الحسـين الخرقـي، عـن والـده أبي عـلي الحسـين، كلاهمـا - الخـلال وأبـو عـلي الحسـين - عـن أبي بكـر أحمـد بـن محمـد بـن الحجـاج المـروذي وغـيره مـن أصحـاب الإمـام أحمـد، عـن الإمـام أحمـد بـن حنبـل .

كـما أروي كتـب المذهـب مـن طـرق أخـرى كثـيرة عـن غـير الحنابلـة كـما في ثبتـي «إتحـاف الثقـات بأسـانيد الأثبـات».

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

* بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى [ويصبرون منهم على الأذى] وينهون عن الرّدى، يُحيُون بكتاب الله تعالى الموتى، وبسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل الجهالة والرّدى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه! وكم من ضال تائه قد هدوه! فما أحسن آثارهم على الناس [وأقبح أثر الناس عليهم] .

ينفُون عن دين الله عَزَّوَجَلَّ تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الضالين الذين عقدوا ألوية البدع وأطلقوا عنان الفتنة، يقولون على الله وفي الله - تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا - وفي كتابه بغير علم، فنعوذ بالله من كل فتنة مضلة، وصلى الله على محمد.

أما بعد: وفقنا الله وإياكم لما فيه طاعته، وجنبنا وإياكم ما فيه سخطه، واستعملنا وإياكم عمل [الخاشعين له] العارفين به، الخائفين منه، إنه المسئول ذلك.

أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم، ولزوم السنة، فقد علمتم ما حل بمن خالفها وما جاء فيمن اتبعها، بلغنا عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إن الله عَزَّوَجَلَّ ليدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها» فآمركم ألا تؤثروا على القرآن شيئًا، فإنه كلام الله عَزَّوَجَلَّ وما

تكلم الله به فليس بمخلوق، وما أخبر به عن القرون الماضية فغير مخلوق، وما في اللوح المحفوظ، وما في المصاحف، وتلاوة الناس، وكيفما قرئ، وكيفما يوصف فهو كلام الله غير مخلوق، فمن قال: مخلوق، فهو كافر بالله العظيم، ومن لم يكفّره فهو كافر.

ثم من بعد كتاب الله سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والحديث عنه، وعن المهديين أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتصديق بما جاءت به الرسل، واتباع سنة النجاة، وهي التي نقلها أهل العلم كابرًا عن كابر، واحذروا رأي جهم فإنه صاحب رأي وكلام وخصومات[١].

(١) هذه المقدمة رواها ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص ٢٢٤) في مقدمة «رسالة الإمام أحمد إلى مسدد بن مسرهد» فقال: أخبرنا عبد الملك بن أبي القاسم [هو ابن سهل الهروي الحافظ] أخبرنا عبدالله بن محمد الأنصاري [أبو إسماعيل الهروي الحافظ] قال: أخبرنا أبو يعقوب الحافظ [إسحاق بن إبراهيم السرخسي الهروي الحافظ] قال: أخبرنا محمد بن أحمد ابن الفضل قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن بشر بن بكر قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد، هو ابن أبي سهل، البردعي التميمي [البرديجي الحافظ]) وما بين المعكوفين منه.

وكذا رواها ابن أبي يعلى، واللفظ له، في طبقات الحنابلة (١/ ١٤٣) بإسناده: (أنبأنا علي [بن أحمد البسري البندار مسند العراق] عن ابن بطة [العكبري الحنبلي] حدثني علي بن أحمد المقري المراغي بالمراغة، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد السونديني، حدثنا علي بن محمد بن موسى الحافظ، المعروف بابن المعدل، حدثنا أحمد بن محمد التميمي قال: لما أشكل على مسدد بن مسرهد بن مسربل أمر الفتنة، وما وقع الناس فيه من الاختلاف في القدر والرفض والاعتزال وخلق القرآن والإرجاء، كتب إلى أحمد بن حنبل: اكتب إليّ بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فلما ورد كتابه على أحمد بن محمد بكى وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! يزعم هذا البصري أنه قد أنفق على العلم مالًا عظيمًا وهو لا يهتدي إلى سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! فكتب إليه..).

وقد تكلم ابن منده على هذه الرسالة، قال ابن تيمية في الفتاوى (٥/ ١٣١): (وقد صنف أبو القاسم عبدالرحمن بن منده في ذلك مصنفًا وزيف قول من قال: ينزل ولا يخلو منه العرش، وضعّف ما قيل في ذلك عن أحمد بن حنبل في رسالته إلى مسدد،

[باب: في أقسام الجهمية]:

قال الإمام أحمد:

*** افترقت الجهمية على ثلاث فرق؛ فرقة قالوا: القرآن مخلوق. وفرقة [الذين شكُّوا] قالوا: كلام الله وتسكت. [ولا نقول: هؤلاء واقفة، نقول: هؤلاء شكَّاكة] وفرقة قالوا: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة (وشرها من قال: لفظي بالقرآن مخلوق)[١].**

وطعن في هذه الرسالة وقال إنها مكذوبة على أحمد، وتكلم على راويها البردعى أحمد ابن محمد، وقال: إنه مجهول لا يعرف في أصحاب أحمد). وقال مرة (٥/ ٣٩٦): (وأما رسالة أحمد بن حنبل إلى مسدد بن مسرهد فهي مشهورة عند أهل الحديث والسنة وأصحاب أحمد وغيرهم، تلقوها بالقبول، وقد ذكرها أبو عبدالله بن بطة في كتاب «الإبانة» واعتمد عليها غير واحد، كالقاضي أبى يعلى، وكتبها بخطه).

وكلام ابن تيمية هنا مشكل؛ إذ لم يذكر ابن بطة رسالة أحمد إلى مسدد في كتابه «الإبانة» وهو ما يرجح كون الكتاب المطبوع ناقصًا. وهذه الخطبة في رسالة مسدد موافقة لما في المطبوع والمخطوط من كتاب «الرد على الجهمية» إلا أنه زاد: (في كل زمان فترة من الرسل...يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى...وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون...).

رواة النص:

هذه الروايات بمجموعها ترجح أن أصلها للإمام أحمد، افتتح بها كتابه إلى مسدد الذي ذكر فيه بعض قوله في القرآن وأنه كلام الله غير مخلوق، وذكر فيها تقسيم الجهمية إلى ثلاث فرق، وهذا كله جزء من كتابه «الرد على الجهمية» كما سيأتي في الحاشية التالية، وقد اعترى رسالة مسدد ما اعتراها بعد ذلك من زيادات لا تثبت عن الإمام أحمد كما لا يخفى. وقد وردت هذه الخطبة أيضًا في الكتاب المنسوب للإمام أحمد «الرد على الجهمية» بنسخه الخطية القديمة والمتأخرة.

(١) رواه الخلال في «السنة» (٥/ ١٢٥-١٢٦ رقم ١٧٧٧) عن المروذي، و(رقم ١٧٧٨) عن حنبل بن إسحاق، و(رقم ١٧٧٩) عن أحمد بن حازم وحسن البزار وصالح بن أحمد، وهذا لفظه، وما بين المعكوفين زيادة من نسخة المروذي، وما بين القوسين من رواية البزار عند

الأصبهاني في «الحجة» (١/ ٤٢٠) وقال حنبل: (ثلاثة ضروب) بدلًا من (ثلاث فرق) وقال: (وتقف) بدلًا من (وتسكت).

وكذا رواه ابن ابطة في «الإبانة» (٣/ ٣٠٦ رقم ٩٦) قال: (حدثنا أبو عمر حمزة بن القاسم قال: حدثنا حنبل بن إسحاق قال: سمعت أبا عبد الله يقول: الجهمية على ثلاث ضروب؛ فرقة قالت: القرآن مخلوق. وفرقة قالوا: كلام الله، ونقف. وفرقة قالوا: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة. فهم عندي في المقالة واحد).

ورواه ابن بطة أيضًا (٣/ ٣٤٣ رقم ١٥٠) قال: (حدثنا أبو حفص عمر بن محمد قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن داود، قال: حدثنا أبو بكر المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله، يقول: افترقت الجهمية على ثلاث فرق: الذين قالوا: مخلوق، والذين شكوا، والذين قالوا: ألفاظنا بالقرآن مخلوق).

وكذا هو في «رسالة في القرآن» للحربي (ص ٣٥ رقم ٢) من زيادات راوي النسخة عليه، قال: (أخبرنا أبو العباس أحمد بن علي بن إسحاق المعروف بالكسائي المصري، إجازة بخطه، قال ثنا أبو الحسين بوانة أحمد بن عيسى بن بوانه الموصلي، إملاء من كتابه بلفظه وأنا أسمع، قال ثنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن مروان بن بدينا، قال ثنا أبو الفضل صالح بن أحمد، قال سمعت أبي يقول: افترقت الجهمية على فرق؛ فرقة قالوا القرآن مخلوق. وفرقة قالوا كلام الله وسكتت. وفرقة قالوا لفظنا بالقرآن مخلوق قال الله تعالى في كتابه {فأجره حتى يسمع كلام الله} فجبرئيل عليه السلام تسمع من الله تعالى، ليسمعه النبي صَلَّىٰ ٱللَّٰهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من جبرئيل، ويسمعه أصحاب النبي صَلَّىٰ ٱللَّٰهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من النبي صَلَّىٰ ٱللَّٰهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فالقرآن كلام الله غير مخلوق.

ورواه إسماعيل الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٤٢٠) فقال: (أخبرنا عبد الغفار بن أشتة، أنا أبو بكر بن أبي نصر، نا أبو الشيخ، نا إبراهيم بن محمد بن الحسن، نا محمد بن مسعود الطوسوسي قال: سمعت الحسن ابن الصباح البزار قال: سمعت أحمد ابن حنبل يقول: (افترقت الجهمية على ثلاث فرق؛ فرقة قالت: بالخالق. وفرقة قالت: بالمخلوق، وفرقة قالت: لفظنا بالقرآن مخلوق، وشرها من قال: لفظي بالقرآن مخلوق). ولم يتابع على لفظة:(فرقت قالت بالخالق).

ورواه أيضًا ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٤١) وابن الجوزي في «مناقب أحمد» (ص ٢٢٤) في رسالة الإمام إلى مسدد، وأورده في أول الرسالة، ولفظ ابن أبي يعلى:

(أجمع من أدركنا من أهل العلم أن الجهمية افترقت ثلاث فرق، فقالت طائفة منهم

القرآن كلام الله مخلوق، وقالت طائفة القرآن كلام الله وسكتت، وهي الواقفة الملعونة، وقال بعضهم ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، فكل هؤلاء جهمية كفار يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا).

ولفظ ابن الجوزي: (وأما الجهمية؛ فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم أنهم قالوا: افترقت الجهمية على ثلاث فرق، فقال بعضهم: القرآن كلام الله وهو مخلوق. وقال بعضهم: القرآن كلام الله، وسكت وهم الواقفة. وقال بعضهم: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة. فهؤلاء كلهم جهمية. وأجمعوا على أن من كان هذا قوله، فحكمه إن لم يتب، لم تحل ذبيحته ولا تجوز قضاياه..).

ولا يخفى ما اعترى هذا النص للإمام أحمد من زيادات في رسالة مسدد، كقول (أجمع من أدركنا من أهل العلم..)، بينما قول الفرقة الثانية والثالثة وهم اللفظية والواقفة حدث في زمن الفتنة، وتصدى لهم الإمام أحمد نفسه سنة ٢٣٤، وهو إمام الناس في بيان السنة فيها.

وكل هذه الروايات بهذا التفصيل لفرق الجهمية، تؤكد أن هذا النص من كتاب كان يُقرأ على الإمام أحمد، وليس روايات شفهية، وسيأتي إكمال النص من رواية صالح للكتاب.وهذا النص المهم غير موجود في كتاب «الرد على الجهمية» المنسوب للإمام أحمد لا في المطبوع منه ولا المخطوط!

رواة النص:

هذا النص متواتر عن الإمام، ورواته عنه كلهم أئمة أثبات، ومن خاصة الإمام أحمد، وفيهم ابنه صالح، وابن عمه حنبل، وتلميذه أبو بكر المروذي. وتابعهم أحمد بن حازم هو ابن أبي غرزة الغفاري، الحافظ صاحب المسند، كوفي ثقة، شارك الإمام أحمد ببعض شيوخه كأبي نعيم وعفان بن مسلم، وتوفي سنة ٢٧٦، قال عنه الذهبي في السير ١٣/ ٢٣٩:(الإمام، الحافظ، الصدوق).

والحسن بن الصباح البزار قال من طبقة الإمام أحمد وأقرانه، وشاركه في شيوخه، قال عنه الذهبي في السير ١/ ١٩٢ (الإمام الحافظ الحجة، شيخ الإسلام أبو علي الواسطي، ثم البغدادي البزار... قال أبو حاتم: صدوق، كانت له جلالة عجيبة ببغداد . كان أحمد ابن حنبل يرفع من قدره ويجله. وقال عبد الله بن أحمد ، عن أبيه: ما يأتي على ابن البزار يوم إلا وهو يعمل فيه خيرا، ولقد كنا نختلف إلى فلان، فكنا نقعد نتذاكر إلى خروج الشيخ، وابن البزار قائم يصلي.

قال الإمام أحمد:

*وهم عندي في المقالة واحد[١].

قال أبو العباس السراج: سمعت الحسن بن الصباح يقول: أدخلت على المأمون ثلاث مرات: رفع إليه أول مرة أنه يأمر بالمعروف -قال: وكان نهى أن يأمر أحد بمعروف فأخذت، فأدخلت عليه، فقال لي: أنت الحسن البزار؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وتأمر بالمعروف؟ قلت: لا ولكني أنهى عن المنكر، قال: فرفعني على ظهر رجل، وضربني خمس درر، وخلى سبيلي. وأدخلت المرة الثانية عليه، رفع إليه أني أشتم عليًّا، رضي الله عنه، فأدخلت، فقال: تشتم عليا؟ فقلت: صلى الله على مولاي وسيدي علي، يا أمير المؤمنين، أنا لا أشتم يزيد لأنه ابن عمك، فكيف أشتم مولاي وسيدي؟! قال: خلوا سبيله. وذهبت مرة إلى أرض الروم إلى البذندون في المحنة، فدفعت إلى أشناس . قال: فلما مات خلي سبيلي. قال أحمد بن حنبل: ثقة صاحب سنة).

شرح النص:

وقول الإمام أحمد: (وشرها من قال: لفظي بالقرآن مخلوق) يؤكد خطورة هذا القول من جهتين: الأول: لأن التنصيص والتقييد بخلق اللفظ أخص من عبارة من قال (القرآن مخلوق) وأطلق، إذ لا حقيقة للكلام دون اللفظ والنظم، فهو أدل على معنى خلق القرآن وأصرح، إذ القرآن كلام منظوم بألفاظ. والثاني: أنه لفظ موهم لمن لم يقصد بهذه العبارة أن القرآن مخلوق، وإنما قصد فعل القارئ والقراءة، ولم يقصد الكلام نفسه والألفاظ، ولهذا سيأتي عنه أنه قال: (من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع)، لأنه لفظ موهم يحتمل باللفظ الكلام المتلو، ويحتمل فعل التالي وقراءته لا المتلو والمقروء، وهو ما حققه عنه الإمام البخاري، كما سيأتي.

(١) رواه الخلال في «السنة» ٥/ ١٢٥ رقم ١٧٧٨ عن حنبل، وكذا رواه ابن ابطة في «الإبانة» ٥/ ٣٠٦ رقم ٩٦ قال: حدثنا أبو عمر حمزة بن القاسم قال: حدثنا حنبل بن إسحاق، قال: سمعت أبا عبد الله فذكره، بعد تقسيم الجهمية إلى ثلاث فرق.

شرح النص:

وذلك أن القرآن كلام الله على الحقيقة، وهو من علم الله بنص القرآن، والسنة، وإجماع سلف الأمة، فمن قال بأنه مخلوق، أو قال لفظي به مخلوق، أو شك فيه ووقف، فقد خالف النص، ولا فرق بين الفرق الثلاث في المخالفة للنص، من هذه الحيثية، كما لا فرق بين من نفى آية من كتاب الله، أو شك في ثبوتها وتوقف.

[باب: الحجة على أن القرآن كلام الله ومن علم الله غير مخلوق]:

قال الإمام أحمد:

* قال الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فجبريل سمعه من الله عَزَّوَجَلَّ وسمعه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وسمعه أصحاب النبي من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

والقرآن كلام الله غير مخلوق، ولا نشك ولا نرتاب فيه، وأسماء الله في القرآن، وصفاته في القرآن من علم الله، وصفاته منه، فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر. والقرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

فقد كنا نهاب الكلام في هذا، حتى أحدث هؤلاء ما أحدثوا، وقالوا ما قالوا، ودعوا الناس إلى ما دعوهم إليه، فبان لنا أمرهم، وهو الكفر بالله العظيم.

[و] لم يزل الله عالمًا متكلمًا [غفورًا] (فحد لنفسه صفة ليس يشبهه شيء).

نعبد الله بصفاته، غير محدودة ولا معلومة (ليس كمثله شيء في ذاته) [كما وصف به نفسه، قد أجمل الصفة لنفسه] (ولا يبلغ الواصفون صفته، وصفاته منه، وله).

[ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك] إلا بما وصف بها نفسه: سميع،

عليم، غفور، رحيم، عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب، فهذه صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وصف بها نفسه، ولا تُدفع ولا تُردّ.

[وقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣] هذه صفات الله وأسماؤه].

[ولا نزيل عنه، تعالى ذكره، صفة من صفاته لشناعة شنعت، ولا نزيل ما وصف به نفسه من كلام، ونزول، وخلوه بعبده يوم القيامة، ووضع كنفه عليه، هذا كله يدل على أن الله يُرى في الآخرة، والتحديد في هذا بدعة، والتسليم لله بأمره].

(ولا نتعدى ذلك ولا تبلغه صفة الواصفين)

نؤمن بالقرآن [كله] محكمه ومتشابهه ﴿كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨] فنترك الجدال والمراء في القرآن، ولا نجادل ولا نماري فيه، ونؤمن به كله، ونرده إلى عالمه؛ إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فهو أعلم به، منه بدأ وإليه يعود.

وقال لي عبد الرحمن بن إسحاق: كان الله ولا قرآن؟

فقلت مجيبًا: كان الله ولا علم؟

فالعلم من الله وله، وعلم الله منه، والعلم غير مخلوق، فمن قال إنه مخلوق فقد كفر بالله، وزعم أن الله مخلوق فهذا الكفر الصراح.

وهو على العرش بلا حد، كما قال: ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ كيف شاء، والمشيئة إليه، والاستطاعة له ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ وهو خالق كل شيء).

لا يبلغ وصفه الواصفون، وهو كما وصف نفسه [سميع بصير بلا حد ولا تقدير].

(قال لي إسحاق بن إبراهيم لما قرأ الكتاب بالمحنة: تقول: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾؟

فقلت له: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؟

قال: ما أردت بها؟

قلت: القرآن صفة من صفات الله تعالى وصف بها نفسه، لا ننكر ذلك ولا نرده).

[قال حنبل: قلت لأبي عبد الله: والمشبهة ما يقولون؟ قال: بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي، فقد شبه الله بخلقه، وهذا كلام سوء، والكلام في هذا لا أحبه]. (نحن نصف الله بما وصف نفسه، وبما وصفه به رسوله.

قال عبد الله: جرِّدُوا الْقُرْآن.

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**يضع قدمهُ**»[1] نؤمن به، ولا نحده، ولا نرده على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بل نؤمن به، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: قول الله: {وتقول هل من مزيد} (رقم ٤٨٤٨) ومسلم في كتاب الجنة، باب: النار يدخلها الجبارون (رقم ٢٨٤٨).

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] فقد أمرنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالأخذ بما جاء، والنهي عما نهى).

[وأسماؤه وصفاته غير مخلوقة، نعوذ بالله من الزلل والارتياب والشك، إنه على كل شيء قدير].

(قال إبراهيم لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم: ٤٢] فنثبت أن الله سميع بصير، صفاته منه، لا نتعدى القرآن والحديث والخبر، يضحك الله، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبتثبيت القرآن، لا يصفه الواصفون، ولا يحده أحد، تعالى الله عما تقوله الجهمية والمشبهة.

قيل له: ولا يشبه ربنا شيئًا من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه؟

قال: نعم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾).

(قال حنبل: سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروى أن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا، وأن الله تعالى يُرى، وأن الله تعالى يضع قدمه، وما أشبه هذه الأحاديث.

فقال أبو عبد الله: نؤمن بها ونصدق بها، ولا كيف ولا معنى، ولا نرد منها شيئًا، ونعلم أن ما جاءت به الرسل حق، ونعلم أن ما ثبت عن الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق إذا كانت بأسانيد صحيحة، ولا نرد على قوله، ولا نصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأعظم مما وصف به

نفســه، بــلا حــد ولا غايــة)[(١)].

(١) رواه الخلال في «السنة» (٥/ ١٢٦رقم ١٧٧٩) عن صالح من أوله إلى قوله:(سمعه أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من النبي، فالقرآن كلام الله غير مخلوق) وقد زاده صالح على رواية الجماعة، متصلًا عنده بتقسيم الجهمية إلى ثلاث فرق، مما يؤكد أنه جزء من الكتاب، وأنه يأتي بعد الكلام عن تقسيم فرق الجهمية. وكذا هو في رسالة إبراهيم الحربي في «القرآن» (ص ٣٥ رقم ٢) من زيادات راوي النسخة عن صالح بن أحمد، كما سبق في أول حاشية.

ورواه الخلال أيضًا في «السنة» (رقم ١٨٥٨) عن عبيد الله بن حنبل، عن أبيه حنبل بن إسحاق، عن الإمام أحمد، واللفظ له، من أوله إلى قوله: (لا يبلغ وصفه الواصفون، وهو كما وصف نفسه) واقتصر صالح على أول الآية {فأجره حتى يسمع كلام الله}.

ورواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٧٩): (أخبرنا محمد بن علي أبو بكر، أن يعقوب بختان سأل أبا عبد الله عمن قال القرآن مخلوق، فقال: كنت أهاب أن أقول كافر، فرأيت قول **الله** عَزَّوَجَلَّ: {فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم}).

ورواه أيضًا في (رقم ١٨٨٠) قال: (وأخبرنا محمد بن داود قال: ثنا حنبل قال: سمعت أبا عبد الله، وسأله ابن الدورقي فقال: قد كنا نهاب الكلام في هذا، ثم بان لنا الحكم، يقول الله في كتابه: {فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم}).

وكل هذه النصوص المختصرة جزء من النص المطول المذكور بالأعلى. وما بين المعكفوين زيادات ابن بطة، وما بين القوسين زيادات ابن تيمية عن الخلال، وكلها تؤكد أن النص من كتاب واحد، جرى تقطيعه وتشعيثه في المصادر اللاحقة، بحسب الاستشهاد بنصوص الإمام أحمد، ووضعتُ كل زيادة في موضعها المناسب في السياق بدلالة ما قبلها أو ما بعدها على موضعها، إذ النصوص يكمل بعضها بعضًا.

ورواية صالح وحنبل تؤكد اتصال هذا النص بنص تقسيم الجهمية إلى ثلاث فرق. وهذا النص الطويل المهم في الرد على الجهمية غير موجود في النسخة المنسوبة للإمام أحمد!

وقد روى بعضه أيضًا ابن بطة في «الإبانة» في «الرد على الجهمية» (٣/ ٣٢٦ رقم ٢٥٢) والزيادات ما بين المعكوفين [ ] في الأعلى منه، قال: (حدثني أبو بكر عبد العزيز بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد بن غياث، ثنا حنبل قال: سمعت أبا عبد الله يقول: نعبد الله بصفاته كما وصف به نفسه، قد أجمل الصفة لنفسه، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه تعالى ذكره صفة من صفاته شناعة شنعت، ولا نزيل ما وصف

به نفسه من كلام، ونزول، وخلوه بعبده يوم القيامة، ووضع كنفه عليه، هذا كله يدل على أن الله يرى في الآخرة، والتحديد في هذا بدعة، والتسليم لله بأمره، ولم يزل الله متكلمًا عالمًا غفورًا، عالم الغيب والشهادة، عالم الغيوب، فهذه صفات الله وصف بها نفسه، لا تدفع ولا ترد، وقال: {لا إله إلا هو الحي القيوم} آية الكرسي {لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر} هذه صفات الله وأسماؤه.

وهو على العرش بلا حد، وقال: {ثم استوى على العرش} كيف شاء؛ المشيئة إليه والاستطاعة، و{ليس كمثله شيء} كما وصف نفسه سميع بصير بلا حد ولا تقدير.

قلت لأبي عبد الله: والمشبهة ما يقولون؟

قال: بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي، فقد شبه الله بخلقه وهذا كلام سوء، والكلام في هذا لا أحبه، وأسماؤه وصفاته غير مخلوقة، نعوذ بالله من الزلل والارتياب والشك، إنه على كل شيء قدير).

وكذا أورد أجزاء من هذا النص نقلًا عن الخلال في «السنة» ابنُ تيمية في عدد من كتبه - والزيادات بين قوسين () في الأعلى منه - كما في «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٣٢):

(وقال حنبل في موضع آخر عن أحمد، قال: ليس كمثله شيء في ذاته كما وصف به نفسه قد أجمل تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالصفة لنفسه فحد لنفسه صفة، ليس يشبهه شيء، فنعبد الله بصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه. قال: فهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير ولا يبلغ الواصفون صفته، وصفاته منه وله، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك، ولا تبلغه صفة الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، وما وصف به نفسه من كلام ونزول وخلوه بعبده يوم القيامة ووضعه كتفه عليه - هذا كله يدل على أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يرى في الآخرة، والتحديد في هذا كله بدعة، والتسليم لله بأمره بغير صفة ولا حد، إلا ما وصف به نفسه؛ سميع بصير، لم يزل متكلمًا عالمًا غفورًا، عالم الغيب والشهادة علام الغيوب، فهذه صفات وصف الله بها نفسه، لا تدفع ولا ترد، وهو على العرش بلا حد، كما قال تعالى: {ثم استوى على العرش} كيف شاء المشيئة إليه عَزَّوَجَلَّ والاستطالة له {ليس كمثله شيء} وهو {خالق كل شيء} وهو كما وصف نفسه سميع بصير، بلا حد ولا تقدير. قول إبراهيم لأبيه: {يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر} فنثبت أن الله سميع بصير صفاته منه، لا نتعدى القرآن والحديث، والخبر

بضحك الله، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبتثبيت القرآن، لا يصفه الواصفون ولا يحده أحد، تعالى الله عما تقوله الجهمية والمشبهة.

قلت له: والمشبهة ما يقولون؟

قال: من قال: بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي، فقد شبه الله بخلقه، وهذا يحده، وهذا كلام سوء وهذا محدود، والكلام في هذا لا أحبه.

وقال محمد بن مخلد: قال أحمد: نحن نصف الله بما وصف نفسه وبما وصفه به رسوله.

وقال يوسف بن موسى: إن أبا عبد الله قيل له: ولا يشبه ربنا شيئًا من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه؟ قال: نعم ليس كمثله شيء).

وقال ابن تيمية في «التسعينية» (١/ ٣١٧): (وقال حنبل في موضع آخر: قال: ليس كمثله شيء في ذاته، كما وصف به نفسه، وقد أجمل تَبَارَكَ وَتَعَالَى بالصفة لنفسه فحد لنفسه صفة، ليس يشبهه شيء، فنعبد الله بصفاته، غير محدودة ولا معلومة، إلا بما وصف به نفسه، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {وهو السميع البصير}.

قال حنبل في موضع آخر: {وهو السميع البصير} بلا حد ولا تقدير، ولا يبلغه الواصفون، وصفاته منه وله، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك، ولا تبلغه صفة الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته بشناعة شنعت ووصف وصف به نفسه من كلام، ونزول، وخلوة بعبده يوم القيامة، ووضعه كنفه عليه، هذا كله يدل على أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يرى في الآخرة، والتحديد في هذا بدعة، والتسليم لله بأمره بغير صفة ولا حد، إلا بما وصف به نفسه سميع بصير لم يزل متكلمًا عليمًا غفورًا، عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب، فهذه صفات وصف بها نفسه لا ترد ولا تدفع، وهو على العرش بلا حد، كما قال تعالى: {ثم استوى على العرش} كيف شاء، المشيئة إليه عَزَّ وَجَلَّ والاستطاعة له {ليس كمثله شيء} و{هو خالق كل شيء} وهو كما وصف نفسه سميع بصير بلا حد ولا تقدير [وقال تعالى حكاية عنه] قول إبراهيم لأبيه: {لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر} فثبت أن الله سميع بصير، فصفاته منه لا نتعدى القرآن والحديث، والخبر يضحك الله، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول وتثبيت القرآن، لا يصفه الواصفون ولا يحده أحد، تعالى الله عما يقوله الجهمية والمشبهة.

قلت له: والمشبهة ما يقولون؟

قال: من قال: بصر كبصري، ويد كيدي - وقال حنبل في موضع آخر: وقدم كقدمي - فقد شبه الله بخلقه، وهذا يحده، وهذا كلام سوء، وهذا محدود، الكلام في هذا لا أحبه.

قال عبد الله: «جردوا القرآن».

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يضع قدمه» نؤمن به ولا نحده ولا نرده على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل نؤمن به، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا} فقد أمرنا الله عَزَّ وَجَلَّ بالأخذ بما جاء، والنهي عما نهى، وأسماؤه وصفاته غير مخلوقة، ونعوذ بالله من الزلل والارتياب والشك، إنه على كل شيء قدير.

قال الخلال: وزادني أبو القاسم ابن الجبلي، عن حنبل في هذا الكلام، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: {لا إله إلا هو الحي القيوم} {لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر} هذه صفات **الله** عَزَّ وَجَلَّ وأسماؤه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ).

وذكره ابن تيمية أيضًا في «تلبيس الجهمية» (٢/ ٦٢١) فقال: (وروى الخلال أيضًا في كتاب «السنة»: أخبرني يوسف بن موسى أن أبا عبد الله قيل له: ولا يشبه ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شيئًا من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه؟ قال: نعم {ليس كمثله شيء}.

قال: أخبرني عبيد الله بن حنبل، حدثني أبي حنبل بن إسحاق قال: قال عمي: نحن نؤمن بأن الله تعالى على العرش كيف شاء وكما شاء، بلا حد ولا صفة يبلغها واصف، أو يحده أحد، فصفات الله له ومنه، وهو كما وصف نفسه، لا تدركه الأبصار بحد ولا غاية، وهو يدرك الأبصار، وهو عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب، ولا يدركه وصف واصف، وهو كما وصف نفسه، ليس من الله تعالى شيء محدود، ولا يبلغ علم قدرته أحد، غلب الأشياء كلها بعلمه وقدرته وسلطانه {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} وكان الله تعالى قبل أن يكون شيء، والله تعالى الأول وهو الآخر، ولا يبلغ أحد حد صفاته، والتسليم لأمر الله، والرضا بقضائه، نسأل الله التوفيق والسداد إنه على كل شيء قدير).

وقال أيضًا في (٢/ ٦٢٢ - ٦٢٨): (قال الخلال: وأخبرني علي بن عيسى أن حنبلًا حدثهم قال: سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروى أن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا، وأن الله تعالى يرى، وأن الله تعالى يضع قدمه وما أشبه هذه الأحاديث.

فقال أبو عبد الله: نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف، ولا معنى، ولا نرد منها شيئًا، ونعلم أن ما جاءت به الرسل حق، ونعلم أن ما ثبت عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق إذا كانت

بأسانيد صحيحة، ولا نرد على قوله، ولا نصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأعظم مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية.

وقال حنبل في موضع آخر: ليس كمثله شيء في ذاته كما وصف به نفسه قد أجمل تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالصفة لنفسه، فحد لنفسه صفة ليس يشبهه شيء، فيعبد الله تعالى بصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف نفسه، قال تعالى: {وهو السميع البصير}.

وقال حنبل في موضع آخر قال: فهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير، ولا يبلغ الواصفون صفته، وصفاته منه وله ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال ونصفه كما وصف نفسه تعالى ولا نتعدى ذلك، ولا تبلغه صفة الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، وما وصف به نفسه من كلام ونزول وخلوه بعبده يوم القيامة ووضع كنفه عليه، هذا كله يدل على أن الله تعالى يرى في الآخرة، والتحديد في هذا بدعة، والتسليم لله بأمره بغير صفة ولا حد إلا ما وصف به نفسه؛ سميع بصير، لم يزل متكلمًا حيًّا عالمًا غفورًا، عالم الغيب والشهادة علام الغيوب، فهذه صفاته وصف بها نفسه، لا تدفع ولا ترد، وهو على العرش بلا حد كما قال: {ثم استوى على العرش} كيف شاء، المشيئة إليه عَزَّوَجَلَّ والاستطاعة له {ليس كمثله شيء} وهو {خالق كل شيء} وهو كما وصف نفسه؛ سميع بصير، بلا حد ولا تقدير، قال إبراهيم لأبيه: {لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا} فثبت أن الله سميع بصير، صفاته منه، لا نتعدى القرآن والحديث، والخبر يضحك الله، ولا يعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبتثبيت القرآن، لا يصفه الواصفون ولا يحده أحد، تعالى الله عما يقول الجهمية والمشبهة.

وقال أبو عبد الله: قال لي إسحاق بن إبراهيم لما قرأ الكتاب بالمحنة: تقول {ليس كمثله شيء}؟ فقلت له: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} قال: ما أردت بها؟ قلت: القرآن صفة من صفات الله وصف بها نفسه، لا ننكر ذلك ولا نرده.

قلت له: والمشبهة ما يقولون؟

قال: من قال: بصر كبصري ويد كيدي - وقال حنبل في موضع آخر: وقدم كقدمي - فقد شبه الله تعالى بخلقه، وهذا يحده، وهذا كلام سوء، وهذا محدود، والكلام في هذا لا أحبه، قال عبد الله: جردوا القرآن. وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يضع قدمه» نؤمن به ولا نحده ونرده على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل نؤمن به، قال الله تعالى: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا} فقد أمرنا **الله** عَزَّوَجَلَّ بالأخذ بما جاء به والنهي عما نهى، وأسماؤه وصفاته منه غير مخلوقة، ونعوذ بالله من الزلل والارتياب والشك إنه

قال الإمام أحمد:

*** القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: القرآن مخلوق، فهو كافر بالله واليوم الآخر.**

والحجة فيه: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ٦١].

وقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

وقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد: ٣٧].

والذي جاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (به من العلم هو) القرآن (وهو العلم الذي جاءه) والذي جاءه العلم غير مخلوق، والقرآن من العلم، وهو كلام الله.

[﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩-٦٠].

على كل شيء قدير.

وقال الخلال وزادني أبو القاسم الجبلي عن حنبل في هذا الكلام: وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الله {لا إله إلا هو الحي القيوم} {لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر} هذه صفات **الله** عَزَّ وَجَلَّ وأسماؤه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ).

وقوله «زادني الجبلي عن حنبل في هذا الكلام» يؤكد أنه نص كتاب مطول.

وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وقال: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فأخبره أن أمره هو القول، وفرق بين خلقه وأمره، فقال]: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن: ١-٣] وقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فأخبر أنه خلق الخلق، والأمر غير الخلق، وهو كلام الله، وأن الله عَزَّوَجَلَّ لم يخل من العلم.

[وقال تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥].

وقال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] والذكر هو القرآن، وأن الله لم يخل منهما، ولم يزل الله متكلمًا عالمًا، وأن الله لم يخل من العلم والكلام، وليسا من الخلق؛ لأنه لم يخل منهما، فالقرآن من علم الله، وهو كلامه.

[وقال أبو ذر عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عطائي كلامٌ، وعذابي كلامٌ»[1] فأخبر تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن الخلق يكون بكلامه، وفرق بين الخلق والأمر].

وقال ابن عباس: أولُ ما خلق الله القلم، فقال له: اكتُب. فقال: يا ربّ، وما أكتُب؟ قال: اكتُب القدر. فجرى بما هو كائنٌ من ذلك اليوم إلى قيام الساعة.

رواه الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس.

وأبو الضحى، عن ابن عباس.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٥٤) والترمذي في كتاب صفة القيامة (رقم ٢٤٩٥) وحسنه.

وروواه منصور بن زاذان.

وروواه مجاهد، عن ابن عباس.

وروواه عروة بن عامر، عن ابن عباس.

وحدث به الحكم، عن أبي ظبيان عن ابن عباس.

فكان أول ما خلق الله عَزَّوَجَلَّ (من خلقه) القلم.

[فالقرآن كلام الله، ومن علم الله، وليس بمخلوق، ولم يزل الله عالمًا متكلمًا].

وفي هاتين الآيتين الرد على الجهمية: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: ٢٢] وقال: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥]

وهؤلاء يقولون إنه مخلوق!

وفي هذه الآيات أيضًا دليل على أن الذي جاء هو القرآن لقوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [البقرة: ١٤٥][(١)].

(١) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٨٢) قال: (وأخبرنا أبو بكر المروذي قال: سمعت أبا عبد الله يقول. فذكره، ثم قال بعد قوله: متكلمًا عالمًا. وقال في موضع آخر. فذكر الباقي، وقول الخلال «وقال في موضع آخر» يؤكد أنه يروي كتابًا عن المروذي عن الإمام أحمد «الرد على الجهمية» ويقتبس من كل موضع ما يراه مناسبا للباب. وقال بعد قوله: (والقرآن من علم الله وهو كلامه. وأخرج المروذي الفعل من الكلام، وزاد المروذي عن أبي عبدالله: قال: وقال ابن عباس..).

وروواه أيضًا ابن بطة في «الإبانة» في الرد على الجهمية (٣/ ٢٦ رقم ٢١٨) وما بين القوسين في الأعلى منه قال: (وأخبرني أبو صالح، وحدثنا أبو حفص، قالا: حدثنا محمد بن داود بن جعفر البصروي قال: حدثنا أبو بكر المروذي قال: سمعت أبا عبد الله

فذكره مطولا، كما رواه الخلال عن المروذي).

ورواه الخلال أيضًا في «السنة» (رقم ١٩٠٩ ، ١٩١٠) وما بين المعكوفين في الأعلى زيادات منه، قال: (أخبرنا أحمد بن محمد بن الحجاج أبو بكر المروذي قال: أمرني أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل أن أكتب إلى رجل بلغه عنه الشك، قال: وكتبت ما يقوله وبينت ما جرى فيه) وهي رسالة طويلة راجعها الإمام أحمد وصححها، وقد ضمنها جزءًا كبيرًا من كتابه «الرد على الجهمية» وهو النص التالي في الرسالة بين قوسين.

قال الخلال: وأخبرنا أبو بكر المروذي قال: أمرني أبو عبدالله [أحمد بن حنبل] أن أكتب إلى محمد بن حمدون الأنطاكي مواعظ في بعض الكتاب، وكتبت الكتاب فعرضته عليه فصححه بيده... قال أبو بكر المروذي: وزاد أبو عبد الله فيه ونقص، ثم أمرني أن أوجه به إليه وهذه نسخته:

أحسن الله إلينا وإليك في الأمور كلها برحمته، وأعاذنا وإياك من الأهواء المردية والفتن المضلة بقدرته، ومن علينا وعليك بالتمسك بكتابه والعمل بطاعته، الذي حملني على الكتاب إليك، وإن لم يجر بيني وبينك خلطة، ما أوجبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على المؤمنين من النصح بعضهم لبعض، وما رأيته من اغتمام أبي عبد الله بأمرك للمكان الذي كنت فيه من قلبه، ومذهبك في اتباعك الآثار وتركك من خالفها ومجانبتهم، بلغه عنك الشك في القرآن، وأنك لا تقول القرآن غير مخلوق!

وأبو عبد الله يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه من الله، ويحتج لذاك بغير شيء، قال **الله** عَزَّوَجَلَّ: {ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير} {ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق} وقال: {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين} وقال: {ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم...} الآية، فالقرآن من العلم الذي جاء.

وقال: {ألا له الخلق والأمر} فأخبر أن الخلق غير الأمر. وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: {ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره} وقال: {إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون} وقال: {إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون}فأخبره أن أمره هو القول، وفرق بين خلقه وأمره، فقال: {الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان} وقال أبو ذر عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «عطائي كلام وعذابي كلام» فأخبر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن الخلق يكون بكلامه، وفرق بين الخلق والأمر.

وقال ابن عباس: إن أول ما خلق الله عَزَّوَجَلَّ القلم فقال له أكتب. فقال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب القدر. فجرى بما هو كائن إلى قيام الساعة.

ورواه الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس.

ورواه وكيع، وأبو معاوية، والثوري، وشعبة.

وحدث به عن الحكم، عن أبي ظبيان.

رواه منصور بن زاذان، ورواه مجاهد، عن ابن عباس.

وعروة بن عامر، عن ابن عباس.

وأبو الضحى، عن ابن عباس.

فكان أول ما خلق الله القلم. فالله لم يخل من العلم والكلام، وليسا من الخلق؛ لأنه لم يخل منها. فالقرآن كلام الله ومن علم الله، وليس بمخلوق، ولم يزل الله عالمًا متكلمًا).

وقال المروذي في آخره: (هذا آخر الكتاب الذي سطر أبو عبد الله [أحمد بن حنبل] فيه وصححه بخطه).

وقول المروذي في هذه الرسالة للأنطاكي: (وأبو عبد الله يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه من الله..) كل ذلك نقل من كتاب الإمام أحمد «الرد على الجهمية» اقتبسه من كلامه في هذه المسألة وضمنه رسالته، وعرضها على الإمام أحمد وراجعها وصححها.

ورواه أيضًا الخلال في «السنة» رقم (١٩٠١) فقال: (وأخبرني عبد الله بن أحمد قال: سمعت أبي يقول: قال الله عَزَّوَجَلَّ: {فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم} وقال الله تَبَارَكَوَتَعَالَى: {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير} وقال: {ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده} وقال: {ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب}..).

وهنا جرد عبدالله النص السابق من كلام أبيه واقتصر على الآيات، وهي فهرسة لها، وسيأتي كاملًا. ولم يرد هذا النص المهم المتواتر عن أحمد في رده على الجهمية في النسخة المنسوبة له بكل مخطوطاتها!

* قال الله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن: ١-٣] ففرق بين العلم والخلق(١).

* وقال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وقال: قال: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص: ١] فالذكر هو القرآن، وليس بمخلوق. وقال: هذا شيء فتح لي(٢).

قال الإمام أحمد:

* قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥] فمن زعم أن دعوة الله عَزَّوَجَلَّ مخلوقة فقد كفر(٣).

[القرآن كلام الله حيثما تصرف]:

وقال:

---

(١) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٩٠٠) قال: (أخبرني محمد بن أبي هارون أن حبيش بن سندي حدثهم، عن أبي عبد الله قال) فذكره. وهو جزء من النص السابق، مما يؤكد أنه جزء من كتاب «الرد على الجهمية» يرويه كثير من أصحاب أحمد عنه، ولم يرد في كل نسخ «الرد على الجهمية» المنسوب للإمام أحمد!

(٢) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٩٠٢) قال: (وأخبرني أحمد بن محمد بن مطر أن أبا طالب حدثهم قال: سمعت أبا عبد الله قال) فذكره. وقد أورده الخلال بعد النص السابق وهو قوله: و»من الحجة فيه {فمن حاجك...}» ولم يرد هذا النص في كتاب «الرد على الجهمية» المنسوب للإمام أحمد!

(٣) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٩٠٣) قال: (أخبرنا محمد بن العباس قال: سمعت أبا علي الصائغ - وكان من كبار أصحاب إدريس الحداد المقري - قال: سمعت عمران التمار يقول: قال أحمد بن حنبل) فذكره. وقد أورده بعد النص السابق، مما يرجح أنها كلها في سياق واحد في الاحتجاج بالآيات القرآنية على الجهمية.

* القرآن كلام الله غير مخلوق، بكل جهة، وعلى كل تصريف، وليس من الله شيء مخلوق، ولا يخاصم في هذا، ولا تكلم فيه، ولا أرى الجدال والمراء فيه[(١)].

***قال الإمام أحمد:**

حدثنا ابن مهدي، عن معاوية بن صالح، عن العلاء بن الحارث، عن زيد بن أرطاة، عن جبير بن نفير، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنكم لن ترجعوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ بشيء أفضل مما خرج منه: يعني القرآن»[(٢)].

[باب: أول ما خلق الله القلم]:

*** قال الإمام أحمد:**

وقول ابن عباس حجة عليهم: أول ما خلق الله القلم. وكلام الله قبل أن يخلق القلم[(٣)].

(١) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٤٧): (أخبرني حنبل بن إسحاق بن حنبل قال: سمعت أبا عبد الله يقول) فذكره.

(٢) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٩١٤) قال: (ثنا أبو بكر المروذي، ثنا أبو عبدالله أحمد ابن حنبل) به. وقد رواه بعد رسالة الإمام أحمد لمحمد بن حمدان الأنطاكي، وقد ورد فيها الحديث بلا إسناد، فذكره المروذي بعدها عن الإمام أحمد بإسناده.

(٣) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٨٣): (وأخبرني محمد بن أبي هارون، ومحمد بن جعفر، أن أبا الحارث حدثهم: سمعت أبا عبدالله) فذكره.

وكذا رواه ابن بطة في «الإبانة» في الرد على الجهمية (٣/ ٢٢ رقم ٢١٥): (حدثني أبو صالح محمد بن أحمد قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن داود قال: حدثنا أبو الحارث قال: سمعت أبا عبد الله) فذكره.

وقال الخلال بعده (رقم ١٨٨٤): (ومن طريقه ابن بطة أيضًا في المصدر السابق (رقم ٢١٦، ٢١٧): (وأخبرني أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة قال: سمعت لُوينًا يقول:

[طرق حديث ابن عباس في أول ما خلق الله القلم]:

* قال عبدالله بن أحمد: قلت لأبي: إن لُوينًا محمد بن سليمان الأسدي يقول: أول ما خلق الله القلم، فأول الخلق القلم، وكلام الله قبل الخلق والقلم، والله عَزَّوَجَلَّ لم يزل متكلمًا قبل أن يخلق الخلق. فأعجبه هذا واستحسنه.

قال عبدالله: حدثني أبي، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا منصور - يعني ابن زاذان - عن الحكم بن عتبة، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال: إن أول ما خلق الله القلم، قال: فأمره، فكتب ما هو كائن، ومما هو كائن ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].

وقال: وحدثني أبي قال: ثنا وكيع قال: ثنا الأعمش، عن أبي ظبيان - قال وكيع: هو حصين بن جندب - عن ابن عباس قال: إن أول ما خلق الله من شيء القلم، فقال له: اكتب. فقال: يا رب، وما أكتب؟ فقال: اكتب القدر. قال: فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم إلى قيام الساعة. ثم خلق النون، فدحا الأرض عليها،

القرآن كلام الله غير مخلوق، ما أنا قلته! ولكن ابن عباس قاله، حدثنا هشيم قال: ثنا منصور بن زاذان، عن الحكم، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم. قال لوين: فأخبر ابن عباس أن أول ما خلق الله القلم، وقال **الله** عَزَّوَجَلَّ: {إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون} فإنما خلق الخلق بكن، وكلامه قبل الخلق.

قال أبو بكر بن صدقة: قال الفضل بن زياد: فدخلت على أبي عبد الله أحمد بن حنبل، وقد كنت حضرت مجلس لوين، فقال لي: يا أبا العباس، حضرت مجلس هذا الشيخ؟ قلت: نعم. قال: سمعت ما قال الشيخ في القرآن؟ فقلت: نعم. قال: سبحان الله! كأنما كان على وجهي غطاء فكشفته عنه، أما سمعت قوله: أول ما خلق الله القلم، وإنما خلق القلم بكلامه، وكان كلامه قبل خلقه. ثم قال لي: تعلم أن واحد الكوفيين واحدٌ! يعني أن لُوينًا أصله كوفي.

فارتفع بخار الماء، ففتق منه السماوات، فاضطرب النون، فمالت، أو فمادت الأرض، فأُثبتت بالجبال، فإن الجبال لتفخر على الأرض يوم القيامة.

وقال: وحدثني أبي قال: ثنا عبد الرزاق قال: ثنا معمر والثوري، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال: إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: يا رب، ما أكتب؟ قال: اكتب القدر. فجرى القلم لما هو كائن في ذلك اليوم إلى قيام الساعة، ثم طوى الكتاب ورفع القلم، ثم رفع بخار الماء، ففتقت السماوات، ثم خلقت النون، ثم بسط عليها الأرض، والأرض على ظهر النون، فاضطرب النون، فمادت الأرض، ثم خلق الله الجبال فأثبتها، فإن الجبال لتفخر على الأرض إلى يوم القيامة. ثم قرأ ابن عباس: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢﴾ [القلم: ١-٢].

وقال: وحدثني أبي قال: ثنا عتاب قال: ثنا هاشم قال: ثنا عطاء بن السائب قال: حدثني أبو ظبيان، عن عطية وابن عباس قالا: إن أول شيء خلقه الله القلم، وأمره أن يكتب، فالناس يجرون فيما كتب إلى يوم القيامة.

وقال: حدثني أبي قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن أبي الضحى، عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم، ثم قال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة.

وقال: وحدثني أبي قال: ثنا محمد بن جعفر قال: ثنا شعبة، عن سليمان - يعني الأعمش - عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال:

إن أول ما خلق الله من شيء القلم، فجرى بما هو كائن، ثم رفع بخار الماء، ففتقت منه السموات، ثم خلقت النون، فبسط الأرض على النون، فتحركت النون، فمادت الرض، فأثبتت بالجبال. فإن الجبال لتفخر على الأرض. ثم قرأ: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾ [القلم: ١-٢].

وقال: حدثني أبي قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن الأعمش قال: سمعت أبا ظبيان يحدث عن ابن عباس. فذكر الحديث.

وقال: حدثني أبي قال: ثنا أبو معاوية وابن نمير وأسباط، قالوا: ثنا الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب. قال: يا رب، وما أكتب؟ قال: اكتب القدر. قال: فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى يوم القيامة. فذكر الحديث.

وقال: وحدثني أبي قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن الأعمش، عن هشام - يعني الدستوائي - قال: ثنا القاسم بن أبي بزة، عن عروة بن عامر قال: سمعت ابن عباس يقول: أول ما خلق الله القلم، فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق. قال: كتاب عنده. ثم قرأ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[1] [الزخرف: ٤].

---

(١) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٨٧ - ١٨٩٧): (وأخبرني عبدالله) فذكر هذه الآثار بإسناده عن أبيه. وكان الإمام قد امتنع عن التحديث بالإسناد، وحلف على ذلك خشية أن يوكل إليه الخليفة المتوكل إقراء ابنه المعتز، وخص بعد ذلك أهل بيته بالتحديث. ومن طريق

[باب النهي عن الخوض في القرآن وأنه من علم الله، وعلم الله غير مخلوق]:

* **قال الإمام أحمد:**

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؛ فإن ذلك يوقع الشك في قلوبكم[(١)].

وذكر عن عبد الله بن عمرو أن نفرًا كانوا جلوسًا، فإذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال بعضهم: ألم يقل الله عَزَّ وَجَلَّ كذا؟ وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا؟ فسمع ذلك النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فخرج وكأنما فُقِئ في وجهه حب الرمان، فقال: «أبهذا أُمرتم؛ أن تضربوا كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ بعضه ببعض! إنما ضلّت الأممُ قبلكم في مثل هذا، إنكم لستم فيما ها هنا في شيء، انظروا الذي أُمرتم به فاعملوا به، وانظروا الذي نُهيتم عنه فانتهُوا»[(٢)].

وروي عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مِراءٌ في القرآن كفر»[(٣)].

وروي عن أبي جُهيم - رجل من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: لا تماروا في القرآن؛ فإن مراء في القرآن كفر[(٤)].

قال ابن عباس: قدم على عمر بن الخطاب رَحِمَهُ اللَّهُ رجل،

الخلال روى ابن بطة في المصدر السابق (رقم ٢١٧) قصة عبدالله مع أبيه في شأن لوين.

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٩٥) بإسناد حسن.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١١/ ٤٣٤ رقم ٦٨٤٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٨٦، ٤٢٤، ٤٧٥، ٥٢٨) بإسناد حسن.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٦٩) بإسناد صحيح.

فجعل عمر يسأل عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا. فقال ابن عباس: فقلت: والله ما أحب أن يسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة! قال: فزبرني عمر، وقال: مه! قال: فانطلقت إلى منزلي مكتئبًا حزينًا، فبينما أنا كذلك إذ أتاني رجل فقال: أجبْ أمير المؤمنين. فخرجت، وإذا هو بالباب ينتظرني، فأخذ بيدي فخلا بي فقال: ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفًا؟ قلت: يا أمير المؤمنين: متى ما يتسارعون هذه المسارعة يحتقوا، ومتى يحتقوا يختصموا، ومتى ما يختصموا يختلفوا، ومتى ما يختلفوا يقتتلوا. قال: فقال: لله أبوك! إن كنت لأكاتم به الناس حتى جئت بها[1].

وروي عن جابر بن عبد الله قال: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «هل من رجل يحملني إلى قومه؛ فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»[2].

وروي عن جبير بن نفير قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنكم لن ترجعوا إلى الله أفضل مما خرج منه» يعني القرآن[3].

وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: جرِّدوا القرآن ولا

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (رقم ٢١٢٩٠).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٣١٠) والحاكم في صحيحه (رقم ٤٢٢٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) رواه أحمد في الزهد (رقم ١٨٨) والترمذي (رقم ٢٩١٢) مرسلاً، والحاكم (رقم ٣٦٥١) موصولًا عن جبير، عن عقبة بن عامر الجهني، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

تكتبوا فيه شيئًا إلا كلام الله عَزَّوَجَلَّ[١].

وروي عن عمر بن الخطاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: إن هذا القرآن كلام الله، فضعوه على مواضعه[٢].

وقال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد، إني إذا قرأت كتاب الله وتدبرته ونظرت في عملي كدت أن آيس وينقطع رجائي! فقال له الحسن: إن القرآن كلام الله، وإن أعمال بني آدم إلى الضعف والتقصير، فاعمل وأبشر.

وقال فروة بن نوفل الأشجعي: كنت جارًا لخباب - وهو من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فخرجت معه يومًا من المسجد، وهو آخذ بيدي، فقال: يا هناه، تقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بما استطعت، فإنك لن تقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بشيء أحب إليه من كلامه.

وقال رجل للحكم بن عتيبة: ما حمل أهل الأهواء على هذا؟ قال: الخصومات.

وقال معاوية بن قرة، وكان أبوه ممن أتي النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إياكم وهذه الخصومات فإنها تحبط الأعمال.

وقال أبو قلابة، وكان قد أدرك غير واحد من أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تجلسوا أهل الأهواء - أو قال: أصحاب الخصومات - فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢٤٠) بإسناد صحيح.

(٢) رواه أحمد في الزهد (رقم ١٨٩) وزاد: (ولا تتبعوا فيه أهواءكم) وفي إسناده ضعف.

عليكم بعض ما تعرفون.

ودخل رجلان من أهل الأهواء على محمد بن سيرين فقالا: يا أبا بكر، نحدثك بحديث؟ قال: لا. قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟ قال: لا. لتقومانِ عني أو لأقومن. فقام الرجلان فخرجا، فقال بعض القوم: يا أبا بكر، وما كان عليك إن قرآ عليك آية من كتاب الله؟ قال محمد بن سيرين: إني خشيت أن يقرآ عليّ آية فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي، ولو أعلم أني أكون مثل ما أكون الساعة لتركتهما.

وقال رجل من أهل البدع لأيوب السختياني: يا أبا بكر، أسألك عن كلمة؟ فولى وهو يقول: ولا نصف كلمة.

وقال طاووس لابن له، وتكلم رجل من أهل البدع: يا بني، أدخل أصبيعك في أذنيك ولا تسمع ما يقول. ثم قال: اشدد اشد.

وقال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل.

وقال إبراهيم النخعي: إن القوم لم يدخر عنهم شيء خُبّئ لكم لفضل عندكم.

وقال الحسن البصري: شر داء خلط قلبًا. يعني الهوى.

وقال حذيفة بن اليمان، وكان من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اتقوا الله - معاشر القراء - وخذوا طريق من كان قبلكم، والله لئن استقمتم لقد سُبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن تركتموه يمينًا وشمالًا لقد

ضللتم ضلالًا بعيدًا. أو قال: مبينًا[(١)].

قال: وإنما تركت ذكر الأسانيد لما تقدم من اليمين التي حلفت بها مما قد علمه أمير المؤمنين، ولولا ذلك لكتبتها بأسانيدها.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ ثناؤه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦].

وقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فأخبر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالخلق، ثم قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ فأعلم عَزَّوَجَلَّ أن الخلق غير الأمر.

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤] فأخبر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن القرآن من علمه، إذ قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

وقال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ۝٣٧﴾ [الرعد: ٣٦] فالقرآن من علم الله عَزَّوَجَلَّ.

وفي هذه الآيات دليل على أن الذي جاءه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو القرآن لقوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾.

---

(١) رواه البخاري (رقم ٧٢٨٢).

وقد روى عن غير واحد من مضى من سلفنا أنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله، وليس بمخلوق، وهذا الذي أذهب إليه، ولست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء إلا ما كان في كتاب الله، أو حديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو عن أصحابه رَحِمَهُمُ اللَّهُ أو عن التابعين، فأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود[(١)].

(١) رواه صالح بن أحمد في مسائله عن أبيه (٢/ ٤١٩ رقم ١١٠٤) ومن طريقه إبراهيم الحربي في «رسالة القرآن» (ص ٤٧) قال صالح: (كتب عبيد الله بن يحيى إلى أبي رحمة الله عليه، يخبره: إن أمير المؤمنين أمرني أن أكتب إليك أسألك عن أمر القرآن، لا مسألة امتحان، ولكن مسألة معرفة وبصيرة. فأملى علي أبي رَحِمَهُ اللَّهُ: إلى عبيدالله أحسن الله عاقبتك – أبا الحسن – في الأمور كلها، ودفع عنك مكارة الدنيا والآخرة برحمته، قد كتبت إليك – رضي الله عنك – بالذي سأل عنه أمير المؤمنين بأمر القرآن، بما حضرني.

وإني أسأل الله أن يديم توفيق أمير المؤمنين، فقد كان الناس في خوض من الباطل، واختلاف شديد يغتمسون فيه، حتى أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين، فنفى الله بأمير المؤمنين كل بدعة، وانجلى عن الناس ما كانوا فيه من الذل وضيق المحابس، فصرف الله ذلك كله، وذهب به أمير المؤمنين، ووقع ذلك من المسلمين موقعًا عظيمًا، ودعوا الله لأمير المؤمنين. فأسأل الله أن يستجيب في أمير المؤمنين صالح الدعاء، وأن يتم ذلك لأمير المؤمنين ويزيد في نيته، ويعينه على ما هو عليه.

وقد ذكر عن عبد الله بن عباس، رحمة الله عليه، أنه قال: لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض..) وساق الكتاب كاملًا كما أثبتناه بالأعلى، وقال في أثنائه بعد ذكره للآثار: (وإنما تركت ذكر الأسانيد لما تقدم من اليمين التي قد حلفت بها مما قد علمه أمير المؤمنين لولا ذلك ذكرتها بأسانيدها).

وقول الإمام هنا: (كتبت إليك – رضي الله عنك – بالذي سأل عنه أمير المؤمنين بأمر القرآن، بما حضرني) يرجح أنه كتب الكتاب في مجلسه، لا محبسه كما وقع في بعض الروايات والنسخ.

ورواه أيضًا عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ١٣٣) فقال:(نحن كتبنا الصدر وقرأنا عليه، قال أبو عبدالرحمن [عبد الله بن أحمد]: وكان قال لنا الشيخ [الإمام أحمد]: اذهبوا بهذا الكتاب إلى أبي علي [الوزير عبيدالله] بن يحيى بن خاقان، وكان هو الرسول،

فاقرأوه عليه، فإن أمركم أن تنقصوا منه شيئًا فانقصوا له، وإن زاد شيئًا فردوه إليّ حتى أعرف ذلك. فقرأته عليه فقال: يحتاج أن يزاد فيه دعاء للخليفة، فإنه يسر بذلك. فزدنا فيه هذا الدعاء: كتب عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى أبي يخبره: إن أمير المؤمنين – أطال الله بقاءه – يعني المتوكل، أمرني أن اكتب إليك أسألك عن أمر القرآن، لا مسألة امتحان ولكن مسألة معرفة وبصيرة. وأملى علي أبي إلى عبيد الله بن يحيى: أحسن الله عاقبتك – أبا الحسن – في الأمور كلها، ودفع عنك مكاره الدنيا والآخرة برحمته، فقد كتبت إليك، رضي الله عنك، بالذي سأل عنه أمير المؤمنين أيده الله من أمر القرآن بما حضرني). وقال في أثنائه بعد ذكر الآثار: (قال عبد الله: قال أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإنما تركت ذكر الأسانيد لما تقدم من اليمين التي حلفت بها مما قد علمه أمير المؤمنين أيده الله تعالى، لولا ذلك لذكرتها بأسانيدها..).

ورواه أيضًا الخلال من أربعة طرق صحيحة في «السنة» (رقم ١٩٤٧ – ١٩٥٠) نقلًا من رسالة الإمام أحمد للخليفة المتوكل.

وقد ضمن الإمام أحمد رسالته هذه جزءًا من كتابه «الرد على الجهمية» من قوله: (قال الله جل ثناؤه: {وإن أحد من المشركين استجارك...} ..{لئن اتبعت أهواءهم..}) وهو الجزء نفسه الذي ضمنه رسالته إلى ابن حمدون الأنطاكي، فدل على أن الإمام كان يرسل كتابه «الرد على الجهمية» أو يقتبس منه وينتسخه إلى من يسأله عن هذا الأمر، كما هنا مع المتوكل، وقد قدم الإمام هنا بمقدمة عن النهي عن الخوض في القرآن، وأورد فيها كثيرًا من الآثار عن السلف، فإما أنها جزء من الكتاب في الأصل، أو إضافة عليه بعد سؤال المتوكل، وفي كلا الحالين هي جزء منه، وقد قرأها الإمام أحمد على أبى بكر المروذي، كما قرأه الخلال على عبدالله بن أحمد، ورواها عن صالح بن أحمد، وعن أبي مزاحم موسى، وهو ابن عبيدالله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل، فكأنما اطلع الخلال على أربع نسخ من هذا الكتاب وهي:

١-قال الخلال في «السنة» (رقم ١٩٤٧): (أخبرني أبو بكر المروذي قال: قال أبو عبد الله [أحمد بن حنبل]: قد كتب إلي – يعني المتوكل – يسألني عن القرآن، فكتبت إليه أنه ليس بمخلوق، واحتججت من القرآن. فقرأه علي أبو عبد الله).

وقال الخلال (رقم ١٩٤٨): (وأخبرنا المروذي في موضع آخر قال: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: أجبت في القرآن غير مخلوق في الرسائل التي وردت عليك من الخليفة؟ قال: نعم. قد كتبت إليه. يعني إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان، فقرأ عليّ أبو عبد الله:

كتبت إليك بالذي سأل عنه أمير المؤمنين من أمر القرآن بما حضرني، وقد كان الناس في خوض من الباطل واختلاف شديد ينغمسون فيه، فانجلى عن الناس ما كانوا فيه من الذل وضيق المحابس، فصرف الله ذلك وذهب به، ووقع على المسلمين موقعًا عظيمًا، ودعوا **الله** عَزَّوَجَلَّ لأمير المؤمنين. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض..) وساق الخلال الكتاب كاملًا كما أثبتناه في الأعلى، ثم قال الخلال: (قال عبدالله: قال أبي: وإنما تركت ذكر الأسانيد لما تقدم من اليمين التي حلفت بها مما قد علمه أمير المؤمنين، ولولا ذلك لكتبتها بأسانيدها).

٢-وقال الخلال (رقم ١٩٤٨): (أخبرنا عبد الله بن أحمد قال: أملى عليّ أبي إلى عبيد الله ابن يحيى بن خاقان.

٣-وأخبرنا محمد بن علي قال: ثنا صالح قال: أملى عليّ أبي إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان.

قال أبو بكر الخلال: وهما صادقان، فأرجو أن يكون أملى عليهما جميعًا كما قالا. وذاك أن أبا بكر المروذي قرأ على أبي عبد الله: فكتبت إليك بالذي سأل عنه أمير المؤمنين، وأملى على صالح الكتاب الذي بين يدي أبيه الجواب، وعبد الله أملاها عليه على أبي بكر المروذي، وكان قال حنبل: قال إسحاق..

قال الخلال: فدل على أن القوم كلهم صدقوا فيما قالوا، وهم أهل صدق كلهم والحمد لله، ولكنني بينت هذا لأن يعلم من يسمع قول واحد منهم فيشك فيه فيلبسه؛ لئلا يشك في قلوبهم، وقد كانوا زادوا فيها الدعاء فعرضوه على أبي عبد الله، فوجدته عند أبي مزاحم موسى بن عبيد بن يحيى بن خاقان كيف كان، وجواب كتاب أبي عبد الله إلى عبيد الله خاصة.

٤-فأخبرنا أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان قال: حدثني عبد الله بهذه الرسالة قال: أملى عليّ أبي عبيد الله بن يحيى أحسن الله عاقبتك - أبا الحسن - في الأمور كلها ودفع عنك مكاره الدنيا والآخرة برحمته. وقد كتبت إليك، رضي الله عنك، بالذي سأل عنه أمير المؤمنين، أيده الله، من أمر القرآن بما حضرني.. فذكر الكتاب.

قال أبو مزاحم: قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: جئنا بهذه الرسالة إلى أبي محمد بن العباس، المعروف بابن سارة، وكان صاحب أبي عبيد الله يحيى بن خاقان بغداد، فزاد فيها دعا لأمير المؤمنين. قال عبد الله: ثم عرضها على أبي فأجازها.

قال أبو مزاحم: وهذه نسخة كتاب أحمد بن حنبل بجواب كتاب إليه في «رسالة القرآن»: أحسن الله إليك - أبا الحسن - في الأمور كلها إليها، ودفع عنك مكاره الدنيا والآخرة برحمته وطوله، فإنه ولي ذلك والقادر عليه، وصل كتابك، رضي الله عنك، والذي أنهيت إلي فيه من سلامة أمير المؤمنين أعزه الله بطاعته، فسرني ما ذكرت من عافية الله إياه، فأدام الله لأمير المؤمنين عافيته، وسلم له دينه، وجعل ما أنعم به عليه موصولا برضوانه، فإنه على كل شيء قدير.

وفهمت ما ذكرت مما أمر به أمير المؤمنين - أيده الله - من كتابك إلي، ومسألتك إياي عن القرآن، وقد كتبت إليه بما حضرني من ذلك، وإني أسأل الله أن يحسن جزاءك عنا، فالذي نعرف منك البر والعافية وحسن محبتك للرفق بنا، فلا سلبك الله ما أنعم به عليك، وجعل ذلك مذخورًا لك. ولعلك أن تكون قد عرفت بعض الذي أحب، فإن رأيت - أدام الله لك العافية - المدافعة عنه بالذي يمكن ونقدر عليه، وإن كان قد استقر عندي أنك تحب ذلك وأحب الأشياء إلي ألا أهلج لشيء، وقد كبرت السن وضعف البدن، وقد أجد عللًا لم أكن أجدها، فالحمد لله على ذلك، وعلى ما أنعم به علينا كثيرًا، وأحسن الله إليك في الأمور كلها، ودفع عنك مكاره الدنيا والآخرة بمنه وطوله، فإنه ولي ذلك والقادر عليه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

ورواه أيضًا أبو نعيم الأصبهاني في «الحلية» (٩/ ٢١٦) من طريقين صحيحين عن عبدالله بن أحمد وصالح بن حمد، ومن طريقه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص ٥٠٧) فقال: (حدثنا سليمان بن أحمد [الطبراني الحافظ] ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل «ح» وحدثنا محمد بن علي أبو الحسين، قالوا: ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا صالح بن أحمد ابن حنبل قال: كتب عبيد الله بن يحيى إلى أبي يخبره: إن أمير المؤمنين، أمرني أن أكتب إليك كتابًا أسألك من أمر القرآن، لا مسألة امتحان ولكن مسألة معرفة وبصيرة. فأملى علي أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى عبيد الله بن يحيى، وحدي ما معنا أحد: بسم الله الرحمن الرحيم أحسن الله عاقبتك أبا الحسن في الأمور كلها..) وساق الكتاب كاملًا.

وكذا ذكر هذه الرسالة إسماعيل الأصبهاني الشافعي في «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٥٥٨) من طريق المروذي فقال: (وقال أحمد بن محمد بن الحجاج أبو بكر المروذي خادم أحمد بن حنبل قال: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: أجبت في القرآن أنه غير مخلوق؟ قال: نعم كتبت إلى عبيد الله بن يحيى: كتبت إليك بالذي سال عنه أمير المؤمنين من أمر القرآن بما حضرني..) فذكره مطولًا.

[حجج الإمام أحمد من السنة بأن القرآن كلام الله]:

* ثنا أسود بن عامر، قال: ثنا إسرائيل، عن عثمان بن المغيرة، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر بن عبد الله، قال: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرض نفسه على الناس بالموقف، فيقول: «هل من رجل يحملني إلى قومه! فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»[(١)].

* ثنا جرير، عن منصور بن المعتمر، عن هلال بن يِساف، عن فروة بن نوفل الأشجعي قال: كنت جارًا لخباب، فخرجنا يومًا من المسجد، وهو آخذ بيدي فقال: يا هناهُ، تقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ما استطعت، فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه. يعني القرآن[(٢)].

* حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية - يعني ابن صالح - عن العلاء بن الحارث، عن زيد بن أرطأة، عن جبير ابن نفير قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنكم لن ترجعوا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بشيء ما أفضل مما خرج منه» يعني القرآن. كذا قال

وكذا روى آخره إسماعيل التيمي الأصبهاني في «الحجة» (١/ ٢٢٤): (أخبرنا طلحة بن الحسين الصالحاني، أنا جدي أبو ذر الصالحاني، نا أبو الشيخ، نا أبو محمد بن أبي حاتم: قال أحمد ابن حنبل فيما كتب إلى المتوكل: «لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله أو حديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو عن أصحابه أو عن التابعين، فأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود».

(١) رواه الخلال في «السنة» رقم ١٩٥١ أخبرنا أبو بكر المروذي، قال: ثنا أبو عبد الله به.

(٢) رواه عنه عبدالله في «السنة» ١/ ١٤١ رقم ١١١ قال: حدثني أبي به.

عبد الرحمن[(١)].

* حدثنا أسود بن عامر، أنا أبو بكر - يعني ابن عياش - عن الأعمش، عن الحسن قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فضل القرآن على الكلام كفضل الله عَزَّوَجَلَّ على عباده»[(٢)].

* قال عبدالله حدثني هارون بن عبد الله أبو موسى، ثنا عبد الأعلى بن سليمان الزراد، ثنا صالح المري قال: أتى رجل الحسن فقال له: يا أبا سعيد، إني إذا قرأت كتاب الله عَزَّوَجَلَّ فذكرت شروطه وعهوده ومواثيقه قطع رجائي! فقال له الحسن: ابن أخي، إن القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ إلى القوة والمتانة، وإن أعمال ابن آدم إلى الضعف والتقصير ولكن سدد وقارب وأبشر[(٣)].

* ثنا موسى بن داود، ثنا أبو عبدالرحمن معبد، عن معاوية ابن عمار الدهني قال: قلت لجعفر، يعني ابن محمد: إنهم يسألون عن القرآن مخلوق هو؟ قال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله. قال أبي: قد رأيت معبدًا هذا، ولم يكن به بأس. وأثنى عليه أبي، وكان يفتي برأي ابن أبي ليلى[(٤)].

* بلغني عن إبراهيم بن سعد وسعيد بن عبد الرحمن الجمحي ووهب ابن جرير وأبي النضر هاشم بن القاسم وسليمان

(١) رواه عبدالله في «السنة» (١/ ١٤٠ رقم ١٠٩): (حدثني أبي) به. ورواه أحمد في الزهد (رقم ١٩٠) بإسناد صحيح.
(٢) رواه عبدالله عنه في «السنة» ١/ ١٤٨ رقم ١٢٤): (حدثني أبي) به.
(٣) رواه عبدالله في «السنة» (١/ ١٥١ رقم ١٣٠).
(٤) رواه عبدالله في «السنة» (١/ ١٥١ رقم ١٣٢).

ابن حرب، قالوا: القرآن كلام الله، ليس بمخلوق[١].

[القول في التلاوة واللفظ بالقرآن]:

* وسئل: ما تقول في رجل قال: التلاوة مخلوقة، وألفاظنا بالقرآن مخلوقة، والقرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ وليس بمخلوق؟

وما ترى في مجانبته؟

وهل يسمى مبتدعًا؟

[وعلى ما يكون عقد القلب في التلاوة والألفاظ؟

وكيف الجواب فيه؟]

فقال: هذا يجانب، وهو قول المبتدع [وما أُراه إلا جهميًّا] وهذا كلام الجهمية، ليس القرآن بمخلوق، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧] [قال: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاحذروهم، فإنهم هم الذين عنى الله عَزَّوَجَلَّ»]

فالقرآن ليس بمخلوق[٢].

---

(١) رواه عبدالله في «السنة» (١/ ١٥٤ رقم ١٣٨): (حدثني أبي).

(٢) رواه عبدالله في «السنة» (١/ ١٦٣ رقم ١٧٨) قال: (سألت أبي رَحِمَهُ اللَّهُ قلت) فذكره.

ومن طريقه رواه ابن بطة في «الإبانة» في الرد على الجهمية (٣/ ٣٤٢ رقم ١٤٩).

ورواه أبو داود - وما بين المعكوفين زيادات منه - في مسائله (رقم ١٧١٢) وعنه ابن بطة في «الإبانة» (٣/ ٣٣٠ رقم ١٣٠) قال: (حدثنا أبو بكر محمد بن بكر قال: حدثنا أبو داود قال: كتبت رقعة فأرسلت بها إلى أبي عبد الله، وهو يومئذ متوار، فأخرج إلي

*** وسئل عمن يقولون: إن ألفاظهم بالقرآن مخلوقة؟**

فقال أحمد: يتوجه العبد بالقرآن إلى الله لخمسة أوجه كلها غير مخلوقة: حفظ بقلب، وتلاوة بلسان، وسمع بآذان، ونظر ببصر،

جوابه مكتوبًا فيه: قلت: رجل يقول...) فذكره.

وهذا النص يؤكد أن الإمام أحمد كان يرسل أجوبته نفسها لمن سأله عن شبه الجهمية، فالإجابة هنا متطابقة تمامًا مع جوابه لولده عبد الله وجوابه لأبي داود، وهذا يفيد أن شبهة اللفظ بالقرآن بدأت قبل خلافة المتوكل، ولعلها في أواخر عهد الواثق، ثم شهرها حسين الكرابيسي سنة ٢٣٤هـ.

وقوله: (وهو متوار) يعني زمن المعتصم حين أطلقه بعد سجنه وتعذيبه، حتى كاد يهلك، وبقي متواريًا باقي خلافة المعتصم والواثق، وكانا قد طلبا منه أن يتوارى عنهما حتى لا يؤثر بالناس ويتأثروا به، حتى رفع المتوكل الفتنة.

شرح: وهذا معنى كلامه - كما سيأتي - بأن القرآن كلام الله بكل معنى، وبكل وجه، وحيثما تصرف، إذا لا يخرجه عن كونه كلام الله كتابته في الصحف، أو قراءته بالألسن، إذ كلام كل أحد ما قاله ابتداء، ولا يخرجه عن كونه كلامه حقيقة رواية غيره عنه أو كتابته له.

كما قال ابن جرير الطبري في «صريح السنة» (رقم ١٢): (القرآن كلام الله وتنزيله؛ إذ كان من معاني توحيده، فالصواب من القول في ذلك عندنا أنه كلام الله غير مخلوق، كيف كتب، وحيث تلي، وفي أي موضع قرئ، في السماء وجد، وفي الأرض حيث حفظ، في اللوح المحفوظ كان مكتوبًا، وفي ألواح صبيان الكتاتيب مرسومًا، في حجر نقش، أو في ورق خط، أو في القلب حفظ، وبلسان لفظ، فمن قال غير ذلك، أو ادعى أن قرآنًا في الأرض أو في السماء سوى القرآن الذي نتلوه بألسنتنا ونكتبه في مصاحفنا، أو اعتقد غير ذلك بقلبه، أو أضمره في نفسه، أو قاله بلسانه دائنًا به، فهو بالله كافر، حلال الدم، بريء من الله، والله منه بريء، بقول **الله** عَزَّوَجَلَّ: {بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ} وقال وقوله الحق عَزَّوَجَلَّ: {وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله} فأخبر، جل ثناؤه، أنه في اللوح المحفوظ مكتوب، وأنه من لسان محمد صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مسموع، وهو قرآن واحد من محمد صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مسموع، في اللوح المحفوظ مكتوب، وكذلك هو في الصدور محفوظ، وبألسن الشيوخ والشباب متلو).

وخط بيد، فالقلب مخلوق، والمحفوظ غير مخلوق، والتلاوة مخلوقة، والمتلوّ غير مخلوق، والنظر مخلوق، والمنظور إليه غير مخلوق)[١].

[القول بخلق القرآن قول بخلق الله تعالى]:

قال الإمام أحمد:

* من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله مخلوق. ثم قال: لا إله إلا الله! ما أعظم هذا القول وأشده! هذا الذي كنا نحذره أن يكون[٢].

[باب: أسماء الله غير مخلوقة، وهي في القرآن]:

قال الإمام أحمد:

* من قال إن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ مخلوقة، وإن علم الله مخلوق، فهو كافر [كفرٌ بيّن] (وأسماؤه في القرآن)[٣].

---

(١) رواه إبراهيم الحربي في رسالة «القرآن» (ص ٣٢): (كنت جالسًا عند أحمد بن حنبل إذ جاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله إن عندنا قوما يقولون..) فذكره، ولم أجد من تابعه على هذا اللفظ عن الإمام أحمد، وكأنه عبر عن معنى ما فهم من الإمام أحمد.

(٢) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٤٣) قال: (أخبرني علي بن عيسى أن حنبلاً حدثهم قال: سمعت أبا عبد الله قال) فذكره. قال أبو بكر الخلال: (ومعنى قول أبي عبد الله عندي والله أعلم «هذا الذي كنا نحذر» ما روي عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله؟» لأن هذا معنى ذلك.

(٣) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٦٤) قال: (أخبرني أبو النضر إسماعيل بن عبد الله بن ميمون العجلي قال: سمعت أبا عبد الله يقول) فذكره، وهذا لفظه، وما بين المعكوفين والقوسين زيادة من الروايات التالية.

ورواه الخلال أيضًا (برقم ١٨٦٧): (أخبرنا سليمان بن الأشعث قال: سمعت أبا عبد الله ذكر له أن رجلًا قال: إن أسماء الله مخلوقة. فقال: كفر بيّن).

* وسئل: ما تقول فيمن قال إن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ محدثة؟

فقال: كافر. ثم قال: «الله» من أسمائه، فمن قال إنها محدثة فقد زعم أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مخلوق! فأعظم أمرهم عنده وجعل يكفّرهم وقرأ: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: ١٢٦] وقرأ آية أخرى[1].

وقال:

* أسماء الله في القرآن، والقرآن من علم الله، وعلم الله ليس بمخلوق، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق على كل وجه، وعلى كل جهة، وعلى أي حال.

فقيل: قوم يقولون: إذا قال الرجل: كلام الله ليس بمخلوق. يقولون: ما إمامك في هذا؟ ومن أين قلت: ليس بمخلوق؟

قال: الحجة قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران: ٦١] فما جاءه غير القرآن.

قال: القرآن من علم الله، وعلم الله ليس بمخلوق، والقرآن

ورواه أيضًا (رقم ١٨٦٨) فقال: (وأخبرني أحمد بن أصرم المزني قال: سمعت هارون الحمال يقول: سمعت أحمد بن حنبل. وأخبرني محمد بن أبي هارون، أن إسحاق بن إبراهيم حدثهم قال: سمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن أسماء الله مخلوقة فقد كفر).

ورواه (برقم ١٨٦٩) فقال: (أخبرني موسى بن محمد الوراق قال: ثنا عبد الله بن محمد الحلبي قال: سمعت أبا عبد الله يقول: من قال اسم الله مخلوق فهو كافر، وأسماؤه في القرآن).

(١) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٤٤) قال: (وأخبرني عبد الملك بن عبد الحميد الميموني أنه قال لأبي عبد الله) فذكره.

كلام الله ليس بمخلوق، ومثل هذا في القرآن كثير.

قيل له: يجزئ أن أقول: هذا قول جهم، وعلى كل حال هو كلام الله؟

قال: نعم.

قيل له: فأحد من العلماء قال: ليس بمخلوق؟

قال: جعفر بن محمد [الباقر].

قال صالح: فحدثني أبي، أملاه عليّ من كتابه، قال: حدثنا موسى بن داود قال: حدثنا أبو عبد الرحمن بن معبد، عن معاوية ابن عمار الدهني قال: قلنا لجعفر [الصادق]: إنهم يسألونا عن القرآن؛ أمخلوق هو؟ قال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله.

قال أبي: وقد رأيت معبدًا، وبلغني أنه كان يفتي برأي ابن أبي ليلى[1].

(١) رواه صالح بن أحمد في «سيرة الإمام أحمد» (ص ٦٩): (قال أبي) فذكره.

وقد روى عبد الله عن أبيه في «السنة» (٢/ ٤٨٢ رقم ١١٠٨) كلام محمد بن جعفر بالإسناد نفسه الذي رواه عنه صالح، وذكر أيضًا كلامه عن معبد. كما روى أوله عن أبيه مختصرًا في «السنة» (رقم ١) : (القرآن من علم **الله** عَزَّوَجَلَّ وفيه أسماء **الله** عَزَّوَجَلَّ) وروى (رقم ٣): (القرآن من علم **الله** عَزَّوَجَلَّ قال **الله** عَزَّوَجَلَّ: {فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم}).

ورواه عن عبدالله الخلال في «السنة» (رقم ١٨٧٣) قال: (وأخبرني عبد الله بن أحمد قال: سمعت أبي يقول: من قال: القرآن مخلوق، فهو عندنا كافر؛ لأن القرآن من علم الله، وفيه أسماء الله، قال الله: {فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم}).

وابن بطة في «الإبانة» في الرد على الجهمية (٣/ ٦٥ رقم ٢٧٨): (حدثنا أبو بكر أحمد ابن سلمان قال: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: سمعت أبي يقول: من قال: القرآن مخلوق،

* وسئل عمن يقول: إن كلام الله وأسماءه وصفاته مخلوق؟

فقال: تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ليس شيء من صفاته ولا كلامه ولا أسمائه مخلوقًا، ولا على لسان المخلوقين مخلوقة.

قيل: فأي شيء المخلوق؟

قال: كل شيء على لسان المخلوقين مخلوق[(١)].

* ثنا أبو أسامة، عن مجالد، عن أبي الوداك، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لتغلبن مضر عباد الله حتى لا يبقى لله اسم يعبد، وليغلبهم الله حتى لا يمنعوا ذنب تلعة».

أسماء الله غير مخلوقة أما ترى أنه قال: «حتى لا يبقى لله اسم يعبد»[(٢)].

فهو عندنا كافر، لأن القرآن من علم الله وفيه أسماء الله، قال **الله** عَزَّوَجَلَّ: {فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم}).

وكذا رواه الأشعري في «الإبانة» (١/ ٨٧) عن الإمام أحمد مطولًا، وفيه:(والقرآن فيه أسماء الله عَزَّوَجَلَّ أي شيء يقولون؟ ألا يقولون: إن أسماء الله غير مخلوقة، لم يزل الله قديرًا عليمًا عزيزًا حكيمًا سميعًا بصيرًا، لسنا نشك أن أسماء **الله** عَزَّوَجَلَّ غير مخلوقة، لسنا نشك أن علم **الله** عَزَّوَجَلَّ غير مخلوق، فالقرآن من علم الله، وفيه أسماء الله، فلا نشك أنه غير مخلوق، وهو كلام **الله** عَزَّوَجَلَّ ولم يزل به متكلمًا).

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» في الرد على الجهمية (٣/ ١٦ رقم ٢٠٤).

شرح: هنا يصرح الإمام أحمد بأن كل فعل الإنسان مخلوق، وكل شيء من فعل لسانه مخلوق، وليس كلام الله ولا أسمائه ولا صفاته مخلوقة حين تجري على لسان الإنسان المخلوق، فالقديم الأزلي بأسمائه وصفاته قديم لا يؤثر فيه الإحداث فعلُ المخلوق بالتسمية له، والتلاوة لكلامه.

(٢) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٧٧): (أخبرني أحمد بن محمد بن جامع الرازي قال: ثنا أبو زرعة الرازي قال: ثنا أحمد بن حنبل قال) فذكره.

* ثنا عباد بن عباد، عن مجالد بن سعيد، عن أبي الوداك، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لتضربن مضر عباد الله حتى لا يعبد لله اسم، وليضربنهم المؤمن حتى لا يمنعوا ذنب تلعة»(١).

[القرآن كلام الله منه، وليس شيء منه مخلوقًا]:

* القرآن كلام الله، وليس بمخلوق، ولا تجزع أن تقول: ليس مخلوق؛ فإن كلام الله من الله عَزَّوَجَلَّ من الله، ومن ذات الله، وتكلم الله به، وليس من الله شيء مخلوق(٢).

* القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر.

قال الحارث: قلت: يا أبا عبد الله، أي شيء قلت لأبي العباس؟

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٨٦) وإسناده ضعيف لضعف مجالد.

ورواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (رقم ٩٩٠) من طريق مجالد نحوه، و(رقم ٩٩١) بإسناد صحيح عن حذيفة موقوفًا عليه من قوله يوم قُتل عثمان، ولفظه: (لا تبرح ظلمة مضر بكل عبد مؤمن تفتنه وتقتله، أو يضربهم الله عَزَّوَجَلَّ والمؤمنون، حتى لا يمنعوا ذنب تلعة) وهذا من أحاديث الفتن عن حذيفة، وله حكم الرفع، ويتقوى به حديث مجالد.

شرح: وقد أراد الإمام أحمد من الاستدلال بهذا الحديث إثبات أن اسماء الله ليست غيره، ولهذا قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا «تعبد اسم الله» ولهذا جاز الدعاء بيا الله يا رحمن يا رحيم، لأنه دعاء للمسمى بها، وهو الله، فهي أسماؤه قبل أن يدعوه بها أحد من خلقه، قديمة أزلية بقدمه.

(٢) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٤٥): (أخبرنا محمد بن سليمان أنه قال لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: ما تقول في القرآن؟ قال: عن أي شيء تسأل؟ قلت: كلامه. قال) فذكره.

فقال: قال: لا أقول غير مخلوق إلا أن يكون في كتاب الله!

قلت له: فتقول إن وجه الله ليس بمخلوق؟

فقال: لا، إلا أن يكون في كتاب الله نص!

فارتعد أبو عبد الله وقال: استغفر الله! سبحان الله! هذا الكفر بالله! أحد يشك أن وجه الله ليس مخلوق؟

فقلت: يا أبا عبد الله أن الجهمية لم تقل هذا.

قال: أيْشٍ الجهمية! هؤلاء أشر من جهم وأخبث هذا الكفر الذي لا شك فيه![1].

* وسأله الترمذي: يا أبا عبد الله، قد وقع من أمر القرآن ما وقع، فإن سُئلتُ عنه ماذا أقول؟

فقال لي: ألست مخلوقًا؟

قلت: نعم.

فقال: أليس كل شيء منك مخلوقًا؟

قلت: نعم.

قال: فكلامك أليس هو منك وهو مخلوق؟

قلت: نعم.

قال: فكلام الله عَزَّوَجَلَّ أليس هو منه؟

(١) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٦٤): (وأخبرني محمد بن أبي هارون ومحمد بن جعفر أن الحارث حدثهم قال: سمعت أبا عبد الله يقول) فذكره.

قلت: نعم.

قال: فيكون من الله شيء مخلوق![١]

* وسئل عن تفسير قوله: (القرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود)

فقال: منه خرج، هو المتكلم به، وإليه يعود[٢].

[القرآن من علم الله وعلمه غير مخلوق]:

* القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر؛ لأنه يزعم أن علم الله مخلوق، وأنه لم يكن له علم حتى خلقه![٣]

* من زعم أن علم الله مخلوق فهو كافر[٤].

* وسئل من قال: إن الله كان ولا علم؟

فتغير وجهه تغيرًا شديدًا، وكثر غيظه، ثم قال: كافر. وقال إن كل يوم أزداد في القوم بصيرة.

(١) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٤٨): (أخبرني محمد بن يحيى ومحمد بن المنذر وأحمد ابن يحيى الصفار، قالوا: ثنا أحمد بن الحسين الترمذي قال: سألت أحمد فقلت) فذكره.

(٢) رواه الخلال في «السنة» رقم ١٨٥٩ وسمعت عبد الله بن أحمد؛ قال: ذكر أبو بكر الأعين؛ قال فذكره.

(٣) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٦٥): (أخبرني محمد بن أبي هارون ومحمد بن جعفر أن ابا الحارث حدثهم قال: سمعت أبا عبد الله يقول) فذكره.

(٤) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٧١): (أخبرني محمد بن موسى أن حبيش بن سندي وإسحاق بن إبراهيم حدثاه، قال حبيش: سمعت أبا عبد الله) فذكره.

قال: علمت أن بشرًا المريسي كان يقول العلم علمان؛ فعلم مخلوق، وعلم ليس بمخلوق! فهذا أيْشٍ يكون هذا؟

قلت: يا أبا عبد الله كيف يكون إذًا؟

قال: لا أدري أيكون علمه كله مخلوق وبعضه ليس بمخلوق! لا أدري كيف ذا! بشر كذا كان يقول! وتعجب أبو عبد الله تعجبًا شديدًا[(١)].

* وسئل: يا أبا عبد الله، ما تقول في القرآن؟ قال: القرآن من علم الله، ومن قال: من علم الله شيء مخلوق، فقد كفر[(٢)].

* قلت لابن الحجام، يعني يوم المحنة: ما تقول في علم الله؟ فقال: مخلوق. فنظر ابن رباح إلى ابن الحجام نظر المنكر عليه لما أسرع!

فقلت لابن رباح: أيْشٍ تقول أنت؟ فلم يرض ما قال ابن الحجام.

فقلت له: كفرت. يقول إن الله كان لا علم له! وهذا الكفر بالله، وقد كان المريسي يقول: إن علم الله وكلامه مخلوق وهذا الكفر بالله[(٣)].

---

(١) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٦٦): (وأخبرني عبدالملك أنه سأل أبا عبد الله قال: قلت. وهو السائل) فذكره.

(٢) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٧٠): (قال: أخبرنا أبو محمد عبيد بن شريك البزار قال: ثنا محمد بن إبراهيم الأشمي ابن الكردية قال: دخلت على أحمد بن حنبل أنا وأبي فقال له أبي) فذكره.

(٣) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٧٢): (وأخبرنا أبو بكر المروذي قال: قال أبو عبد الله:

* من قال: إن علم الله مخلوق، فهو كافر، ومن زعم أن علمه مخلوق فكأنه لم يكن يعلم حتى خلق العلم، ومن قال: إن أسماء الله مخلوقة، فكأن أسماء الله لم تكن حتى خُلقت، وإن كلٌّ مخلوقٌ! فهذا عندي كافر إذا قال هذا[1].

[أشد الحجج على شبه الجهمية]:

* ليس شيء أشد عليهم مما أدخلت على من قال: القرآن مخلوق.

قلت: علم الله مخلوق؟

قالوا: لا.

قلت: فإن علم الله هو القرآن، قال الله: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾[2].

*القرآن من علم الله. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ وهو في القرآن في أربع مواضع[3].

[دليل كفر من قال بخلق القرآن]:

* سئل: عمن قال القرآن مخلوق؟

قلت لابن النحام) فذكره.

(١) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٧٤): (وكتب إلّي أحمد بن الحسين الوراق من الموصل قال: ثنا بكر بن محمد، عن أبيه، عن أبي عبد الله، وسمعه يقول) فذكره.

(٢) رواه الخلال في السنة (رقم ١٨٧٥) قال: (وأخبرنا أحمد بن محمد بن مطر قال: ثنا أبو طالب قال: قال أبو عبد الله) فذكره.

(٣) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٧٦) قال: (أخبرني منصور بن الوليد أن جعفر بن محمد حدثهم قال: قلت لأبي عبد الله: القرآن من علم الله؟ فقال) فذكره.

فقال: كنت أهاب أن أقول: كافر، فرأيت قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾[١].

* وسئل عمن يقول القرآن مخلوق؟ فقال: كنت لا أكفرهم حتى قرأت آيات من القرآن: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٤٥] وقوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦] فالقرآن من علم الله، ومن زعم أن علم الله مخلوق فهو كافر، ومن زعم أنه لا يدري علم الله مخلوق أو ليس بمخلوق، فهو كافر أشر ممن يقول القرآن مخلوق[٢].

وقال الإمام أحمد:

* قد كنا نهاب الكلام في هذا، ثم بان لنا الحكم، يقول الله في كتابه: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾[٣].

* وسأله ابنه صالح: قوم يقولون: من إمامك في هذا؟ ومن أين قلت أنه ليس بمخلوق؟

قال: الحجة قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾[٤].

---

(١) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٧٩): (أخبرنا محمد بن علي أبو بكر أن يعقوب بُختان سأل أبا عبد الله) فذكره. وهو جزء من النص المطول في أول الكتاب.

(٢) ذكره ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ٤١٤): (قرأته في كتاب أبي بكر الخلال قال: أخبرني علي بن الحسن بن هارون قال: حدثني محمد بن أبي هارون الوراق قال: سمعت يعقوب بن إبراهيم الدورقي قال: سألت أحمد بن حنبل) فذكره.

(٣) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٨٠) قال: (وأخبرنا محمد بن داود قال: ثنا حنبل قال: سمعت أبا عبد الله، وسأله ابن الدورقي فقال) فذكره.

(٤) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٨١) قال: (وأخبرنا أحمد بن محمد بن مطر، أن أبا طالب حدثني أنه قال لأبي عبد الله. وأخبرني محمد بن علي قال: ثنا صالح أنه قال لأبيه) فذكره،

* وسأله صالح بن علي عمّن قال: القرآن مخلوق؟

فقال: من قال: القرآن مخلوق، فهو كافر بالله العظيم.

ثم التفت إليّ وقال: لعلك تسأل: كيف كفر؟

قلت: لا.

قال: إن القرآن من علم الله، ومن جعل علم الله مخلوقًا فهو كافر بالله العظيم، ألم تسمع إلى قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَلَّـٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ و﴿عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ وفي غير موضع من القرآن ذكر الغيب[1].

*وسأله المخرمي: من أين أكفرْتهُم؟

قال: قرأت في كتاب الله غير موضع: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦] إنما أرادوا الإبطال. فذكر الكلام[2].

قال الإمام أحمد:

* من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن زعم أن هذه الآية مخلوقة ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤] فقد كفر، ومن زعم أن هذه الآية مخلوقة: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [النازعات: ١٥-١٦].

واللفظ له، ولفظ أبي طالب: (الحجة ما أخبرتك، قال الله تعالى: {فمن حاجك فيه}).

(١) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٩٨) قال: (وأخبرني صالح بن علي النوفلي المرخي، من آل ميمون من مهران، قال: سألت أحمد) فذكره.

(٢) رواه الخلال في «السنة» (رقم ١٨٩٩): (أخبرنا الحسن بن ثواب المخرمي أنه قال لأبي عبد الله..) فذكره (قال الحسن بن ثواب: ذاكرت ابن الدورقي، فذهب إلى أحمد ثم جاء فقال لي كما قال لك، إلا أنه زادني {أنزله بعلمه} قال: قال لي أحمد: إنما أرادوا الإبطال).

وقال الله: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣] فالقول ممن هو؟ إنما هو منه، والقرآن من علم الله، فمن زعم أن من علم الله شيئًا مخلوق فقد كفر(١).

[حكم الوقف والشك في القرآن]:

قال الإمام أحمد:

*والقرآن كلام الله وليس بمخلوق.

ولا يصح أن يقول: لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق؛ فإن كلام الله ليس ببائن منه، وليس منه شيء مخلوقًا.

وإياك ومناظرة من أخذل فيه، ومن قال باللفظ وغيره، ومن وقف فيه فقال: لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق، وإنما هو كلام الله! فهذا صاحب بدعة، مثل من قال: هو مخلوق. وإنما هو كلام الله ليس بمخلوق(٢).

(١) رواه إسماعيل الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٢٤٠) قال: (وأخبرنا طلحة ابن الحسين الصالحاني، أنا جدي أبو ذر الصالحاني، أنا أبو الشيخ [الأصبهاني] قال: نا عبد الله بن محمد بن زكريا، نا موسى بن عبدالله الطرسوسي قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول) فذكره.

(٢) رواه مطولاً عبدوس العطار، واللفظ له، في «أصول السنة» (ص ٢٢) عن الإمام أحمد، ومن طريقه رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص ٢٣٠). ورواه مختصرًا عبد الله في «السنة» (١/ ١٣٣ رقم ٧٩) قال: (سمعت أبي، وسأله عبد الله ابن عمر، المعروف بمشكدانه، عن القرآن، فقال: كلام الله عَزَّوَجَلَّ وليس بمخلوق. وفي (رقم ٨٠): (سمعت أبي مرة أخرى سئل عن القرآن، فقال: كلام الله عَزَّوَجَلَّ ليس بمخلوق، ولا تخاصموا، ولا تجالسوا من يخاصم).

[باب: اللفظية والواقفة جهمية]:

***قال الإمام أحمد:**

وسئل: إن قومًا يقولون: لفظنا بالقرآن مخلوق؟

فقال: هم جهمية، وهم أشر ممن يقف، هذا قول جهم. وعظم الأمر عنده في هذا، وقال: هذا كلام جهم!

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حتى أبلِّغ كلام ربي».

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنّ هـذِهِ الصّلاة لا يصْلُحُ فِيها شيْءٌ مِنْ كلامِ النّاسِ»[1].

* وقال أحمد: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي.

* وقال: كل من يقصد إلى القرآن بلفظ أو غير ذلك، يريد به مخلوق، فهو جهمي.

* وسئل عن اللفظية والواقفة؟

فقال: من كان منهم جاهلًا فليسأل وليتعلم.

* وقال: من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي.

وقال مرة: هم شر من الجهمية!

وقال مرة أخرى: هم جهمية.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب: تحريم الكلام في الصلاة (رقم ٥٣٧).

*وقـال: مـن قـال: لفظـي بالقرآن مخلـوق، هـذا كلام سـوء رديء، وهـو كلام الجهمية.

قال عبد الله: قلت له: إن الكرابيسي يقول هذا؟

فقال: كذب، هتكه اللهُ الخبيث!

وقال: قد خلف هذا بشرًا المريسي.

قـال: وكان أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكـره أن يتكلـم في اللفـظ بـشيء أو يقـال مخلـوق أو غـير مخلـوق[(١)].

* وقال الإمام أحمد:

* وسئل عمن يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة؟

فقـال: هـذا شر مـن قـول الجهميـة، مـن زعـم هـذا فقـد زعـم أن جبريـل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جـاء بمخلـوق، وأن النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكلـم بمخلـوق![(٢)]

(١) رواها كلها ابنه عبد الله في «السنة» (١/ ٦٤ رقم ١٨٠): (سألت أبي) فذكره، وفي (رقم ١٨١ ورقم ١٨٣): (سمعت أبي) فذكره، ورقم (١٨٤ – ١٨٥): (سئل أبي وأنا أسمع) و(رقم ١٨٦): (سمعت أبي.. وسألته عن الكرابيسي).

(٢) رواه ابن بطة في «الإبانة» باب الرد على الجهمية (٣/ ٣٣٢ رقم ١٣٣): (حدثنا أبو بكر محمد ابن بكر قال: حدثنا أبو داود قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم قال: سألت أحمد) فذكره.

ورواه أبو عمرو الداني في «الرسالة الوافية» (١/ ١٥٨رقم ٥٠): (نا سلمة بن سعيد قال: نا محمد بن الحسين قال: نا محمد بن مخلد قال: نا أبو داود قال: نا أحمد بن إبراهيم قال: سألت أحمد قلت: هؤلاء يقولون) فذكره.

شرح:

وقد كره الإمام أحمد الخوض في اللفظ؛ لأنه يحتمل أن يراد به القرآن فيكون قول

قال الإمام أحمد:

*** اللفظية جهمية؛ لقول الله جل اسمه: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فممن يسمع؟**

من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي، ومن قال: هو غير مخلوق، فهو مبتدع[(١)].

*** وقال: إنما جاء بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها، تركوا آثار رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وأقبلوا على هذه الكتب![(٢)]**

الجهمية، وهو كفر، أو يراد فعل القارئ، وهو لفظ موهِم مبتدع.

كما قال الإمام البخاري في كتابه «خلق أفعال العباد» (ص ٦٢) في الرد على من اختلفوا من أصحاب أحمد في الرواية عنه قوله في اللفظ بالقرآن: (فأما ما احتج به الفريقان لمذهب أحمد ويدعيه كل لنفسه، فليس بثابت كثير من أخبارهم، وربما لم يفهموا دقة مذهبه، بل المعروف عن أحمد وأهل العلم أن كلام الله غير مخلوق، وما سواه مخلوق، وأنهم كرهوا البحث والتنقيب عن الأشياء الغامضة، وتجنبوا أهل الكلام، والخوض والتنازع إلا فيما جاء فيه العلم، وبينه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وقال ابن جرير الطبري في «صريح السنة» (رقم٣٢): (سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يذكرون عنه [يعني أحمد] أنه كان يقول: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي، ومن قال: هو غير مخلوق، فهو مبتدع. ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله، إذ لم يكن لنا فيه إمام نأتم به سواه، وفيه الكفاية والمنع، وهو الإمام المتبع رحمة الله عليه ورضوانه).

(١) رواه ابن جرير الطبري في «صريح السنة» (ص ٢٦ رقم ٣١): (حدثني أبو إسماعيل الترمذي، حدثني أبو عبدالله أحمد بن حنبل) به. و(رقم ٣٢): (ثم سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يذكرون عنه أنه كان يقول) فذكره.

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٨/ ٦٦) وفي «شرف أصحاب الحديث» (ص ٦) من طريق الفضل بن زياد: سألت أبا عبد الله عن الكرابيسي وما أظهر، فكلح وجهه ثم

* قال الإمام أحمد:

وسئل عمن قال: لفظي بالقرآن مخلوق؟ ولم يكن حدث يومئذ: لفظي بالقرآن، فقال: وأخرج يده كناري كرك، فقال: اللفظية جهمية، جهمية[(١)].

أطرق ثم قال: هذا قد أظهر رأي جهم. قال الله تعالى:{وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله} فممن يسمع؟ وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فله الأمان حتى يسمع كلام الله» وذكره.

(١) رواه ابن شاهين في «شرح مذاهب أهل السنة» (ص ٣١ رقم ٢٨) قال: (ثنا أحمد بن يونس القطيعي، ثنا محمد بن إسماعيل السلمي قال: وسألته [يعني أحمد] عمن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فقال) فذكره.

شرح:

وهذا القول نقل عليه أبو عمرو الداني إجماع أهل السنة، فقال في «الرسالة الوافية» (١/ ١٥٧ رقم ٤٨ – ٤٩): (وقال أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي. قال: ومن قال: لفظي به غير مخلوق، فهو قدري. وقد قال أيضًا: فهو بدعي. وقول أحمد هذا قول جميع أهل السنة من الفقهاء، والمحدثين والمتكلمين. قال شيخنا أبو بكر محمد بن الطيب: قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو ضال مبتدع، وقائل بما لم يقل به أحد من سلف الأمة.

قال أبو بكر: وكذلك نضلل ونبدع من قال: لفظي به غير مخلوق. وهو مذهب أحمد بن حنبل الذي رواه عنه ابناه صالح وعبد الله).

وكان الكرابيسي قد تكلم في هذه المسألة واشتهر بها، فأبطل قوله الإمام أحمد فسقط، كما عند ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٧٧٥) من طريق محمد بن الحسين بن هارون الموصلي: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل قلت: أنا رجل من أهل الموصل، والغالب على بلدنا الجهمية، وقد وقعت مسألة الكرابيسي «نطقي بالقرآن مخلوق؟ فقال: إياك وهذا الكرابيسي، لا تكلمه، ولا تكلم من يكلمه. قلت: وهذا القول وما يتشعب منه يرجع إلى قول جهم؟ قال: هذا كله من قول جهم).

قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٨/ ٦٤:(وحديث الكرابيسي يعز جدًّا، وذلك أن أحمد بن حنبل كان يتكلم فيه بسبب مسألة اللفظ، وكان هو أيضًا يتكلم في أحمد،

فتجنب الناس الأخذ عنه لهذا السبب).

وقد روى (٨/ ٦٥) عن أبي طالب قال: (سمعت أبا عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - يقول: مات بشر المريسي وخلفه حسين الكرابيسي).

وقال قوام السنة إسماعيل التيمي الأصبهاني الشافعي في «الحجة» (١/ ٣٧٠):

(وأول من قال باللفظ وقال: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة حسين الكرابيسي، فبدّعه أحمد بن حنبل، ووافقه على تبديعه علماء الأمصار: إسحاق بن راهويه، وأبو مصعب، ومحمد ابن سليمان بن لُوين، وأبو عبيد القاسم ابن سلام، ومصعب بن عبد الله الزبيري، وهارون بن موسى الفروي، وأبو موسى محمد بن المثنى، وداود بن رشيد، والحارث ابن مسكين المصري، وأحمد بن صالح المصري، ومحمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، ويعقوب وأحمد ابنا إبراهيم الدورقي، وأبو همام الوليد بن شجاع، وعلي بن خشرم، ومحمد بن قدامة المصيصي، ومحمد بن داود ابن صبيح المصيصي، وكان من أهل العلم والأدب، ومحمد بن آدم المصيصي، وسعيد بن رحمة، وعقبة بن مكرم، والعباس بن عبد العظيم، ومحمد بن أسلم الطوسي، وحميد بن زنجويه النسوي، ومحمد بن سهل بن عسكر البخاري، وأحمد بن منيع، وهارون بن عبد الله الحمال، وابنه موسى بن هارون، ومحمد بن يحيى الذهلي النيسابوري، ومحمد بن أحمد بن حفص أبو عبد الله البخاري فقيه أهل خراسان، وأبو بكر الأثرم وأبو بكر المروذي صاحبا أحمد بن حنبل، وأبو زرعة، وأبو حاتم، والحسن بن محمد الزعفراني، وحرب بن إسماعيل السيرجاني، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري. ومن أهل أصبهان أبو مسعود الرازي، ومحمد بن عيسى الطرسوسي، وأحمد بن مهدي، وإسماعيل بن أسيد، ومحمد بن العباس بن خالد، ومحمد بن العباس بن أيوب الأخرم، ومحمد بن يحيى بن منده، جد أبي عبد الله، وأبو أحمد العسال، وأبو علي أحمد بن عثمان الأبهري، وأبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده، فمذهبهم ومذهب أهل السنة جميعًا أن القرآن كلام الله آية آية، وكلمة كلمة، وحرفًا حرفًا، في جميع أحواله، حيث قرئ وكتب وسمع).

هذا مع أن الكرابيسي كان يقول بأن القرآن بألفاظه وحروفه كلام الله غير مخلوق، ولم يكن يخفى على هؤلاء الأئمة ما كان يقصده من قوله: لفظي مخلوق، وأنه كان يريد أفعاله، إلا أنه لما كان لفظًا مخترعًا مبتدعًا يحتمل منه موافقة الجهمية، رده عليه كل هؤلاء الأئمة.

[باب: حكم الوقف في القرآن]:

*** قال الإمام أحمد:**

وسئل عن قوم هاهنا حدثوا، يقولون: لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق؟ فقال: هؤلاء أضر من الجهمية على الناس، ويلكم! فإن لم تقولوا: ليس بمخلوق، فقولوا: مخلوق!

فقال: كلام سوء. الذي أعتقده وأذهب إليه ولا أشك فيه، أن القرآن غير مخلوق.

ثم قال: سبحان الله! ومن يشك في هذا!

ثم تكلم استعظامًا للشك في ذلك، فقال: سبحان الله! في هذا شك!

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ففرق بين الخلق والأمر.

فالقرآن من علم الله، ألا تراه يقول: ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الرحمن: ٢].

والقرآن فيه أسماء الله عَزَّوَجَلَّ أي شيء تقولون؟ ألا تقولون إن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ غير مخلوقة؟ من زعم أن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ مخلوقة فقد كفر، لم يزل الله عَزَّوَجَلَّ قديرًا عليمًا عزيزًا حكيمًا سميعًا بصيرًا، لسنا نشك أن أسماء الله ليست بمخلوقة، ولسنا نشك أن علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ليس بمخلوق، وهو كلام الله عَزَّوَجَلَّ ولم يزل الله عَزَّوَجَلَّ [به متكلمًا] حكيمًا.

وأي كفر أبين من هذا؟

وأي كفر أكفر من هذا؟ إذا زعموا أن القرآن مخلوق، فقد زعموا أن أسماء الله مخلوقة، وأن علم الله مخلوق! ولكن الناس يتهاونون بهذا ويقولون: إنما يقولون القرآن مخلوق، فيتهاونون ويظنون أنه هين ولا يدرون ما فيه من الكفر!

فأنا أكره أن أبوح بهذا لكل أحد، وهم يسألوني، فأقول: إني أكره الكلام في هذا، فبلغني أنهم يدّعون علي أني أُمسك.

[وروى وكيع، عن الأعمش، عن خيثمة، عن عدى بن حاتم قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان»..]

قيل: فمن قال: القرآن مخلوق، ولا أقول: أسماء الله مخلوقة ولا علمه، ولم يزد على هذا! أقول: هو كافر؟

فقال: هكذا هو عندنا.

قال: نحن نحتاج أن نشك في هذا! القرآن عندنا فيه أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وهو من علم الله، من قال: مخلوق، فهو عندنا كافر.

ثم قال: بلغني أن أبا خالد، وموسى بن منصور وغيرهم يجلسون في ذلك الجانب، فيعيبون قولنا ويدْعُون إلى هذا القول؛ ألا يقال: مخلوق ولا غير مخلوق، ويعيبون من يكفّر، ويزعمون أنا نقول بقول الخوارج!

ثم تبسم أبو عبد الله كالمغتاظ ثم قال: هؤلاء قوم سوء[(١)].

* **قال الإمام أحمد:** وسئل عن الواقفة؟

فقال: من كان يخاصم ويُعرف بالكلام فهو جهمي، ومن لم يعرف بالكلام يجانب حتى يرجع، ومن لم يكن له علم يسأل ويتعلم.

(١) رواه الخلال في «السنة» (٥/ ١٣٧ رقم ١٨٠٤) قال: (أخبرنا محمد بن علي قال: ثنا أبو بكر الأثرم قال: أتينا أبا عبدالله [أحمد بن حنبل] أنا والعباس بن عبد العظيم، فقال لنا العباس.

وأخبرني موسى بن سهل قال: ثنا محمد بن أحمد الأسدي قال: حدثني إبراهيم بن الحارث العبادي قال: قمت من عند أبي عبد الله، فأتيت عباسًا العنبري، فأخبرته بما تكلم أبو عبد الله في أمر ابن معذل، فسُرّ به ولبس ثيابه، ومعه أبو بكر بن هانئ، فدخل على أبي عبد الله، فابتدأ عباس، فقال: يا أبا عبد الله) فذكره.

وأورده أبو الحسن الأشعري في «الإبانة» (١/ ٨٨) من قوله: (والقرآن علم الله..) إلى قوله:(يدعون أني أمسك) ثم أورد بعده: (وروى وكيع عن الأعمش) وما بين المعكوفين منه، وهذا لفظه: (والقرآن علم الله، ألا تراه يقول: {علّم القرآن} والقرآن فيه أسماء الله عَزَّوَجَلَّ أي شيء يقولون؟ ألا يقولون: إن أسماء الله غير مخلوقة، لم يزل الله قديرًا عليمًا عزيزًا حكيمًا سميعًا بصيرًا، لسنا نشك أن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ غير مخلوقة، لسنا نشك أن علم الله عَزَّوَجَلَّ غير مخلوق، فالقرآن من علم الله، وفيه أسماء الله، فلا نشك أنه غير مخلوق، وهو كلام الله عَزَّوَجَلَّ ولم يزل به متكلمًا.

ثم قال: وأي كفر أشد من هذا؟ وأي كفر أشر من هذا؟ إذا زعموا أن القرآن مخلوق فقد زعموا أن أسماء الله مخلوقة، وأن علم الله مخلوق، ولكن الناس يتهاونون بهذا، ويقولون إنما يقولون القرآن مخلوق! ويتهاونون به، ويظنون أنه هين! ولا يدرون ما فيه وهو الكفر!

وأنا أكره أن أبوح بهذا لكل أحد، وهم يسألون، وأنا أكره الكلام في هذا، فبلغني أنهم يدعون أني أمسك. وروى وكيع، عن الأعمش، عن خيثمة، عن عدى بن حاتم قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان»..).

من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي.

وقال مرة أخرى: هو شر من الجهمية.

وقال: من كان في أصحاب الحديث أو من أصحاب الكلام، فأمسك عن أن يقول: القرآن ليس بمخلوق، فهو جهمي[(١)].

* وقال: أما من كان لا يعقل فإنه يبصّر، وإن كان يعقل ويبصر الكلام فهو مثلهم.

قال: والقرآن حيثما تصرف كلام الله غير مخلوق[(٢)].

*** قال الإمام أحمد:**

كنا نأمر بالسكوت، ونترك الخوض في الكلام وفي القرآن، فلما دُعينا إلى أمر، ما كان بدٌّ لنا من أن ندفع ذاك ونبين من أمره ما ينبغي.

قلت لأبي عبد الله: فمن وقف فقال: لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق؟

فقال: كلام سوء، هو ذا موضع السوء وقوفه، كيف لا يعلم! إما حلال وإما حرام، إما هكذا وإما هكذا، قد نزه الله عَزَّوَجَلَّ

---

(١) رواه عبدالله في «السنة» (١/ ١٥١ رقم ١٣١) وفي (١/ ١٧٩ رقم ٢٢٣ - ٢٢٥) ومن طريقه الخلال في «السنة» (٥/ ١٣٠ رقم ١٧٨٦ - ١٧٨٨): (أخبرنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل قال: سمعت أبي يسأل عن الواقفة).

(٢) رواه الخلال في «السنة» (٥/ ١٣١ رقم ١٧٩٠) قال: (أخبرني محمد بن أحمد بن جامع الرازي قال: سمعت محمد بن مسلم، أن أبا عبدالله قيل له: فالواقفة؟) فذكره، ومن طريقه ابن بطة في «الإبانة» باب الرد على الجهمية (٣/ ٣٠٧ رقم ٩٨).

القرآن عن أن يكون مخلوقًا، وإنما يرجعون هؤلاء إلى أن يقولوا إنه مخلوق، فاستحسنوا لأنفسهم فأظهروا الوقف.

القرآن كلام الله، غير مخلوق، بكل جهة، وعلى كل تصريف.

قلت: رضي الله عنك، لقد بينت من هذا الأمر ما قد كان تلبس على الناس.

قال: لا تجالسهم ولا تكلم أحدًا منهم(١).

[باب: كفر من قال بخلق القرآن وأسماء الله]:

* ذكر له رجل أن رجلًا قال: إن أسماء الله مخلوقة، والقرآن مخلوق؟ فقال أحمد: كفر بيّن.

* وسئل: من قال: القرآن مخلوق أهو كافر؟ قال: أقول: هو كافر.

* سمعت أبا النضر، يقول: ليس بمخلوق.

* قيل لي: ما تقول [يعني فيما امتحن به في القرآن]؟

قال: فقلت: لا يكون من الله شيء مخلوق(٢).

* سئل: لهم رخصة أن يقول الرجل: كلام الله، ثم يسكت؟

فقال: ولم يسكت! لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت،

---

(١) رواه الخلال في «السنة» (٥/ ١٣٤ رقم ١٧٩٧) قال: (وأخبرني علي بن عيسى أن حنبلاً حدثهم قال: قلت لأبي عبدالله: إن يعقوب بن شيبة وزكريا الشركي بن عمار أنهما إنما أخذا عنك هذا الأمر الوقف؟ فقال) فذكره.

(٢) رواها كله عنه أبو داود في «مسائله» (رقم ١٦٩٦ و ١٦٩٧ و ١٧٠٣ و ١٧٠٤).

ولكن حيث تكلموا فيها تكلموا لأي شيء لا يتكلمون!

* وسأله علي بن عثام بن علي، حين ذكر محنة الأسرى عند فداهم، فقال أحمد: يأبون. يعني: يأبون الإجابة ويدفعونه أشد الدفع، قيل: فيقاتلون؟ قال: لا[(١)].

*ذكر رجلين كانا وقفا في القرآن ودعيا إليه! فجعل يدعو عليهما، وقال لي: هذا لأحدهما فتنة عظيمة. وجعل يذكرهما بالمكروه[(٢)].

* وسلم عليه رجل من أهل بغداد - قال أبو داود: بلغني أنه أبو بكر المغازلي، ممن وقف فيها بلغني - فقال له: اغرُب، لا أرينك تجيء إلى بابي. في كلام غليظ، ولم يرد عليه السلام، وقال له: ما أحوجك أن يصنع بك ما صنع عمر بصبِيغ! فدخل بيته ورد الباب[(٣)].

*وقيل له: ما ترى في الصلاة خلف من يقول، يعني في القرآن: كلام الله. ويقف؟

قال: يعجبني أن يجْفُوه.

*سمعت أحمد يتكلم في اللفظية، وينكر عليهم كلامهم، فقال له هارون: يا أبا عبد الله، هؤلاء جهمية؟ فجعل يقول: هم وهم.

---

(١) رواهما عنه أبو داود في «مسائله» (رقم ١٧٠١ و ١٧٠٥).

(٢) رواه أبو داود في «مسائله» (رقم ١٧٠٦): (سمعت أحمد) فذكره.

(٣) رواه أبو داود في «مسائله» (رقم ١٧٠٧): (رأيت أحمد) فذكره. وعنه الخلال في «السنة» (رقم ١٨١٩): (أخبرنا سليمان) يعني أبا داود به.

ولم يصرح بشيء، ولم ينكر عليه ما قال من قوله: هم جهمية[(١)].

* اللفظية إنما يدورون على كلام جهم، يزعمون أن جبريل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما جاء بشيء مخلوق، يعني: لأن مخلوق جاء به إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

* وسئل: هؤلاء الذين يقولون: إن ألفاظنا بالقرآن مخلوق؟

فقال: هذا شر من قول الجهمية، من زعم هذا فقد زعم أن جبريل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بمخلوق، وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكلم بمخلوق![(٢)]

* حدثني شاذ بن يحيى: سمعت يزيد بن هارون يقول: من قال: القرآن مخلوق، فهو والله الذي لا إله إلا هو زنديق[(٣)].

[الإيمان وكلمة التوحيد غير مخلوقين]:

* **قال الإمام أحمد:**

وسئل عمن قال: الإيمان مخلوق؟

قال: هذا كلام سوء رديء، وأي شيء بقي! والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله» فلا إله إلا الله مخلوق!

من قال هذا فهو قول سوء، يدعو إلى كلام جهم، يحذر عن

---

(١) رواهما أبو داود في «مسائله» (رقم ١٧١٠ - ١٧١١): (سمعت أحمد).

(٢) رواهما أبو داود في «مسائله» (رقم ١٧٥٣): (ثنا يعقوب بن إبراهيم أن أحمد بن محمد ابن حنبل قال له) فذكره. و(رقم ١٧٥٤): (ثنا أحمد بن إبراهيم قال: سألت أحمد بن حنبل قلت) فذكره.

(٣) رواه عبدالله في «السنة» باب الرد على الجهمية (٢/ ٤٨١ رقم ١١٠٥): (حدثني أبي) به.

صاحب هذا الكلام ولا يجالس ولا يكلّم حتى يرجع ويتوب، وهذا عندي يدعو إلى كلام جهم، الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله، ولا إله إلا الله مخلوق هو!

قال الله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُ﴾[الحشر:٢٣].

فهذه صفاته وأسماؤه غير مخلوقة، وصف الله بها نفسه، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله» فمن قال: لا إله إلا الله مخلوق، فقد قال بقول الجهمية، يحذر عن صاحب هذه المقالة، وصفات الله وأسماؤه غير مخلوقة، وهذه من صفات الله تعالى، ولم يزل الله عالمًا، فمن قال: لا إله إلا الله مخلوق، فقد قال مقالة الجهمية(١).

[باب: من نفى علم الله]:

*** قال الإمام أحمد:**

---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» باب الرد على الجهمية» (٣/ ٢٩٩ رقم ٤٧٠): (حدثنا أبو عمر حمزة ابن القاسم الهاشمي قال: حدثنا حنبل قال: سمعت أبا عبد الله، وسئل)فذكره.

شرح: يرى الإمام أحمد بأن من أسماء الله الواحد الأحد، وأنه وصف نفسه بأنه لا إله إلا هو، وأنه الأول، فهذه الأسماء والصفات قديمة لم تحدث له بعد أن لم تكن، بل لم يزل الله متصفًا بها منذ الأزل، ولم تحدث له بإيمان خلقه بها، فهي قبل وجودهم فضلًا عن تصديقهم وإيمانهم به وإقرارهم الحادث بوجودهم بعد عدمهم، والإمام أحمد قصد المعنى الأول لا الثاني، وإنما لما كان الأمر قد يشتبه على أكثر الناس، فلا يفرق بين كون الله متصفًا بالألوهية والوحدانية وأنه لا إله إلا هو منذ الأزل، وشهادة عباده له بصفاته ودعائهم له بأسمائه، وهو فعل منهم حادث، فيؤول عدم التفريق بهم إلى قول الجهمية، فقطع ذرائعه بالحكم عليه بالبدعة.

القرآن من علم الله، وعلم الله غير مخلوق، فمن قال: مخلوق، فهو كافر.

الذي يبصر القرآن ويعرف هو جهمي، والذي لا يبصر ولا يعرف يبصّر[١].

* و**قال الإمام أحمد:**

وسئل عمن قال بالقدر يكون كافرًا؟

فقال: إذا جحد العلم، إذا قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ لم يكن عالمًا حتى خلق علمًا فعلم، فجحد علم الله عَزَّوَجَلَّ فهو كافر[٢].

* **قال الإمام أحمد:**

نا وكيع، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لما فرغ الله عَزَّوَجَلَّ من الخلق كتب على عرشه: رحمتي سبقت غضبي**»[٣].

* حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، نا حماد - يعني ابن سلمة - عن عمار، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لقي آدم موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فقال: أنت آدم الذي خلقك الله عَزَّوَجَلَّ بيده**

(١) رواه ابن شاهين في «شرح مذاهب أهل السنة» (ص ٣١ رقم ٢٨) قال: (ثنا محمد ابن إسماعيل السلمي قال: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عمن قال: القرآن مخلوق فقال) فذكره.

(٢) رواه عبد الله في «السنة» (٢/ ٣٨٥ رقم ٨٣٥): (سمعت أبي وسأله علي بن الجهم عن من قال بالقدر) فذكره. وعنه الخلال في «السنة» (رقم ٨٦٢) ومن طريق عبدالله أيضًا، رواه اللالكائي في «شرح أصول أهل السنة» (رقم ٦٨١).

(٣) رواه عبدالله في «السنة» (٢/ ٣٩٧ رقم ٨٦٢): (حدثني أبي) به.

وأسجد لك ملائكته وأسكنك الجنة، ثم فعلت ما فعلت! قال: أنت موسى الذي كلمك الله عَزَّوَجَلَّ واصطفاك برسالته وأنزل عليك التوراة، أنا أقدم أم الذكر؟ قال: بل الذكر. فحج آدم موسى، فحج آدم موسى»[1].

* نا إسماعيل، نا خالد الحذاء، عن عمار بن أبي عمار، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: كنت أقول في أولاد المشركين: هم منهم. فحدثني رجل من أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فلقيته، فحدثني عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «ربهم أعلم بهم، هو خلقهم وهو أعلم بهم وما كانوا عاملين»[2].

* نا جرير، عن عطاء، عن أبي الضحى، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: أول ما خلق الله القلم، ثم قال: له اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»[3].

* نا هشيم، أنا منصور - يعني ابن زاذان - عن الحكم بن عتيبة، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال: إن أول ما خلق الله عَزَّوَجَلَّ القلم. قال: وأمره فكتب ما هو كائن. قال: فكتب فيما كتب: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾[4].

* نا يحيى بن سعيد، عن هشام - يعني الدستوائي - حدثني

---

(١) رواه عبدالله في «السنة» (٢/ ٣٩٩ رقم ٨٦٦): (حدثني أبي) به.
(٢) رواه عبدالله في «السنة» (٢/ ٤٠٠ رقم ٨٦٩): (حدثني أبي) به.
(٣) رواه عبدالله في «السنة» (٢/ ٤٠١ رقم ٨٧١): (حدثني أبي) به.
(٤) رواه عبدالله في «السنة» (٢/ ٤٠١ رقم ٨٧٢): (حدثني أبي) به.

القاسم بن أبي بزة، حدثني عروة بن عامر، قال: سمعت ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يقول: إن أول ما خلق الله عَزَّوَجَلَّ القلم، فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق، فالكتاب عنده. ثم قرأ ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾[1].

* نا أسود بن عامر، نا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «رأيت ربي عَزَّوَجَلَّ».

* نا عفان، نا عبد الصمد بن كيسان، نا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «رأيت ربي عَزَّوَجَلَّ»[2].

[باب: نفي التشبيه]:

***قال الإمام أحمد:**

لا تشبهوا الله بخلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[3].

[وجوب التسليم للأخبار في الصفات وعدم ردها]:

* وسئل: عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات والرؤية والإسراء وقصة العرش، فصححها وقال: قد تلقتها العلماء بالقبول، نسلم الأخبار كما جاءت.

---

(١) رواه عبدالله في «السنة» (٢/ ٤١١ رقم ٨٩٨): (حدثني أبي) به.

(٢) رواهما عبدالله في «السنة» (٢/ ٤٨٤ رقم ١١١٦ – ١١١٧): (حدثني أبي) به.

(٣) ذكره إسماعيل الأصبهاني في «الحجة» (١/ ٤٧٢) قال: (روى يوسف بن موسى قال: سمعت أبا عبد الله) فذكره.

قال: فقلت له: إن رجلًا اعترض في بعض هذه الأخبار كما جاءت؟ فقال: يُجفى. وقال: ما اعتراضه في هذا الموضع! يسلم الأخبار كما جاءت(١).

---

(١) رواه الخلال في «السنة» (١/ ٢٤٦ رقم ٢٨٣): (حدثنا أبو بكر المروذي قال: سألت أبا عبد الله) فذكره.

باب: بيان ما أنكرت الجهمية من أن يكون الله كلم موسى

[باب: حكم من نفى تكليم الله لموسى]:

قال الإمام أحمد:

* إذا قال: إن الله لم يكلم موسى، فقد كفر بقول الله تعالى في كتابه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] وهو يقول: لم يكلمه! يستتاب فإن تاب، وإلا ضربت عنقه، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان».

فمن زعم أن الله ليس بمتكلم فقد رد القرآن، ومن رد آية من كتاب الله فقد كفر.

وسئل عمن قال: إن الله لم يكلم موسى؟

قال: كافر لا شك فيه(١).

قال الإمام أحمد:

* سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: من زعم أن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يكلم موسى [بن عمران] صلوات الله عليه، يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه(٢).

---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» فصل الرد على الجهمية (٣/ ٣٢١ رقم ٤٩٧): (حدثني أبو صالح محمد بن أحمد قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن داود قال: حدثنا أبو الحارث أنه سمع أبا عبد الله يقول: إذا قال) فذكره مطولًا. ورقم ٤٩٨ أخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد القصباني، عن أبي بكر أحمد بن هارون قال: حدثني عبد الملك الميموني، أنه سمع أبا عبد الله فذكره مختصرا.

(٢) رواه عبدالله في «السنة» باب فيما جحدت الجهمية من كلام رب العالمين (١/ ٢٨٠ رقم

قال الإمام أحمد:

*** نا سريج بن النعمان، نا عبد الله بن نافع قال: كان مالك بن أنس يقول: الإيمان قول وعمل. ويقول: كلم الله موسى. ويقول: من قال: القرآن مخلوق، يوجع ضربًا، ويحبس حتى يتوب.**

وقال مالك: الله عَزَّوَجَلَّ في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء. وتلا هذه الآية: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾. وعظم عليه الكلام في هذا واستشنعه[1].

---

٥٣١): (حدثني أبي) به. ورواه عنه أبو بكر النجاد في «الرد على من يقول القرآن مخلوق» (ص ٣١ رقم ١) قال: (حدثنا عبدالله بن أحمد) به. وما بين المعكوفين منه.

ورواه أبو داود في «مسائله» (رقم ١٦٩٥): (سمعت أحمد بن حنبل قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي، أيام صنع ببشر المريسي ما صنع، يقول) فذكره.

وكل ما سيأتي من حجج من السنة ومن الأثر رواها عبدالله عن أبيه في كتابه «السنة» وعنه أبو بكر النجاد في «الرد على من يقول بخلق القرآن» وبالترتيب نفسه، وفي موضوع واحد، وهو تكليم الله لموسى، وهو ما يرجح كونها كلها من كتاب «الرد على الجهمية» للإمام أحمد، وفي بعضها يصرح عبدالله بالقراءة على أبيه.

(١) رواه عبدالله في «العلل» (رقم ٤٧٨٣) وفي «السنة» باب: فيما جحدت الجهمية من كلام رب العالمين (١/ ١٠٦ رقم ١١) مطولًا، و(في ١/ ٢٨٠ رقم ٥٣٢) مختصرًا قال: (حدثني أبي) به. وعنه أبو بكر النجاد في «الرد على من قال القرآن مخلوق» (ص ٣١ رقم ٢) قال: (ثنا عبدالله) به.

ورواه صالح في «مسائله» (رقم ١٠٧٢) قال: (حدثني أبي قال حدثنا سريج بن النعمان قال أخبرني عبد الله بن نافع قال كان مالك يقول: أنا مؤمن. ويقول: الإيمان قول وعمل. ويقول: كلم الله موسى. ويستفظع قول من يقول: القرآن مخلوق، قال: يوجع ضربًا ويحبس حتى يتوب. وقال مالك: الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء).

ورواه أبو داود في «مسائله» (رقم ١٦٩٩): (حدثنا أحمد قال: ثنا سريج بن النعمان قال: ثنا عبد الله بن نافع قال: قال مالك: الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو

*** وسئل: عن قوم يقولون: لما كلم الله عَزَّوَجَلَّ موسى لم يتكلم بصوت! فقال أبي: بلى إن ربك عَزَّوَجَلَّ تكلم بصوت، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت[(١)].**

*** حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إذا تكلم الله عَزَّوَجَلَّ سمع له صوت كجر السلسلة على الصفوان.**

وهذا الجهمية تنكره! هؤلاء كفار يريدون أن يموهوا على

من علمه مكان).

ورواه من طريق عبدِ الله اللالكائيُّ في «شرح أصول السنة» (٢/ ٣٨٣ رقم ٥٧٩) وفي (٣/ ٤٤٥ رقم ٦٧٣): (أخبرنا محمد بن عبد الله بن الحجاج قال: أخبرنا أحمد بن الحسين قال: ثنا عبد الله بن أحمد) به.

وذكره ابن عبد البر في «الانتقاء» (ص ٣٤) عن الدولابي: (ثنا عبد الله بن أحمد) به.

ورواه عبدالله في «السنة» باب: من زعم أن الله لا يتكلم (١/ ١٧٣ رقم ٢١٣): (حدثني أبو الحسن محمد بن محمد بن العطار قال: سمعت سريج بن النعمان يقول: سألت عبد الله بن نافع، وقلت له: إن قِبلنا من يقول: القرآن مخلوق! فاستعظم ذلك ولم يزل متوجعًا حزينًا يسترجع. قال عبد الله، يعني ابن نافع: قال مالك: من قال: القرآن مخلوق، يؤدب ويحبس حتى تعلم منه التوبة. وقال مالك: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. وقال مالك: الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان. وقال مالك: القرآن كلام **الله** عَزَّوَجَلَّ. وهكذا قال عبد الله بن نافع في هذا كله).

وعنه أبو بكر النجاد في «الرد على من قال القرآن مخلوق» (ص ٧٠ رقم ١١٣) قال: (ثنا عبدالله) به.

وقد رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٧) عن سريج مختصرًا، قال: (حدثنا إبراهيم بن عبد الله، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا جعفر بن محمد الصائغ، ثنا سريج بن النعمان، ثنا عبد الله بن نافع قال: كان مالك يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص).

(١) رواه عبدالله في «السنة» باب: فيما جحدت الجهمية من كلام رب العالمين (١/ ٢٨٠ رقم ٥٣٣): (سألت أبي) فذكره. وعنه أبو بكر النجاد في «الرد على من قال القرآن مخلوق» (ص ٣١ رقم ٣) قال: (ثنا عبدالله) به.

الناس، من زعم أن الله عَزَّوَجَلَّ لم يتكلم فهو كافر، ألا إنا نروي هذه الأحاديث كما جاءت(١).

قال الإمام أحمد:

* نا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عبد الله: إذا تكلم الله عَزَّوَجَلَّ بالوحي، سمع صوته أهل السماء فيخرون سجدا، حتى إذا فزع عن قلوبهم - قال: سكن عن قلوبهم - نادى أهل السماء: ماذا قال ربكم؟ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «[قالوا]: الحق قال كذا وكذا».

* وحدثني أبو معمر، نا جرير، عن الأعمش. نا ابن نمير وأبو معاوية، كلهم عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عبد الله قال: إذا تكلم الله عَزَّوَجَلَّ بالوحي سمع أهل السماء له صلصلة كصلصلة الحديد على الصفا.

قال عبدالله: وقد روى هذا الحديث بعض الشيوخ عن قُرّان ابن تمام، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عبد الله، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورفعه إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ورواه أيضًا أبو معاوية ببغداد فرفعه مرة(٢).

---

(١) رواه عبدالله في «السنة» باب: فيما جحدت الجهمية من كلام رب العالمين (١/ ٢٨١ رقم ٥٣٤) وعنه أبو بكر النجاد في «الرد على من قال القرآن مخلوق» (ص ٣٢ رقم ٣) قال: (ثنا عبدالله) به، متصلًا بالنص الذي قبله، مما يؤكد أنه كتاب، وقال فيه: (يسمع له صوت كمر سلسلة على الصفوان).

(٢) رواه عبدالله في «السنة» باب: فيما جحدت الجهمية من كلام رب العالمين (١/ ٢٨١ رقم ٥٣٦ - ٥٣٧) : (حدثني أبي به، عن المحاربي وعن أبي معمر) فالظاهر أنه يرويه عن أبي معمر متابعة. ورواه عنه أبو بكر النجاد في «الرد على من قال القرآن مخلوق» (ص ٣٢ رقم

* ثنا عبد الرزاق، نا معمر، عن الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: أخبرني جزء بن جابر الخثعمي أنه سمع كعبًا يقول: لما (كلم الله موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلمه بالألسنة كلها قبل لسانه، فطفق موسى يقول: يا رب، والله ما أفقه هذا! حتى كلمه آخر ذلك بلسان مثل صوته، فقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: هذا يا رب كلامك؟ فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: لو كلمتك كلامي لم تكن شيئًا. أو قال: لم تستقم له. قال: أي رب، فهل من خلقك شيء يشبه كلامك؟ قال: لا، وأقرب خلقي شبهًا بكلامي أشد ما يسمع الناس من الصواعق)[1].

* ثنا سفيان، عن عمرو، سمع طاووسًا، سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم، أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة! فقال له آدم: يا موسى، أنت الذي اصطفاك الله بكلامه» وقال مرة: «برسالته، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة! فحج آدم موسى» ثلاثًا.

---

٥ - ٦) قال: (ثنا عبدالله به عن أبيه عن المحاربي، وعن أبيه عن أبي معمر) وقال في آخره: (قالوا الحق قال: كذا وكذا).

وذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به في التفسير، باب (٣٢) ورواه أبو داود (رقم ٤٧٤٠) وإسناده صحيح.

(١) رواه عبدالله في «السنة» باب: فيما جحدت الجهمية من كلام رب العالمين (١/ ٢٨٢ رقم ٥٣٩): (حدثني أبي) به. وعنه أبو بكر النجاد في «الرد على من قال القرآن مخلوق» (ص ٣٤ رقم ٨) قال: (ثنا عبدالله عن أبيه) به.

*ثنا عبد الرزاق، قال ثنا معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ.

* نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال.

* نا محمد بن بشر، نا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ.

* حدثنا أيوب بن النجار اليمامي، حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتج آدم وموسى، صلوات الله عليهما، فقال موسى لآدم: أنت الذي أدخلت ذريتك النار! قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله عز وجل برسالته وبكلامه وأنزل عليك التوراة فهل وجدت أني أهبطت؟ قال: نعم. فحجّه آدم**».

والحديث على لفظ حديث معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ والمعنى واحد[1].

* حدثنا عبد المتعال بن عبد الوهاب، نا ضمرة، عن ابن شوذب قال: أوحي الله إلى موسى عليه السلام: يا موسى: هل تدري لم اصطفيتك بكلامي ورسالتي؟ قال: لا يا رب. قال: لأنه لم يتواضع

(١) رواه عبدالله في «السنة» باب: فيما جحدت الجهمية من كلام رب العالمين» (١/ ٢٨٧ - ٢٨٨ رقم ٥٤٩ - ٥٥٤): (حدثني أبي) به، بهذه الطرق كلها عن أبي هريرة. وعنه أبو بكر النجاد في «الرد على من قال القرآن مخلوق» (ص ٤٥ رقم ٤٩ - ٥٤) قال: (ثنا عبدالله، عن أبيه) بهذه الطرق كلها.

لي تواضعك أحد قط[١].

* حدثنا الحسن بن موسى، نا حماد، عن ثابت البناني أن رجلًا أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إني رأيت فيما يرى النائم. فذكر حديثًا طويلًا، قال: فذُهب بي إلى دار، فإذا في وسطها منبر من ذهب، وإذا أنت فوقه، وإذا عن يمينك رجل إذا تكلم أنصت الناس لكلامه! قال: «أما الذي رأيت عن يميني فموسى، صلوات الله عليه، إذا تكلم أنصت الناس لفضل كلام الله إياه»[٢].

* نا علي بن عبد الله، حدثني محمد بن عمرو بن مقسم قال: سمعت عطاء بن مسلم، نا وهب بن منبه قال: كان لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أخت يقال لها «مريم» فقالت له: يا موسى، إنك كنت تزوجت في آل شعيب، وأنت يومئذ لا شيء لك، ثم أدركت ما أدركت، فتزوج في ملوك بني إسرائيل. قال: ولم أتزوج في ملوك بني إسرائيل! فوالله ما أحتاج إلى النساء منذ كلمت ربي عَزَّ وَجَلَّ)[٣].

---

(١) رواه عبدالله في «السنة» باب: فيما جحدت الجهمية من كلام رب العالمين (١/ ٢٨٩ رقم ٥٥٥): (حدثني أبي) به. وعنه أبو بكر النجاد في «الرد على من قال القرآن مخلوق» (ص ٤٧ رقم ٥٥) قال: (ثنا عبدالله، عن أبيه).

(٢) رواه عبدالله في «السنة» باب: فيما جحدت الجهمية من كلام رب العالمين (١/ ٢٩٠ رقم ٥٥٧) قال: (قرأت على أبي) به. وعنه أبو بكر النجاد في «الرد على من قال القرآن مخلوق» (ص ٤٧ رقم ٥٦) قال: (ثنا عبدالله، عن أبيه).

(٣) رواه عبدالله في «السنة» باب: فيما جحدت الجهمية من كلام رب العالمين (١/ ٢٩٢ رقم ٥٦٢) قال: (حدثني أبي). وعنه أبو بكر النجاد في «الرد على من قال القرآن مخلوق» (ص ٥٣ رقم ٦٨) قال: (ثنا عبدالله، عن أبيه) ولم يسم علي بن عبد الله المديني، وقال (حدثني أبي قال: حدثنا رجل سماه) ترك عبدالله تسمية ابن المديني لأنه ممن أجاب في فتنة خلق القرآن.

* نا يحيى بن سعيد، عن ابن عجلان، سمعت أبي، عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله كتب على نفسه بيده لما خلق الخلق: إن رحمتي تغلب غضبي»(١).

* نا إبراهيم بن الحكم بن أبان، حدثني أبي، عن عكرمة قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ لم يمس بيده شيئًا إلا ثلاثة: خلق آدم بيده، وغرس الجنة بيده، وكتب التوراة بيده(٢).

* نا أبو المغيرة، حدثتنا عبدة، عن أبيها، خالد بن معدان قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ لم يمس بيده إلا آدم، صلوات الله عليه، خلقه بيده، والجنة، والتوراة كتبها بيده. قال: ودملج الله عَزَّوَجَلَّ لؤلؤة بيده فغرس فيها قضيبًا، فقال: امتدِّي حتى أرضي، وأخرجي ما فيك

---

(١) رواه عبدالله في «السنة» باب: فيما جحدت الجهمية من كلام رب العالمين (١/ ٢٩٥ رقم ٥٧١) قال: (حدثني أبي). وعنه أبو بكر النجاد في «الرد على من قال القرآن مخلوق» (ص ٦٦ رقم ٩٤) قال: (ثنا عبدالله، عن أبيه) به. ومحمد بن إسحاق بن منده في «الرد على الجهمية» (ص ٤١): (أخبرنا أحمد بن محمد بن عمرو بن أبان، ثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل، ثنا أبي) به. قال ابن منده: (روى هذا الحديث جماعة عن أبي هريرة لم يذكر فيه: «كتب على نفسه بيده» غير ابن عجلان).

ورواه أحمد في المسند (٢/ ٤٣٣) بإسناد حسن، وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة نحوه، وليس فيه (بيده).

(٢) رواه عبدالله في «السنة» باب: فيما يحتج به على الجهمية من القرآن (١/ ٢٩٦ رقم ٥٧٣) وفي (٢/ ٥٢٥ رقم ١٢٠٦) قال: (قرأت على أبي). وعنه أبو بكر النجاد في «الرد على من قال القرآن مخلوق» (ص ٦٧ رقم ٩٩) قال: (ثنا عبدالله، عن أبيه به).

ورواه الآجري في «الشريعة» (رقم ٧٥٩) من طريق يزيد بن زريع قال: حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس: أن كعب الأحبار قال. فذكره من كلامه. وكذا هو في تفسير يحيى بن سلام (١/ ٣٩٢) من حديث سعيد، عن قتادة ذكر أن كعبًا قال) فذكره.

بـإذني. فأخرجـت الأنهـار والثـمار[(١)].

* نـا حسـين بـن محمـد، نـا محمـد بـن مطـرف، عـن زيـد بـن أسـلم: أن الله عَزَّوَجَلَّ لما كتـب التـوراة بيـده قـال: بسـم الله، هـذا كتـاب الله بيـده لعبـده موسـى، يسـبحني، ويقدسـني، ولا يحلـف باسـمي آثـمًا، فـإني لا أزكـي مـن حلـف باسـمي آثـمًا[(٢)].

* نـا يحيـى بـن آدم، نـا شريـك، عـن عطـاء بـن السـائب، عـن سـعيد بـن جبـير، عـن ابـن عبـاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ قـال: الله ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ قـال: الملائكـة[(٣)].

* نـا أسـود بـن عامـر، نـا أبـو بكـر بـن عيـاش، عـن الأعمـش، عـن الحسـن، قـال: قـال رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**فضـل القـرآن عـلى الـكلام كفضـل الله عَزَّوَجَلَّ عـلى عبـاده**»[(٤)].

(١) رواه عبدالله في «السنة» باب: فيما يحتج به على الجهمية من القرآن (١/ ٢٩٧ رقم ٥٧٤): (حدثني أبي) به. وعنه أبو بكر النجاد في «الرد على من قال القرآن مخلوق» (ص ٦٧ رقم ١٠٠) قال: (ثنا عبدالله، عن أبيه) به.

(٢) رواه عبدالله في «السنة» باب: فيما يحتج به على الجهمية من القرآن (١/ ٢٩٨ رقم ٥٧٦): (حدثني أبي) به. وعنه أبو بكر النجاد في «الرد على من قال القرآن مخلوق» (ص ٦٧ رقم ١٠١) قال: (ثنا عبدالله) وسقط منه (عن أبيه) والصواب إثباته.

(٣) رواه عبدالله في «السنة» باب: فيما يحتج به على الجهمية من القرآن (١/ ٣٠٠ رقم ٥٨٢): (حدثني أبي) به. وعنه أبو بكر النجاد في «الرد على من قال القرآن مخلوق» (ص ٦٨ رقم ١٠٤) قال: (ثنا عبدالله عن أبيه) به.

(٤) رواه عبدالله في «السنة» (١/ ١٤٨ رقم ١٢٤) وفي فصل: الرد على الجهمية (٢/ ٤٩٥ رقم ١١٣٧).

ورواه أيضًا ابن الضريس في «فضل القرآن» (رقم ٨٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (رقم ٥٢٩) كلاهما من طريقين عن أحمد بن يونس، عن ابن عياش، به، مثله.

باب: ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش

[إثبات صفة الاستواء على العرش وصفة المعية]:

قال الإمام أحمد:

* نحن نؤمن بالله عَزَّوَجَلَّ على عرشه، كيف شاء، وكما شاء، بلا حد، ولا صفة يبلغها واصف، أو يحده أحد، فصفات الله عَزَّوَجَلَّ منه وله، وهو كما وصف نفسه، لا تدركه الأبصار بحد ولا غاية، وهو يدرك الأبصار، وهو عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب، ولا يدركه وصف واصف، وهو كما وصف نفسه، وليس من الله شيء محدود، ولا يبلغ علمه وقدرته أحد، غلب الأشياء كلها بعلمه وقدرته وسلطانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وكان الله قبل أن يكون شيء، والله الأول، وهو الآخر، ولا يبلغ أحد حد صفاته، فالتسليم لأمر الله والرضا بقضائه، نسأل الله التوفيق والسداد، إنه على كل شيء قدير[١].

قال الإمام أحمد:

* والله تعالى فوق السماء السابعة على عرشه، بائن من خلقه، وقدرته، وعلمه بكل مكان. على عرشه لا يخلو شيء من علمه.

---

(١) رواه الخلال في «السنة»: (أخبرني عبد الله بن حنبل بن إسحاق، حدثني حنبل بن إسحاق قال: قال عمي) فذكره. كذا أورده ابن تيمية في «درء تعارض العقل» (٢/ ٢٩) و«تلبيس الجهمية» (٣/ ٧٠٦). وهذا الذي رواه حنبل عن عمه الإمام أحمد نص كتاب كما هو واضح من سياقه وطوله، وليس كلامًا شفهيًّا سمعه منه، ولا يوجد في كتاب «الرد على الجهمية» المنسوب للإمام أحمد، في باب: ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش!

* وقيل له: روى علي بن الحسن بن شقيق، عن ابن المبارك أنه قيل له: كيف نعرف الله؟ قال: على العرش بحد.

فقال: بلغني ذلك عنه. وأعجبه، ثم قال: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ثم قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾[1].

* أنا يزيد بن هارون، أنا حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع ابن حُدُس، عن عمه أبي رزين العقيلي قال: يا رسول الله، أين كان ربنا عَزَّوَجَلَّ قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء»[2].

* نا عبد الرحمن بن مهدي وأبو سفيان - يعني المعمري - عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد قال: ما السماوات والأرض في الكرسي إلا كحلقة في أرض فلاة[3].

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» باب: الرد على الجهمية (٣/ ١٥٨ - ١٦٠ رقم ١١٤): (حدثنا أبو حفص عمر بن محمد بن رجاء قال: ثنا أبو جعفر محمد بن داود البصروي قال: ثنا أبو بكر المروذي قال: سمعت أبا عبد الله، وقيل له: روى علي بن الحسن بن شقيق) فذكره. و(رقم ١١٥) بالإسناد السابق: (وقال يوسف بن موسى القطان: قيل لأبي عبد الله: والله تعالى فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال: نعم، على عرشه، لا يخلو شيء من علمه) وهذه كما يبدو قراءة من القطان على الإمام أحمد من كتابه «الرد على الجهمية».

(٢) عبدالله في «السنة» باب: الرد على الجهمية (١/ ٢٤٥ رقم ٤٥٠): (حدثني أبي) به.

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٤٧ رقم ٤٥٦): (حدثني أبي) به.

بيان ما تأولت الجهمية من قول الله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾

* **قال الإمام أحمد:**

وسئل عن رجل قال: إن الله معنا. وتلا هذه الآية: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾.

قال: قد تجهّم هذا، يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] العلم معهم، وقال: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦] فعلمه معهم.

قيل له: فرجل قال: أقول كما قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ أقول هكذا ولا أجاوزه إلى غيره؟

فقال: هذا كلام الجهمية!

قالوا: كيف نقول؟

قال: علمه معهم، وأول الآية يدل على أنه علمه. ثم قرأ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ﴾[1].

قال الإمام أحمد:

---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» باب: الرد على الجهمية (٣/ ١٦٠ رقم ١١٦) قال: (حدثنا أبو حفص عمر بن محمد بن رجاء قال: ثنا أبو جعفر محمد بن داود البصروي قال، قال أبو طالب أحمد بن حميد المشكاني: سألت أبا عبد الله عن رجل قال: إن الله معنا. وتلا هذه الآية) فذكره. وهي أسئلة من أصحاب الإمام أحمد أثناء القراءة عليه من كتابه.

* وسئل عن قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾؟

قال: علمه، عالم بالغيب والشهادة، علمه محيط بالكل، وربنا على العرش، بلا حد، ولا صفة، وسع كرسيه السماوات والأرض بعلمه[١].

قال الإمام أحمد:

* ثنا نوح بن ميمون قال: ثنا بكير بن معروف، عن مقاتل ابن حيان، عن الضحاك في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ قال: هو على العرش، وعلمه معهم[٢].

(١) أورده اللالكائي عن حنبل في «شرح أصول أهل السنة» (٣/ ٤٤٦ رقم ٦٧٥).
(٢) رواه أبو داود في «المسائل» (رقم ١٦٩٨): (حدثنا أحمد) به.

بيان ما جحدت الجهمية من رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة

* **قال الإمام أحمد:**

* من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمي، والجهمي كافر.

وسئل: وإن الله عَزَّوَجَلَّ يُرى في الآخرة؟

قال: نعم[١].

* وقال: من لم يقل بالرؤية فهو جهمي[٢].

* وذكر له عن رجل شيء في الرؤية، فغضب وقال: من قال: إن الله لا يرى، فهو كافر[٣].

* قال عبد الله: رأيت أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصحح الأحاديث التي تروى عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الرؤية، ويذهب إليها، وجمعها أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب وحدثنا بها:

* نا وكيع، ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنا جلوسًا عند النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «**أما إنكم ستعرضون على ربكم عَزَّوَجَلَّ فترونه كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**

---

(١) رواه عنه ابن هانئ في «مسائله» (رقم ١٨٥٠ و ١٨٧٨).

(٢) رواه ابن شاهين في «شرح مذاهب أهل السنة» (ص ٢٩ رقم ٢١) قال: (حدثنا أحمد، ثنا الفضل قال: سمعت أبا عبد الله، وقيل له: تقول الرؤية؟ قال) فذكره.

(٣) رواه أبو داود (رقم ١٧٠٠): (سمعت أحمد) فذكره.

فافعلوا» قال: ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[(١)].

* نا محمد بن جعفر، نا شعبة، عن إسماعيل، قال: سمعت قيس بن أبي حازم يحدث عن جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم عَزَّ وَجَلَّ كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على هاتين الصلاتين قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» فذكر الحديث[(٢)].

* ثنا يحيى بن آدم، ثنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنكم سترون ربكم عَزَّ وَجَلَّ» فقالوا: يا رسول الله، نرى ربنا عَزَّ وَجَلَّ؟ قال: فقال: «أتضارون في رؤية الشمس نصف النهار؟» فقالوا: لا. قال: «أفتضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا. قال: «فإنكم لا تضارون في رؤيته إلا كما تضارون في رؤية ذلك» قال: قال الأعمش: تضارون. يقول: تمارون[(٣)].

---

(١) رواه عبدالله في «السنة» باب: ما جحدت الجهمية (١/ ٢٢٩ رقم ٤١٢): (حدثني أبي) به، ومن طريقه أبو يعلى في «إبطال التأويلات» (رقم ١٤٩): (وأنا أحمد بن محمد بن عبد الله بن إسحاق قال: نا محمد بن يعقوب قال: نا أحمد بن محمد قال: نا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: رأيت أبي يصحح هذه الأحاديث ويذهب إليها وجمعها وحدثناها).

(٢) رواه عبدالله في «السنة» باب: ما جحدت الجهمية (١/ ٢٣٢ رقم ٤٢١): (حدثني أبي). ورواه أحمد في المسند (٤/ ٣٦٠، ٣٦٢) من حديث جرير، وهو في الصحيحين من طرق عنه.

(٣) رواه عبدالله في «السنة» باب: ما جحدت الجهمية (١/ ٢٣٦ رقم ٤٢٧): (حدثني أبي) به. ورواه أحمد في المسند (٣/ ١٦) وإسناده صحيح.

* نا سليمان بن داود الهاشمي، نا إبراهيم بن سعد عن الزهري، عن عطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخبره.

*نا إبراهيم بن سعد، ثنا ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الناس قالوا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟

*نا عبد الرزاق، نا معمر، عن الزهري، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال الناس: يا رسول الله هل نرى ربنا عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة؟

*نا عبد الرزاق، مرة أخرى، أنا معمر، عن الزهري، في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال الناس: يا رسول الله، هل نرى ربنا عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هل تضارون في الشمس ليس دونه سحاب؟» فقالوا: لا يا رسول الله. فقال: «هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك. يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه. فيتبع من كان يعبد القمر القمر، ومن كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله في غير صورته التي كانوا يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه» قال: «فيأتيهم الله

في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا. فيتبعونه» قال: «فيضرب جسر على جهنم» قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «فأكون أول من يجيز، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلِّم! اللهم سلم! وبها كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان! غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تتخطف الناس بأعمالهم» فذكر الحديث بطوله إلى آخره[(١)].

* حدثنا هيثم بن خارجة، أخبرنا حفص بن ميسرة وقتيبة، قالا: أخبرنا عبد العزيز، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد، ثم يطلع عليهم رب العالمين ثم يقول: ألا تتبع كل أمة ما كانوا يعبدون» فذكر الحديث، فقالوا: وهل نراه يا رسول الله؟ قال: «وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا. قال: «فإنكم لا تضارون رؤيته تلك الساعة، ثم يتوارى، ثم يطلع فيعرفهم نفسه، ثم يقول: أنا ربكم، اتبعوني. فيقوم المسلمون، ويوضع الصراط، فهم يمرون عليه مثل جياد الخيل والركاب، وقولهم عليه: سلِّم سلِّم» فذكر الحديث بطوله إلى آخره[(٢)].

---

(١) رواه عبدالله في «السنة» باب: ما جحدت الجهمية (١/ ٢٣٦ - ٢٣٨ رقم ٤٣١ - ٤٣٤).
وروواه أحمد في المسند (٢/ ٣٦٨) والترمذي (رقم ٢٥٥٧) وقال: حسن صحيح.

شرح: قوله (الصورة التي يعرفونها) يعني على الصفة التي علمهم الله إياها عن نفسه وعرفهم بها في كتابه وعلى لسان رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

(٢) رواه عبدالله في «السنة» (١/ ٢٣٩ رقم ٤٣٦): (حدثني أبي). وروواه أحمد في المسند (٢/ ٣٦٨) والترمذي (رقم ٢٥٥٧) وقال: حسن صحيح.

* ثنا إسماعيل بن إبراهيم، نا هشام الدستوائي، عن قتادة، عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كيف سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول: «يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عَزَّ وَجَلَّ حتى يضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: رب، أعرف» قال: «فيقول إني سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم. فيعطى صحيفة حسناته، وأما الكافرون والمنافقون فينادى بهم على رءوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم»[(١)].

* نا أبو معاوية وابن نمير ووكيع، المعنى، قالوا: أنا الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما منكم من رجل إلا سيكلمه الله عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان، ثم ينظر أيمن منه فلا يرى إلا شيئًا قدمه، ثم ينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئًا قدمه، ثم ينظر تلقاء وجهه فتستقبله النار» ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فمن استطاع منكم أن يقي وجهه النار ولو بشق تمرة فليفعل» وقال وكيع: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله عَزَّ وَجَلَّ»[(٢)].

---

(١) رواه عبدالله في «السنة» (١/ ٢٤٠ رقم ٤٣٧): (حدثني أبي) به.

ورواه أحمد في المسند (٢/ ٧٤) بإسناد صحيح، ورواه البخاري (رقم ٢٤٤١، ٤٦٨٥) ومسلم (رقم ٢٧٦٨) من طرق عن قتادة به.

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٤١ رقم ٤٣٨): (حدثني أبي) به.

ورواه أحمد في المسند (٤/ ٢٥٦) والبخاري (رقم ٧٤٤٣) ومسلم (رقم ١٠١٦).

* عبد الرحمن بن مهدي، نا حماد بن سلمة، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى، عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار**» فذكر الحديث: «[**نادى مناد يا أهل الجنة: إن لكم عند الله موعدًا. فيقولون: ألم تثقل موازيننا! ألم تبيض وجوهنا! ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار! فيكشف الحجاب، فيتجلى الله عَزَّوَجَلَّ لهم، فما أعطاهم الله عَزَّوَجَلَّ شيئًا كان أحب إليهم من النظر إليه**»[1].

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٤٤ رقم ٤٤٦): (حدثني أبي) به.

ورواه أحمد في المسند (٤/ ٣٣٢) ومسلم (رقم ١٨١).

بيان ما جحدت الجهمية من قول الله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾

* نا هشيم، أنا إسماعيل بن سالم، عن أبي صالح في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ بهجة بما هي فيه من النعمة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

* نا أبو معاوية، نا إسماعيل، عن أبي صالح في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ أي حسنة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[(١)].

* نا خلف بن الوليد، نا المبارك، عن الحسن في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: الناضرة الحسنة حسنها الله عَزَّوَجَلَّ بالنظر إلى ربها عَزَّوَجَلَّ وحق لها أن تنضر، وهي تنظر إلى ربها ومولاها[(٢)].

* نا عبد الرزاق قال: سمعت جعفر بن سليمان يحدث عن أبي عمران، قال: سمعته يقول: ما نظر الله إلى شيء إلا رحمه. قال: وكان يحلف يقول: والله لو نظر الله إلى أهل النار لرحمهم، ولكنه قضى أنه لا ينظر إليهم[(٣)].

* نا يحيى بن سعيد القطان، عن ابن عجلان قال: سمعت أبي، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ثلاثة لا ينظر الله عَزَّوَجَلَّ إليهم يوم القيامة: الإمام الكذاب، والشيخ

---

(١) المصدر السابق، باب: الرد على الجهمية (٢/ ٤٥٦ رقم ١٠٢٩، ١٠٣١): (حدثني أبي) به.
(٢) المصدر السابق، باب: الرد على الجهمية (٢/ ٤٥٦ رقم ١٠٣٢): (حدثني أبي) به.
(٣) المصدر السابق، باب: الرد على الجهمية (٢/ ٤٦٥ رقم ١٠٥٦): (حدثني أبي) به.

الـزاني، والعائـل المزهـو»[(١)].

* نـا يزيـد بـن هـارون، نـا حمـاد بـن سـلمة، عـن يعـلى بـن عطـاء، عـن وكيـع بـن عُـدُس، عـن عمـه أبي رزيـن العقيـلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: قلـت: يـا رسـول الله، أكلنـا يـرى الله عَزَّوَجَلَّ يـوم القيامـة؟ ومـا آيـة ذلـك في خلقه؟قـال: «يـا أبـا رزيـن، أليـس كلكـم يـرى القمـر مُخْلِيًـا بـه؟» قـال: قلـت: بـلى. قـال: «فـالله عَزَّوَجَلَّ أعظـم»[(٢)].

* نـا يزيـد بـن هـارون [وحسـن بـن موسـى] أنـا حمـاد بـن سـلمة، عـن يعـلى بـن عطـاء، عـن وكيـع بـن حُـدُس، عـن عمـه أبي رزيـن - قـال حسـن: العقيـلي - عـن النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قـال: «ضحـك ربنـا عَزَّوَجَلَّ مـن قنـوط عبـاده وقُـرب غِـيرِهِ» قـال: أبـو رزيـن: قلـت: يـا رسـول الله، أويضحـك الـرب العظيـم عَزَّوَجَلَّ؟ قـال: «نعـم» قلـت: لـن نعـدم مـن رب يضحـك خـيرًا. قـال حسـن في حديثـه: فقـال: «نعـم، لـن نعـدم مـن رب يضحـك خـيرًا»[(٣)].

* نـا بهـز بـن أسـد وحسـن بـن موسـى الأشـيب، قـالا: حدثنـا حمـاد بـن سـلمة، أنـا يعـلى بـن عطـاء، عـن وكيـع بـن عُـدُس، عـن عمه

---

(١) المصدر السابق، باب: الرد على الجهمية (٢/ ٤٦٨ رقم ١٠٦٣): (حدثني أبي) به.

ورواه أحمد في المسند (٤/ ٤٣٣) بإسناد حسن، وهو في صحيح ابن حبان (رقم ٥٥٥٨، ٧٣٣٧) من طرق عن أبي هريرة.

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٤٦ رقم ٤٥١): (حدثني أبي) به.

ورواه أحمد في المسند (٤/ ١١، ١٢) بإسناد حسن، ورواه أبو داود (رقم ٤٧٣٣).

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٤٦ رقم ٤٥٢): (حدثني أبي) به.

أبي رزين العقيلي، أنه قال: يا رسول الله، صلى الله عليك، أكلنا يرى ربه عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة؟ وما آية ذلك في خلقه؟ فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أليس كلكم ينظر إلى القمر مُخْلِيًا به؟**» قال: بلى. قال: «**فالله عَزَّوَجَلَّ أعظم**»[(١)].

* حدثنا عبد الرحمن بن مهدي وبهز قالا: نا حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حُدُس، عن عمه أبي رزين - قال بهز في حديثه: العقيلي - قال: قلت: يا رسول الله، كيف نرى ربنا عَزَّوَجَلَّ؟ وقال بهز في حديثه: أكلنا يرى ربه عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة؟ وما آية ذلك في خلقه؟ فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أليس كلكم ينظر إلى القمر مُخْلِيًا به؟**» قال: قلت: بلى. قال: فا«**فالله عَزَّوَجَلَّ أعظم**»[(٢)].

* نا روح بن عبادة، نا ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُسأل عن الورود، فقال: نحشر يوم القيامة على كذا وكذا، انظر أي ذلك فوق الناس. قال: فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد، الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا عَزَّوَجَلَّ بعد ذلك فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا عَزَّوَجَلَّ. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: حتى ننظر إليك فيتجلى تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهم يضحك. قال: فينطلق بهم ويتبعونه، ويعطي كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورًا، ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من

(١) المصدر السابق (١/ ٢٤٧ رقم ٤٥٤): (حدثني أبي) به.
(٢) المصدر السابق (١/ ٢٤٧ رقم ٤٥٥): (حدثني أبي) به.

شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفًا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء، ثم كذلك، ثم تحل الشفاعة حتى يخرج من النار، من قال: (لا إله إلا الله) وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيجعلون بفناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل، ثم يسأل حتى تجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها[(١)].

* نا يزيد بن هارون، أنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله، ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم منه**» ثم تلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[(٢)].

*نا أبو معاوية، نا عبد الملك بن أبجر، عن ثوير بن أبي فاختة، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر في أزواجه وسرره وخدمه، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه الله عَزَّوَجَلَّ في يوم مرتين**»[(٣)].

* نا حسين بن محمد، نا إسرائيل، عن ثوير، عن ابن عمر

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٤٨ رقم ٤٥٧): (حدثني أبي) به.
(٢) المصدر السابق (١/ ٢٤٩ رقم ٤٥٩): (حدثني أبي) به.
(٣) المصدر السابق (١/ ٢٥١ رقم ٤٦١): (حدثني أبي) به.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفعه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي ينظر إلى جنانه ونعيمه وخدمه وسرره من مسيرة ألف سنة، وإن أكرمهم على الله عَزَّ وَجَلَّ من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية» ثم تلا هذه الآية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1].

* حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن يحيى بن جعدة قال: كان - يعني عمارًا - يقول: أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ولذة النظر إلى وجهك[2].

*ثنا وكيع، ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد البجلي، عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى[3].

*نا محمد بن جعفر، نا شعبة، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد في هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: الزيادة النظر إلى وجه الرحمن عَزَّ وَجَلَّ[4].

* نا وكيع، نا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسلم بن نذير السعدي، عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: النظر إلى وجه الله عَزَّ وَجَلَّ[5].

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٤٩ رقم ٤٥٩): (حدثني أبي) به.

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٥٥ رقم ٤٦٨): (حدثني أبي) به.

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٥٧ رقم ٤٧١): (حدثني أبي) به.

(٤) المصدر السابق (١/ ٢٥٧ رقم ٤٧٢): (حدثني أبي) به.

(٥) المصدر السابق (١/ ٢٥٨ رقم ٤٧٣): (حدثني أبي) به.

* حدثنا وكيع، عن شريك، عن هلال بن حميد، عن عبد الله ابن حكيم: سمعت ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبدأ باليمين قبل الكلام: ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه عَزَّوَجَلَّ كما يخلو بالقمر ليلة البدر، فيقول: ابن آدم، ما أجبت المرسلين؟ ماذا عملت فيما علمت؟[1]

* نا هاشم بن القاسم وحسين بن محمد، قالا: حدثنا ابن المبارك، عن الحسن في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: الناضرة الحسنة، حسنها الله بالنظر إلى ربها عَزَّوَجَلَّ وحق لها أن تنضر، وهي تنظر إلى ربها جَلَّ جَلَالُهُ[2].

* نا أبو معاوية، نا إسماعيل، عن أبي صالح في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: حسنة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[3].

* نا هشيم، أنا إسماعيل بن سالم، عن أبي صالح في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ قال: بهجة بما هي فيه من النعمة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[4].

* وسئل عن حديث حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رأيت ربي**» الحديث، فقال: هذا حديث رواه الكبر، عن الكبر، عن الصحابة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمن شك في ذلك أو في شيء منه فهو جهمي، لا تقبل

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٥٨ رقم ٤٧٤): (حدثني أبي) به.

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٦١ رقم ٤٧٩): (حدثني أبي) به.

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٦٢ رقم ٤٨٢): (حدثني أبي) به.

(٤) المصدر السابق (١/ ٢٦٢ رقم ٤٨٣): (حدثني أبي) به.

شهادته، ولا يسلم عليه، ولا يعاد في مرضه[1].

[باب: ما يحتج به على الجهمية من القرآن]:

قال الإمام أحمد:

* من قال: القرآن مخلوق فهو عندنا كافر، لأن القرآن من علم الله عَزَّوَجَلَّ وفيه أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

* إذا قال الرجل: العلم مخلوق فهو كافر؛ لأنه يزعم أنه لم يكن له علم حتى خلقه!

* من قال: القرآن مخلوق فهو عندنا كافر؛ لأن القرآن من علم الله عَزَّوَجَلَّ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

---

(١) رواه أبو يعلى في «إبطال التأويلات» (رقم ١٤٨) قال: (ونا محمد بن محمد بن الحسن قال: نا أحمد بن محمد الملحمي قال: سمعت محمد بن علي بن جعفر البغدادي قال: سمعت أحمد بن محمد بن هانئ الأثرم يقول: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل) فذكره. وكذا ذكره ابن تيمية في «تلبيس الجهمية» (٧/ ٢٢٧) وقال: وفي هذه الرواية عن أحمد نظر.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] والخلق غير الأمر.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ قال سعيد بن جبير: والأحزاب الملل كلها ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد: ٣٧])[1].

وقال الإمام أحمد:

* [في القرآن عليهم - يعني الجهمية - من الحجج في غير موضع:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤] ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا راحم، يا مالك، يا ملِك، يا مليك، يا حي، يا قيوم، يا غفار، يا تواب، يا حكيم، يا عزيز، يا وهاب، يا ودود، يا محيط، يا فاطر، يا فاصل، يا فالق، يا مولى، يا بصير، يا واسع، يا قابض، يا باسط، يا محيي، يا مميت، يا مغيث، يا حسيب، يا رقيب، يا شهيد، يا برّ، يا عليّ، يا ولي، يا

(١) رواه عبدالله في أول كتابه «السنة» والمشهور أيضًا باسم «الرد على الجهمية»، باب ما يحتج به على الجهمية (مسألة رقم ١-٣) قال: (سمعت أبي) فذكره بطوله.

فتاح، يا منان، يا جواد، يا متين، يا قدوس، يا سلام، يا مؤمن، يا مهيمن، يا عزيز، يا جبار، يا متكبر، يا بارئ، يا مصور، يا من له الأسماء الحسنى، يا خير الحاسبين، يا أرحم الراحمين، يا أحكم الحاكمين، يا أحسن الخالقين، يا كبير، يا متعال [«يا علي» مكرر] يا عظيم، يا حليم، يا قيوم، يا ذا الطول لا إله إلا أنت، يا ذا الجلال والإكرام، يا قيوم، يا قائم على كل نفس بما كسبت، يا ذاري، يا رفيع، يا ماجد [«يا جواد» مكرر] يا مدبر، يا خير الرازقين، يا إله العالمين].

قال الله في كتابه في سورة البقرة:

[﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾.

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿١١٥﴾﴾.

[الآيات في أن القرآن كلام الله ووحيه وقوله وروح منه]:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِ ... ﴿٣٧﴾﴾.

﴿يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ... ﴿٧٥﴾﴾.

﴿مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ ... ﴿١٧٤﴾﴾.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾.

وقال: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ... ﴾

وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ... ﴿١٢٦﴾ ﴾].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ ﴾.

وقال في يس: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

وقال في سورة البقرة أيضًا: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ... ﴿١١٧﴾ ﴾.

وقال الله في سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ... ﴿٤٥﴾ ﴾.

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.

وقال: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ

فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ... ﴿١٧١﴾﴾.

وقال في سورة الأنعام: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾.

وقال في سورة النمل: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾.

وقال في سورة الأعراف: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

وقال في القصص: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

وقال في الرحمن: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾.

وقال في طه: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ ... ﴿٣٩﴾﴾.

وقال في البقرة: ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾.

وقال في آل عمران: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ... ﴿٣٩﴾﴾.

وقال في سورة النساء: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾.

وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ... ﴿١٧١﴾﴾.

وقال في الأنعام: ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ... ﴿٣٤﴾﴾.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ .

وقال في طه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾﴾ .

وقال في الكهف: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ .

وقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ .

وقال في التوبة: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ... ﴿٦﴾﴾ .

وقال في حم عسق: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ... ﴿٥١﴾﴾ .

وقال في سورة لقمان: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ .

وفي القصص: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ .

وفي الأعراف: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ

ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾.

[آيات صفات الله وأسمائه وكلامه]:

وفي الفتح: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ... ﴿١٠﴾﴾.

وفي البقــرة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

وفي الكهف: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ... ﴿٢٨﴾﴾.

وفي الأعراف: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ... ﴿١٣٧﴾﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ... ﴿١٤٣﴾﴾.

وفي الأنفال: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾

وفي التوبة: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

وفي يونـــس: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾.

وفي يونس: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ... ﴿٦٤﴾﴾.

وقال: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦﴾.

وفي فصلت: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ٤٥﴾.

وفي هود: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩﴾.

وفي الكهف: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ... ٢٧﴾.

وفي طه: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ١٢٩﴾.

وفي الصافات: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١﴾.

وفي المؤمنون: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ... ٦﴾.

وقال: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ٤٥﴾.

وفي حم عسق: ﴿وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٤﴾.

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ... ٥١﴾.

وفي الفتح ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا ... ١٥﴾.

وفي التحريم: ﴿وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ... ١٢﴾.

وفي المؤمنون: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ... ١٥﴾.

وفي النحل: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... ١٠٢﴾.

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ... ﴿٢﴾﴾.

وفي الإسراء: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾.

وفي حم عسق: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ... ﴿٥٢﴾﴾.

وفي الشعراء: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾.

وقال في عم يتساءلون: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ... ﴿٣٨﴾﴾.

[آيات الجعْل بمعنى التصيير لا بمعنى الخلق]:

وفي الواقعة: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

وقال: ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

وقال: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

وفي الروم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا ... ﴿٤٨﴾﴾.

وفي ن والقلم: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

وفي المرسلات: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

وفي الأنعام: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ... ﴿١٣٦﴾﴾.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ... ﴿١٠٠﴾﴾.

وفي الأعــراف: ﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ ... ﴿٧٤﴾﴾.

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ... ﴿٦٩﴾﴾.

﴿يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ... ﴿١٣٨﴾﴾.

﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾.

وفي الرعد ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ... ﴿١٦﴾﴾.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ ... ﴿٣٣﴾﴾.

وفي هود ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ... ﴿٨٢﴾﴾.

وقال في الشعراء ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾.

وفي فصلــت ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾﴾.

وفي النمل ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ ... ﴿٦٢﴾﴾.

﴿إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ... ﴿٣٤﴾﴾.

وفي القصص ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ... ﴿٤﴾﴾.

وفي الذاريات ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (٤٢)﴾.

وقال: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥١)﴾.

وفي القصص ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥)﴾.

وقال: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧)﴾.

وقال: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا ... (٣٨)﴾.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ... (٤١)﴾.

وقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ... (٧١)﴾.

وقال: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا ... (٧٢)﴾.

وفي إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ ... (٣٥)﴾.

﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ... (٣٧)﴾.

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ... (٤٠)﴾.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ... (٣٠)﴾.

وفي الحجر: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١)﴾.

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ... (٩٦)﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ...﴿٧٤﴾﴾.

وفي النحل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ...﴿٥٦﴾﴾.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ...﴿٦٢﴾﴾.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا ...﴿٨٠﴾﴾.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا ...﴿٨١﴾﴾.

﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ...﴿٩١﴾﴾

وفي الإسراء: ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾.

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ...﴿٢٢﴾﴾.

وفي الفرقان: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ...﴿٣٧﴾﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾﴾.

وفي العنكبوت: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ...﴿١٠﴾﴾.

وفي سبأ: ﴿وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ...﴿١٩﴾﴾.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ...﴿٣٣﴾﴾.

وفي إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ...﴿٣٥﴾﴾.

وفي المائدة: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ ... ﴿١٠٣﴾﴾.

وفي التوبة: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ...﴿١٩﴾﴾.

وفي يونس: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ... ﴿٧٣﴾﴾.

﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

وفي الزخرف: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

وفي الفيل: ﴿فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ﴿٥﴾﴾.

وفي سورة الأنبياء: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ ... ﴿٥٨﴾﴾.

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا ... ﴿٧٣﴾﴾.

وقال: ﴿فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾.

وفي الصافات: ﴿فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗا ﴿١٥٨﴾﴾.

وفي ص: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾.

وفي الزمر: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًا ... ﴿٢١﴾﴾.

وفي يوسف: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِ ... ﴿٥٥﴾﴾.

وقال: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ... ﴿٧٠﴾﴾.

﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ ... ﴿٦٢﴾﴾.

[آيات أسماء الله الحسنى وأسماء القرآن الذي هو كلامه ووحيه وتنزيله]:

وفي الأعـراف: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾.

وفي الإسراء: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿١١٠﴾﴾.

وفي النساء: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾﴾.

وفي الواقعة: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾﴾.

وفي البروج: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾﴾.

وفي الزخرف: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

وفي فصلت: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾﴾.

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾﴾.

﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾.

وفي الفرقـان: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾﴾.

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾﴾.

وفي فصلت: ﴿لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾.

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝١٠٢﴾.

وفي الأنعام: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٥٥﴾.

وفي فصلت: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ... ۝٤٤﴾.

وفي حم عسق: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ... ۝٧﴾.

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾.

[آيات صفات الله الخبرية]:

وفي سورة العلق: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥﴾.

وفي المائدة: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝١١٦﴾.

وفي الأنعام: ﴿قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ... ۝١٢﴾.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ... ۝٥٤﴾.

وفي الطور: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ... ۝٤٨﴾.

وفي البقرة: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِ ... ﴿٣٧﴾﴾.

﴿يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ... ﴿٧٥﴾﴾.

وفي طه: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾.

وفي مريم: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾﴾.

﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾.

وفي لقمان: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍ ... ﴿٢٨﴾﴾.

وفي النســاء: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿١٣٤﴾﴾.

وفي الزمــر: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

وفي المائدة: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ... ﴿٦٤﴾﴾.

وفي الفتــح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ... ﴿١٠﴾﴾.

وفي طــه: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾.

وفي القيامــة: ﴿كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾﴾.

وفي المطففين: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

وفي الملـك: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ... ﴿٢٧﴾﴾.

وفي النجـم: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾.

[الواقعـة: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

وقال: ﴿نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

وقال: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

الرحمن: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾.

قـد سـمع: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾.

وقال في التحريم: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ... ﴿١٢﴾﴾.

سـورة الملـك: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴿٢٧﴾﴾.

القلم: قال: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

وفي القيامـة: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا

نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

ويـل للمطففـين: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾.

وقال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

وقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾.

وقال في ألم ترى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾.

وقال في اقرأ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾.

وقال في لم يكن: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ... ﴿٥﴾﴾][١].

---

(١) رواه عبدالله في «السنة» أيضًا (رقم ١٢٠٢) قال: (وجدت في كتاب أبي بخط يده: «مما يحتج به على الجهمية» من القرآن الكريم في سورة البقرة) فذكره مطولًا. وقد رواه عنه أيضًا الخلال في «السنة» (٢/ ٢٢١ مسألة ١٨٤٣ - ١٨٤٨) وما بين المعكوفين في أوله وآخره زيادات منه، ما عدا العناوين بين معكوفتين فقد زدتها لبيان وجه استشهاد الإمام أحمد بها.

قال الخلال: (أخبرنا أبو بكر المروذي قال: هذا ما احتج به أبو عبد الله على الجهمية في القرآن، كتب بخطه، وكتبته من كتابه، فذكر المروذي آيات كثيرة دون ما ذكر الخضر بن أحمد عن عبدالله، وقال: وفيه سمعت أبا عبد الله يقول: في القرآن عليهم من الحجج في غير موضع. يعني الجهمية.

قال الخلال: وأخبرنا الخضر بن أحمد بن المثنى الكندي قال: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: وجدت هذا الكتاب بخط أبي فيما يحتج به على الجهمية، وقد ألف الآيات إلى الآيات من السورة، وأول ما ذكر عبد الله:

بسم الله الرحمن الرحيم {لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين}

{ما شاء الله لا قوة إلا بالله}

{وأفوض أمري إلى الله}.

{وأيوب إذ نادى ربه أني مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين}.

يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا راحم، يا مالك، يا ملك، يا مليك..).

قال الخلال: (ثم ولفت ما روى المروذي وعبد الله من ها هنا:

في سورة البقرة: {الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين}

{ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم}.

{فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه}.

{يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه}.

{ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم}.

{وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون}.

وقال: {بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون}.

{وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم}.

وقال: {وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا}.

وقال: {إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم}.

{يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة}.

و{قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون}.

وقال:{إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكونن من الممترين}.

وقال: {إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم}.

وقال في سورة النساء: {وكلم الله موسى تكليما}.

وقال: {وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان

سميعا بصيرا}.

وقال: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه}.

وقال: {رسلا مبشرين ومنذرين}.

وقال: {من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا}.

وقال في سورة المائدة: {ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام}.

{وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء}.

وقال: {إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب}.

وفي الأنعام: {قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة}.

وقال: {فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة}.

وقال: {حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله}.

{وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم}.

وقال: {من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم}.

وقال: {وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا}.

{وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات}.

{قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين}.

وقال: {وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون}.

وقال: {وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها}.

وقال: {وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور}.

الأعراف: {كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين}.

{وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل}.

{ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه}.

{إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي}.

{النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون}.

{وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين}.

وقال: {واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح}.

وقال: {واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد}.

{قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة}.

{فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين}.

وقال: {ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين}.

{ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين}.

{فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء}.

وقال: {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون}.

{واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين}.

{ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني}.

{وكن من الشاكرين}.

الأنفال: {ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين}.

التوبة: {وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله}.

وقال: {وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا}.

وقال: {أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر}.

يونس: وقال: {الر تلك آيات الكتاب الحكيم}.

{ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون}.

{كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا}.

{لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله}.

{ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون}.

{إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون}.

وقال: {فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا}.

وقال: {فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين}.

وقال: {وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة}.

وقال: {أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس}.

وقال: {قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا}.

وقال: {وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون}.

وقال: {جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين . فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق}.

هود: {الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير}.

{ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب}.

{وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين}.

وقال: {فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها}.

سورة يوسف: {الر تلك آيات الكتاب المبين . إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن

الغافلين}.

{قال اجعلني على خزائن الأرض}.

وقال: {فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه}.

{وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم}.

{وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا}.

الرعد: {أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم}.

وقال: {وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض}.

إبراهيم عليه السلام: {وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا}.

وقال: {فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم}.

وقال: {رب اجعلني مقيم الصلاة}.

وقال: {وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله}.

الحجر: {الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين}.

{الذين جعلوا القرآن عضين}.

وقال: {فأخذتهم الصيحة مشرقين . فجعلنا عاليها سافلها}.

{إنا كفيناك المستهزئين . الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون}.

النحل: قال: {ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا}.

وقال: {ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون}.

{ويجعلون لله ما يكرهون}.

وقال: {ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده}.

وقال: {وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا}.

{وجعل لكم من الجبال أكنانا}.

{ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا}.

{والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا}.

{والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا}.

وقال: {وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين}.

وقال: {قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا}.

الإسراء: {ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا}.

{وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا}.

{ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم}.

{ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك}

وقال: {وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا}.

وقال: {قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا}.

الكهف: {فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا}.

{قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا. قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا}.

{واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا}.

قال: {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه}.

مريم: وقال: {عبده زكريا . إذ نادى ربه نداء خفيا . قال رب إني وهن العظم مني}.

{يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا}.

طه: {فلما أتاها نودي يا موسى . إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى. وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري}.

وقال: {إنني معكما أسمع وأرى}.

{وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني}.

{واصطنعتك لنفسي . اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري . اذهبا إلى فرعون إنه طغى . فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى . قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى . قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى . فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى}.

{ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما}.

الأنبياء: {وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم}.

وقال: {وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين}.

وقال: {ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا}.

وقال: {فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين}.

وقال: {وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر}.

وقال: {وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين . وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين . فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا}.

وقال في السورة التي يذكر فيها الحج.

وقال في السورة التي يذكر فيها المؤمنون: {ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون}.

الفرقان: {وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا}.

{وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية}.

{وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا}.

{والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما}.

{ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا}.

{قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما}.

{الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا}.

الفرقان: {وأنزلنا إليكم نورا مبينا}.

{إنه لقرآن كريم}.

{وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم}.

{وإنه لكتاب عزيز}.

{حم . والكتاب المبين}.

الشعراء: {نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين}.

{قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين}.

وقال: {واجعل لي لسان صدق في الآخرين . واجعلني من ورثة جنة النعيم}.

النمل: {طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين . هدى وبشرى للمؤمنين}.

{فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين . يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم . وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون}.

{ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض}.

{إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة}.

القصص: {إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا}.

{سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون}.

{فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين}.

{كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون}.

{ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين}.

وقال: {إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين}.

وقال: {فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا}.

وقال: {وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار}.

وقال: {تلك الدار الآخرة نجعلها للذين}.

العنكبوت: قال: {فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين}.

وقال: {ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله}.

{فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون}.

الروم: {وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون}.

{الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا}.

لقمان: {الم . تلك آيات الكتاب الحكيم . هدى ورحمة للمحسنين}.

{ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير}.

{ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم}.

{وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور}.

السجدة: {الم . تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون}.

الأحزاب: {وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل}.

سبأ: {وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق}.

قال: {وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا}.

وقال: {إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا}.

سورة الملائكة.

يس: {يس . والقرآن الحكيم}.

{أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون}.

{إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون}.

الصافات: {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين}.

وقال {فألقوه في الجحيم . فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين}.

وقال {وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون}.

ص: {أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار}.

وقال: {وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلها واحدا}.

{قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين}.

الزمر: {وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون}.

وقال: {وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا}.

وقال: {ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما}.

وقال: {ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون . قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون}.

المؤمن: {هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون}.

{والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إن الله هو السميع البصير}.

{وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا}.

{رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده}.

وقال {وما يتذكر إلا من ينيب . فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون}.

وقال: {هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين}.

{وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين}.

{إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير}.

حم فصلت: {حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون}.

وقال: {ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى}.

{وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا}.

{قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين}.

وقال: {وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض}.

{وإنه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد}.

عسق: {يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}.

وقال: {ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب}.

{ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم}.

{ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور}.

{وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب}.

{وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا}.

{وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها}.

الزخرف: وقال: {حم . والكتاب المبين . إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . وإنه

في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم}.

{فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين . فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين}.

وقال: {ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون}.

{وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم}.

الجاثية والشريعة.

والدخان: {ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون}.

وقال: {أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات}.

سورة الفتح: {سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل}.

وقال: {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه}.

الذاريات: {وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم . ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم}.

وقال {ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين}.

والطور: {واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك}.

النجم: {فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى}.

الواقعة: {أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون}.

وقال: {نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون}.

وقال: {أفبهذا الحديث أنتم مدهنون . وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون}.

الرحمن: {كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام}.

قد سمع: {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع

[باب: محاجة الإمام أحمد للجهمية في المحنة بين يدي الخليفة المعتصم]:

*** قال الإمام أحمد:**

لما كان في شهر رمضان، ليلة تسع عشرة خلت منه، حُوّلت من السجن إلى دار إسحاق بن إبراهيم، وأنا مقيد بقيد واحد،

تحاوركما إن الله سميع بصير}.

وقال في التحريم: {وصدقت بكلمات ربها وكتبه}.

سورة الملك: {قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون . ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين . فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا}.

القلم: قال: {أفنجعل المسلمين كالمجرمين}.

وفي القيامة: {كلا بل تحبون العاجلة . وتذرون الآخرة . وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة}.

ويل للمطففين: {كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم إنهم لصالو الجحيم}.

وقال: {إن الأبرار لفي نعيم . على الأرائك ينظرون}.

وقال: {بل هو قرآن مجيد}.

وقال في ألم ترى: {فجعلهم كعصف مأكول}.

وقال في اقرأ: {ألم يعلم بأن الله يرى . كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية}.

وقال في لم يكن: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين})).

قال أبو بكر الخلال: (أسماء **الله** عَزَّوَجَلَّ التي خرجها أبو عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهذه الآيات والأحرف في القرآن، بيّن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذلك أنه لا يكون القرآن مخلوقًا بوجه ولا سبب ولا معنى من المعاني، وهذا نقض لفتوى الجهمية الضلال؛ لأن هذه الآيات الأخرى وهذه الأسماء تبين أنه لا يكون من القرآن شيء مخلوق. وأما أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فقد وجدت أيضًا من أخرجها من كتاب أحمد وبين مواضعها من القرآن).

يوجه إليّ كل يوم رجلين، وهما أحمد بن رباح وأبو شعيب الحجام، يكلماني ويناظراني، فإذا أرادا الانصراف دعا بقيد فقُيّدت، فمكثت على هذه الحال ثلاثة أيام، وصار في رجلي أربعة أقياد.

فقال لي أحدهما في بعض الأيام في كلام دار، وسألته عن علم الله فقال: علم الله مخلوق.

قلت: يا كافر، كفرت!

فقال لي الرسول الذي كان يحضر معهم من قبل إسحاق: هذا رسول أمير المؤمنين!

فقلت: إن هذا قد كفر!

وكان صاحبه الذي يجيء معه خارج، فلما دخل قلت: إن هذا زعم أن علم الله مخلوق!

فنظر إليه كالمنكر عليه! ثم انصرف.

قال أحمد: وأسماء الله في القرآن، والقرآن من علم الله، فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر، ومن زعم أن أسماء الله مخلوقة فقد كفر.

فلما كان ليلة الرابعة بعد عشاء الآخرة، وجّه - يعني المعتصم - بُغا إلى إسحاق يأمره بحملي، فأُدخلت على إسحاق، فقال لي: يا أحمد، إنها والله نفسك! إنه قد حلف أن لا يقتلك بالسيف، وأن يضربك ضربًا بعد ضرب، وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه

الشمس!

أليس قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]؟ فيكون مجعولا إلا مخلوقًا!

فقلت: فقد قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولِۭ ۝٥﴾ [الفيل: ٥] أفخلقهم؟

قال: فقال: اذهبوا به!

فأُنزلت إلى شاطئ دجلة، فأُحدرت إلى الموضع المعروف بباب البستان، ومعي بغا الكبير، ورسول من قبل إسحاق، فقال بغا لمحمد الحارس بالفارسية: ما تريدون من هذا؟ قال: يريدون منه أن يقول: القرآن مخلوق. فقال: ما أعرف شيئًا من هذا إلا قول (لا إله إلا الله) وأن محمدًا رسول الله، وقرابة أمير المؤمنين من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

فلما صرنا إلى الشط أُخرجت من الزورق وحُملت على دابة، والأقياد عليّ، وما معي أحد يمسكني، فجعلت أكاد أخر على وجهي، حتى انتُهي بي إلى الدار، فأُدخلت ثم خُرج بي إلى حجرة، فصُيِّرت في بيت منها، وأُغلق عليّ الباب، وأُقعد عليه رجل، وذلك في جوف الليل، وليس في البيت سراج، فاحتجت إلى الضوء، فمددت يدي أطلب شيئًا، فإذا بإناء فيه ماء وطشت فتهيأت للصلاة، وقمت أصلي، فلما أصبحت جاءني الرسول، فأخذ بيدي فأدخلني الدار، وإذا هو جالس، وابن أبي دؤاد حاضر، وقد جمع

أصحابه، والدار غاصة بأهلها، فلما دنوت منه سلمت.

فقال: أدْنِهِ، أدْنِهِ. فلم يزل يُدنيني حتى قربت منه، ثم قال لي: اجلس. فجلست، وقد أثقلتني الأقياد، فلما مكثت هنيهة.

قلت: تأذن في الكلام؟

قال: تكلم.

قلت: إلام دعا إليه رسوله؟

قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

فقلت: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله.

ثم قلت: إن جدك ابن عباس حكى أن وفد عبد القيس لما قدموا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرهم بالإيمان بالله تعالى، فقال: «أتدرون ما الإيمان؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تُعطوا الخمس من المغنم».

حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة قال: حدثني أبو جمرة قال: سمعت ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن وفد عبد القيس لما قدموا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرهم بالإيمان. فذكر مثل ذلك.

فقال لي عند ذلك: لولا أني وجدتك في يد من كان قبلي ما عرضت لك. ثم التفت إلى عبد الرحمن بن إسحاق فقال له: يا عبد الرحمن، ألم آمرك أن ترفع المحنة!

فقلت في نفسي: الله أكبر! إن في هذا لفرجًا للمسلمين.

ثم قال: ناظروه وكلموه!

ثم قال: يا عبد الرحمن، كلِّمه!

فقال لي عبد الرحمن: ما تقول في القرآن؟

قلت: ما تقول في علم الله؟

فسكت!

فجعل يكلمني هذا وهذا، فأرد على هذا، ثم أقول: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئًا من كتاب الله أو سنة رسوله أقول به.

فيقول لي ابن أبي دؤاد: وأنت لا تقول إلا كما في كتاب الله أو سنة رسوله!

فقلت له: تأولت تأويلًا فأنت أعلم، وما تأولتُ ما يحبس عليه ويقيد عليه!

فقال ابن أبي دؤاد: فهو والله - يا أمير المؤمنين - ضال مُضلّ مبتدع، يا أمير المؤمنين، وهؤلاء قضاتك والفقهاء فسلهم.

فيقول لهم: ما تقولون؟

فيقولون: يا أمير المؤمنين، هو ضال مضل مبتدع.

فلا يزالون يكلموني، وجعل صوتي يعلو على أصواتهم.

[فقال لي عبد الرحمن: ما تقول في القرآن؟

فقلت: ما تقول في علم الله؟

فسكت].

فقال لي إنسان منهم: قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] أفيكون محدثًا إلا مخلوقا؟

قلت له: قال الله تعالى: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ [ص: ١] فالذكر هو القرآن، وتلك ليس فيها ألف ولام.

فجعل ابن سماعة لا يفهم ما أقول، فجعل يقول لهم: ما يقول؟ فقالوا: إنه يقول كذا وكذا.

فقال لي إنسان منهم: حديث خباب: «يا هنتاه، تقرب إلى الله بما استطعت؛ فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه».

فقلت: نعم هكذا هو.

فجعل ابن أبي دؤاد ينظر إليه، ويلحظه متغيظًا عليه.

وقال بعضهم: أليس قال: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]؟

قلت: قد قال: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥] [فهل] دمرت إلا [ما أتت عليه] وما أراد الله؟

فقال لي بعضهم فيما يقول، وذكر حديث عمران بن حصين: «إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كتب الذكر» فقال: إن الله خلق الذكر.

فقلت: هذا خطأ. حدثنا غير واحد: «كتب الذكر».

فكان إذا انقطع الرجل منهم اعترض ابن أبي دؤاد يتكلم، فلما

قارب الزوال قال لهم: قوموا. ثم حبس عبد الرحمن بن إسحاق، فخلا بي وبعبد الرحمن، فجعل يقول لي: أما كنت تعرف صالحًا الرشيدي؟ كان مؤدِّبي، وكان في هذا الموضع جالسًا، وأشار إلى ناحية من الدار. قال: فتكلم وذكر القرآن، فخالفني، فأمرتُ به فسُحب ووُطئ.

ثم جعل يقول لي: ما أعرفك! ألم تكن تأتينا!

فقال له عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين، أعرفه منذ ثلاثين سنة، يرى طاعتك، والحج، والجهاد معك، وهو ملازم لمنزله.

فجعل يقول: والله إنه لفقيه، وإنه لعالم، ومما يسرني أن يكون مثله معي يرد عني أهل الملل، ولئن أجابني إلى شيء له فيه أدنى فرج لأطلقن عنه بيدي، ولأوطئن عقبه، ولأركبن إليه بجندي.

ثم التفت إليّ فيقول: ويحك يا أحمد! ما تقول؟

فأقول: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئًا من كتاب الله أو سنة رسوله.

فلما طال بنا المجلس ضجر فقام، فرُدِدت إلى الموضع الذي كنت فيه، ثم وجه إلي برجلين، وهما صاحب الشافعي وغسان، من أصحاب ابن أبي دؤاد، يناظراني، فيقيمان معي، حتى إذا حضر الإفطار وجه إلينا بمائدة عليها طعام، فجعلا يأكلان، وجعلت أتعلل حتى رفع المائدة، وأقاما إلى غد.

وفي خلال ذلك يجيء ابن أبي دؤاد فيقول لي: يا أحمد، يقول

لك أمير المؤمنين: ما تقول؟

فأقول له: أعطوني شيئًا من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أقول به.

فقال لي ابن أبي دؤاد: والله لقد كتب اسمك في الشيعة فمحوته، ولقد ساءني أخذهم إياك، وإنه والله ليس هو السيف، إنه ضرب بعد ضرب! ثم يقول لي: ما تقول؟

فأرد عليه نحوًا مما رددت عليه، ثم يأتي رسوله فيقول: أين أحمد بن عمار؟ أخو الرجل الذي أُنزلت في حجرته، فيذهب ثم يعود فيقول: يقول لك أمير المؤمنين: ما تقول؟

فأرد عليه نحوًا مما رددت على ابن أبي دؤاد، فلا تزال رسله تأتي.

قال أحمد بن عمار، وهو يختلف فيما بيني وبينه، ويقول: يقول لك أمير المؤمنين: أجبني حتى أجيء فأطلق عنك بيدي.

فلما كان في اليوم الثاني أُدخلت عليه فقال: ناظروه، كلموه!

قال: فجعلوا يتكلمون، هذا من هاهنا، وهذا من هاهنا، فأرد على هذا وهذا، فإذا جاءوا بشيء من الكلام مما ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا فيه خبر ولا أثر قلت: ما أدري ما هذا!

فيقولون: يا أمير المؤمنين، إذا توجهت عليه الحجة علينا

وثـب، وإذا كلمناه بشيء يقول: لا أدري ما هـذا!

فيقول: ناظروه!

ثم يقول: يا أحمد، إني عليك شفيق.

فقال رجل منهم: أراك تذكر الحديث وتنتحله.

فقلت له: ما تقول في قول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النساء: ١١]؟

فقال: خص الله بها المؤمنين.

فقلت له: ما تقول إن كان قاتلًا، أو كان قاتلًا عبدًا يهوديًّا أو نصرانيًّا؟ فسكت! وإنما احتججت عليه بهذا لأنهم كانوا يحتجون علي بظاهر القرآن، ولقوله: أراك تنتحل الحديث.

وكان إذا انقطع الرجل منهم اعترض ابن أبي دؤاد فيقول: يا أمير المؤمنين، والله لئن أجابك لهو أحب إليّ من مائة ألف دينار، ومائة ألف دينار. فيعيد ما شاء الله من ذلك، ثم أمرهم بعد ذلك بالقيام، وخلا بي وبعبد الرحمن، فيدور بيننا كلام كثير، وفي خلال ذلك يقول لي: تدعو أحمد ابن أبي دؤاد.

فأقول: ذلك إليك.

فيوجه إليه، فيجيء فيتكلم، فلما طال بنا المجلس قام، ورُددت إلى الموضع الذي كنت فيه، وجاءني الرجلان اللذان كانا عندي بالأمس، فجعلا يتكلمان، فدار بيننا كلام كثير، فلما كان

وقت الإفطار جيء بطعام على نحو مما أتي به في أولى ليلة، فأفطرا وتعللت، وجعلت رسله تأتي أحمد ابن عمار، فيمضي إليه، ويأتيني برسالته على نحو مما كان أول ليلة.

وجاءني ابن أبي دؤاد فقال: إنه قد حلف أن يضربك ضربًا بعد ضرب، وأن يحبسك في موضع لا ترى فيه الشمس.

فقلت له: فما أصنع!

حتى إذا كدت أن أصبح قلت: لخليق أن يحدث من أمري في هذا اليوم شيء.

وقد كنت أخرجت تكتي [حزام] من سراويلي، فشددت بها الأقياد أحملها بها إذا توجهت إليهم، فقلت لبعض من كان مع الموكلين: ارتدْ لي خيطًا. فجاءني بخيط، فشددت بها الأقياد، وأعدت التكة في السراويل، ولبسته كراهية أن يحدث شيئًا من أمري فأتعرّى.

فلما كان في اليوم الثالث أُدخلت عليه، والقوم حضور، فجعلت أدخل من دار إلى دار، وقوم معهم السيوف، وقوم معهم السياط، وغير ذلك من الزي والسلاح، وقد حُشرت الدار الجند، ولم يكن في اليومين الماضيين كثير أحد من هؤلاء، حتى إذا صرت إليه قال: ناظروه كلموه.

فعادوا بمثل مناظرتهم، ودار بيننا كلام كثير، حتى إذا كان في الوقت الذي يخلو فيه، فجاءني ثم اجتمعوا فشاورهم، ثم نحاهم

ودعاني فخلا بي وبعبد الرحمن، فقال لي: ويحك يا أحمد! أنا عليك والله شفيق، وإني لأشفق عليك مثل شفقتي على هارون ابني، فأجبني.

فقلت: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئًا من كتاب الله أو سنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلما ضجر وطال المجلس قال لي: عليك لعنة الله! لقد كنت طمعت فيك! خذوه واسحبوه.

قال: فأُخذت وسُحبت ثم خُلعت.

ثم قال: العقابين والسياط!

فجيء بالعقابين والسياط.

وقد كان صار إليّ شعرة أو شعرتان من شعر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصررتهما في كم قميصي، فنظر إسحاق بن إبراهيم إلى الصرة في كم قميصي فوجه إليّ: ما هذا المصرور في كمك؟ فقلت: شعر من شعر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وسعى بعض القوم إلى القميص ليخرقه في وقت ما أقمت بين العقابين، فقال لهم، يعني المعتصم: لا تخرقوه، انزعوه عنه.

قال: إني ظننت أنه درئ عن القميص الخرق بسبب الشعر الذي كان فيه.

ثم صُيّرت بين العقابين وشُدّت يدي، وجيء بكرسي فجلس

عليه، وابن أبي دؤاد قائم على رأسه، والناس أجمعون قيام ممن حضر، فقال لي إنسان ممن شدني: خذ بأي الخشبتين بيدك وشد عليهما.

فلم أفهم ما قال، فتخالعت يداي لما شدت، ولم أمسك الخشبتين.

قال صالح: ولم يزل أبي، رحمة الله عليه، يتوجع منهما إلى أن توفي.

ثم قال للجلادين: تقدموا. فنظر إلى السياط فقال: ائتوا بغيرها.

ثم قال لهم: تقدموا. فقال لأحدهم: ادْنُهْ، أَوْجِعْ، قطع الله يدك.

فتقدم فضربني سوطين ثم تنحى، ثم قال لآخر: ادْنُهْ، أَوْجِع، شُدّ، قطع الله يدك. ثم تقدم فضربني سوطين ثم تنحى.

فلم يزل يدعو واحدًا بعد واحد يضربني سوطين ويتنحى، ثم قام حتى جاءني، وهم محدقون بي، فقال: ويحك يا أحمد، تقتل نفسك! ويحك أجبني حتى أطلق عنك بيدي!

فجعل بعضهم يقول لي: ويلك! إمامك على رأسك قائم!

قال لي عجيف: فنخسني بقائم سيفه ويقول: تريد أن تغلب هؤلاء كلهم!

وجعل إسحاق بن إبراهيم يقول: ويحك! الخليفة على رأسك قائم!

ثم يقول بعضهم: يا أمير المؤمنين، دمه في عنقي!

ثم رجع فجلس على الكرسي ثم قال للجلاد: ادْنُهْ، شُدّ، قطع الله يدك!

ثم لم يزل يدعو بجلاد بعد جلاد فيضربني بسوطين ويتنحى، وهو يقول: شُدّ، قطع الله يدك!

ثم قام إليّ الثانية فجعل يقول: يا أحمد، أجبني!

فجعل عبد الرحمن بن إسحاق يقول: من صنع بنفسه من أصحابك في هذا الأمر ما صنعت! هذا يحيى بن معين وهذا أبو خيثمة وابن أبي إسرائيل! وجعل يعدّ عليّ من أجاب، وجعل هو يقول: ويحك! أجبني!

قال: فجعلت أقول نحو ما كنت أقول لهم.

فرجع فجلس ثم جعل يقول للجلاد: شُدّ، قطع الله يدك!

فذهب عقلي، فما عقلت إلا وأنا في حجرة مطلق عني الأقياد، وقال لي إنسان ممن حضر: إنا أكببناك على وجهك وطرحنا على ظهرك بارية [فراش من خصف] ودسناك.

قال أبي: فقلت: ما شعرت بذاك. فجاءوني بسويق فقالوا: اشرب!

فقلت: لا أفطر.

فجيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم، فنودي بصلاة الظهر فصلينا الظهر، وقال ابن سماعة: صليت والدم يسيل من ضربك!

فقلت: به صلى عمر وجرحه يثعب دمًا.

فسكت[1].

*** قال الإمام أحمد:**

وكان إذا كلمني ابن أبي دؤاد لم أجبه ولم ألتفت إلى كلامه، فإذا كلمني أبو إسحاق ألنت له القول والكلام.

فقال لي أبو إسحاق: لئن أجبتني لآتينك في حشمي وموالِيّ، ولأطأن بساطك، ولأنوهن باسمك، يا أحمد اتق الله في نفسك، يا أحمد الله الله!

وكان لا يعلم ولا يعرف، ويظن أن القول قولهم! فيقول: يا أحمد إني عليك شفيق!

فقلت: يا أمير المؤمنين هذا القرآن وأحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخباره، فما وضح من حجة صرت إليها.

---

(١) رواه صالح بن أحمد في «سيرة الإمام أحمد» (ص ٥٢) مطولاً في قصة المحنة، ومن طريقه ابن بطة في «الإبانة» (٣/ ٢٤٩ رقم ٤٢٩): (حدثني أبي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: حدثنا أبو جعفر محمد ابن الحسن بن بدينا قال: حدثنا صالح بن أحمد قال: حدثني أبي) فذكره مختصرًا، والزيادات بين المعكوفين منه. ورواه حنبل بن إسحاق في «محنة الإمام أحمد» (ص ٨٩) كما رواها صالح بن أحمد.

فيتكلم هذا وهذا.

فقال ابن أبي دؤاد لما انقطع وانقطع أصحابه: والذي لا إله إلا هو، لئن أجابك لهو أحب من مائة ألف ومائة ألف عددًا مرارًا كثيرة.

وكان فيما احتججت عليهم يومئذ، قلت لهم: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وذلك أنهم قالوا لي: أليس كل ما دون الله مخلوق؟

فقلت لهم: فرق بين الخلق والأمر، فما دون الله مخلوق، فأما القرآن فكلامه ليس بمخلوق.

فقالوا: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل: ٤٠]!

فقلت لهم: قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١] فأمره كلامه واستطاعته ليس بمخلوق، فلا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فقد نهينا عن ذلك.

واحتججت عليهم فقلت: زعمتم أن الأخبار تردونها باختلاف أسانيدها، وما يدخلها من الوهم والضعف، فهذا القرآن نحن وأنتم مجمعون عليه، وليس بين أهل القبلة فيه خلاف، وهو الإجماع.

قال الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه تصديقًا منه لقول إبراهيم، غير دافع

لمقالته ولا لما حكى عنه، فقال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤٢] فذم إبراهيم أباه أن عبد ما لا يسمع ولا يبصر، فهذا منكر عندكم؟

فقالوا: شبّه، شبّه يا أمير المؤمنين.

فقلت: أليس هذا القرآن؟ هذا منكر عندكم مدفوع؟

وهذه قصة موسى، قال الله عَزَّوَجَلَّ لموسى في كتابه حكاية عن نفسه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ [النساء: ١٦٤] فأثبت الله الكلام لموسى كرامة منه لموسى، ثم قال: يا موسى ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه: ١٤] فتنكرون هذا! فيجوز أن تكون هذه الياء راجعة ترد على غير الله، أو يكون مخلوق يدعي الربوبية! وهل يجوز أن يقول هذا غير الله! وقال له: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ [النمل: ١٠] ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه: ١٢] فهذا كتاب الله - يا أمير المؤمنين - فيجوز أن يقول لموسى: أنا ربك مخلوق! وموسى كان يعبد مخلوقًا! ومضى إلى فرعون برسالة مخلوق يا أمير المؤمنين!

قال: فأمسكوا، وأداروا بينهم كلامًا لم أفهمه.

قال أبو عبد الله: والقوم يدفعون هذا وينكرونه، ما رأيت أحدًا طلب الكلام واشتهاه إلا أخرجه إلى أمر عظيم، لقد تكلموا بكلام واحتجوا بشيء ما يقوى قلبي ولا ينطق لساني أن أحكيه! والقوم يرجعون إلى التعطيل في أقاويلهم، وينكرون الرؤية والآثار كلها، ما ظننت أنه هكذا حتى سمعت مقالاتهم!

قيل لي يومئذ: كان الله ولا قرآن!

فقلت له: كان الله ولا علم!

فأمسك.

ولو زعم غير ذلك أن الله كان ولا علم لكفر بالله.

وقلت له، يعني لابن الحجام: يا ويلك، لا يعلم [بالشيء] حتى يكون، فعلمه وعلمك واحد! كفرت بالله عالم السر وأخفى، عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب، ويلك! يكون علمه مثل علمك! تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور!

فهذه أليست مقالته!

وهذا هو الكفر بالله!

ما ظننت أن القوم هكذا!

لقد جعل برغوث [محمد بن عيسى] يقول يومئذ: الجسم وكذا، وكلام لا أفهمه!

فقلت: لا أعرف ولا أدري ما هذا، إلا أنني أعلم أنه أحد صمد، لا شبه له، ولا عدل، وهو كما وصف نفسه. فيسكت عني.

قال: فقال لي شعيب: قال الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] أفليس كل مجعول مخلوقا؟

قلت: فقد قال الله: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ [الأنبياء: ٥٨] أفخلقهم؟

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥] أفخلقهم؟ أفكل مجعول

مخلــوق؟

كيف يكون مخلوقًا وقد كان قبل أن يخلق الجعل!

قال: فأمسك[١].

*** قال الإمام أحمد:**

أشـاط القـوم بدمـي، فقالـوا لـه، يعنـي المعتصـم: يـا أمـير المؤمنين، سـله عـن القـرآن؛ أشيء هو أو غـير شيء؟

فقال لي المعتصم: يا أحمد، أجبهم.

فقلـت لـه: يـا أمـير المؤمنـين، إن هـؤلاء لا علـم لهـم بالقـرآن، ولا بالناسـخ والمنسـوخ، ولا بالعـام والخـاص، قـد قـال الله عَزَّوَجَلَّ في قصـة موسـى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥] فـما كتـب لـه القـرآن. وقـال في قصـة سـبأ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] ومـا أوتيـت القـرآن! فأخرسـوا[٢].

*** قال الإمام أحمد:**

احتجـوا عـلي بهـذه الآيـة: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾

(١) رواه حنبل في كتابه «محنة الإمام أحمد» (ص ١١٣).

ورواه ابن بطة في «الإبانة» باب: الرد على الجهمية (٣/ ٢٥٣ رقم ٤٣٢): (حدثنا حمزة ابن القاسم قال: حدثنا حنبل: قال أبو عبد الله الإمام أحمد) فذكره.

(٢) رواه ابن بطة في «الإبانة» باب «الرد على الجهمية» ٣/ ٢٥٧ رقم ٤٣٤ أخبرني أبو عمرو عثمان بن عمر قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون، قال: أخبرني علي بن أحمد أبو غالب، قال: حدثني محمد بن يوسف المروزي المعروف بابن سرية، قال: دخلت على أبي عبد الله والجبائر على ظهره، قال لي: يا أبا جعفر أشاط القوم بدمي فذكره.

[الأنبياء: ٢] أي: أن القرآن محدث.

فاحتججت عليهم بهذه الآية ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص: ١].

قلت: فهو سماه الذكر.

وقلت: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ فهذا يمكن أن يكون غير القرآن محدثًا، ولكن ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ فهو القرآن، ليس هو محدثًا.

فبهذا احتججت عليهم.

واحتجوا علي بحديث: «ما خلق الله من سماء ولا أرض ولا كذا أعظم من آية الكرسي».

فقلت له: إنه لم يجعل آية الكرسي مخلوقة، إنما هذا مثل ضربه، أي: هي أعظم من أن تخلق، ولو كانت مخلوقة لكانت السماء أعظم منها، أي: فليست بمخلوقة.

واحتجوا علي بقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾.

فقلت: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] فخلق من القرآن زوجين!

﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النمل: ٢٣] فأوتيت القرآن! فأوتيت النبوة! أوتيت كذا وكذا!

وقال الله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ﴾ [الأحقاف: ٢٥] فدمرت كل شيء! إنما دمرت ما أراد الله من شيء.

وقال لي ابن أبي دؤاد: أين تجد أن القرآن كلام الله؟

قلت: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾ [الكهف: ٢٧] فسكت.

وقلت له بين يدي الرئيس، وجرى كلام بيني وبينه، فقلت له: اجتمعت أنا وأنت أنه كلام، وقلت إنه مخلوق، فهاتوا الحجة من كتاب الله أو من السنة!

فما أنكر ابن أبي دؤاد ولا أصحابه أنه كلام.

قال: وكانوا يكرهون أن يظهروا أنه ليس بكلام فيشنع عليهم(١).

*** قال الإمام أحمد:**

مكثت يومين لا أطْعم، ومكثت يومين لا أشرب، ومكثت ثلاثة أيام يناظرونني بين يديه - يعني الرأس أبا إسحاق - وقد جمعوا عليّ نحوًا من خمسين بصريًّا، وغير ذلك يعني من المناظرين، وفيهم الشافعي الأعمى.

قال المروذي: فقلت له: كلهم يناظرونك بالليل؟

قال: نعم كل ليلة، وكان فيهم الغلام غسان - يعني قاضي

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» باب «الرد على الجهمية» (٣/ ٢٥٠ رقم ٤٣١): (أخبرني أبو عمر عثمان بن عمر الدراج قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال قال: كتب إلي أحمد بن الحسين الوراق من الموصل، قال: حدثنا بكر بن محمد بن الحكم، عن أبيه، عن أبي عبد الله قال: سألته عما احتج به حين دخل على هؤلاء، فقال) فذكره.

الكوفة - إنما كان الأمر أمر ابن أبي دؤاد.

قلت له: كانوا كلهم يكلمونك؟

قال: نعم، هذا يتكلم من هاهنا، وهذا يحتج من هاهنا، وهذا يتأول على آية، وعجيف عن يمينه، وإسحاق عن يساره قائم، ونحن بين يديه - يعني أبا إسحاق - فسألني غير مرة، فقلت: أوجدني في كتاب أو سنة.

فقال لي إسحاق وعجيف: وأنت لا تقول إلا ما كان في كتاب أو سنة؟

قلت لهم: ناظروني في الفقه أو في العلم.

فقال عجيف: أنت وحدك تريد أن تغلب هؤلاء الخلق كلهم! ولزّني بقائمة سيفه.

قال المروذي: وأشار أبو عبد الله إلى عنقه يريني بيده، هكذا.

ثم قال إسحاق بن إبراهيم: وأنت لا تقول إلا ما كان في كتاب أو سنة! ولكزني بقائمة سيفه، وأومأ أبو عبدالله إلى حلقه.

قال المروذي: قلت: فكان أبو إسحاق [المعتصم بالله] يتكلم؟

قال: لا، إلا ساكت، إنما كان الأمر أمر ابن أبي دؤاد.

لم يكن فيهم أحد أرق عليّ من أبي إسحاق، مع أنه لم يكن فيهم رشيد.

لما قلت: لا أتكلم إلا ما كان في كتاب أو سنة، احتج الأعمى

الشافعي بحديث عمران بن حصين «خلق الله الذكر».

فقلت له: هذا خطأ! رواه الثوري وأبو معاوية، وإنما وهم فيه محمد بن عبيد، وقد نهيته أن يحدث به.

فقال أبو إسحاق: أُراه فقيهًا[1].

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» باب الرد على الجهمية ٣/ ٥٩٢ رقم ٤٣٧ حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الشيرجي الخصيب، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن الحجاج المروذي، قال: قال لي أبو عبد الله فذكره.

فهرس